جنى القلب الهائم

في

مقاصد السور ومحاورها

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار حامل المسك للنشر والتوزيع

الكويت

هاتف ٢٤٩٢٦٣٢١ - ٢٤٩٢٦٣٢٢ - النقال ٦٦٨٩٠٠٧٨ - فاكس: ٢٤٩٢٦٣٢٠

ص. ب ١٢٣٢٦ - الشامية - الرمز البريدي ٧١٦٥٣

Websit: www.hamel-almisk.com

E.mail: info@hamel-almisk.com

جَنَى القَلْبِ الهَائِمِ

فِي

مَقَاصِدِ السُّوَرِ وَمَحَاوِرِهَا

عدنان عبد القادر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من أوحي إليه، ذو المقام المحمود واللواء المرفوع، المبعوث بالرحمة، المثبت بالعصمة، المؤيد بالحكمة، المصطفى بالتحجيل، المكتوب في التوراة والإنجيل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾. [آل عمران ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ . [الأحزاب ٧٠، ٧١]

- **أما بعد..**

فإن أحسن الكلام كلام الله سبحانه وتعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

- **وبعد**

لقد أنزل الله كتابه على عبده ليكون للعالمين معجزة، فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء، أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، جعل أمثاله عبراً لمن تدبرها، ومقاصده هدى لمن استبصرها.

إن كل كتاب قيم يتكون من فصول، وكل فصل فيه يتناول موضوعاً واحداً له مقدمة وخاتمة ومحاور يتم فيها تحقيق مقصد الفصل، ثم تترابط الفصول لتحقق مقاصد الكتاب على أتم وجه. ولما كان القرآن كتاب الله فقد جعله الله بناءً متيناً، وأحكم فيه

عرض أمهات المسائل، وجعله سوراً، وجعل لكل سورة مقصداً من المقاصد الجليلة ولها مقدمة وخاتمة ومحاور محكمة تبين مقصدها وتشرحه بأوجز لفظ وأبينه، وأوفى معنى وأبلغه، وألطف تعبير وأجمله.

يراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم، ويستمتع به الأذكياء والبلغاء بلمحاته وإشاراته فتسرح فيه أرواحهم وتعجب لعظمته ألبابهم.

يرى الجميع في ألفاظه وسياقه صوراً وحقائق ماثلة، جمع بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة على أتم وجه.

تراه متلاحم الأجزاء كالكلمة الواحدة، متسق المعاني، منتظم المباني، مرتبطاً بعضه ببعض، آخذاً بعضه بأعناق بعض في تأليف محكم، فبه يتبين المعنى بعد المعنى، فإن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وهذا يسمى بعلم المناسبات.

فكان حقيقياً بالعبد أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه في الانكباب عليه وتدبره، ومعرفة مقاصد سوره وارتباطها وتعانقها، ومعرفة محاورها وتآلفها.

ولما كان علم المناسبات في غاية النفاسة وقل تداول المفسرين لمقاصد السور وتآلفها إلا ما ندر، وأن الغالب من هؤلاء النوادر إذا ذكروا مقصد السورة جعلوا مجموعة من مواضيعها ومادتها هي مقصدها، بينما هذه المواضيع المذكورة سيقت في السورة لتحقيق مقصدها، لذا سألت الله تعالى مفتقراً إليه أن يعينني على معرفة مقصد كل سورة ومحاورها، فاستعنت بالمولى جل في علاه ثم بالعلماء الذين تعلمت على أيديهم وكتب علماء المسلمين رحمهم الله تعالى رحمة واسعة ثم بالحوار مع طلبة العلم المسترشدين وبما ظهر من العلوم والدراسات الحديثة لاسيما في علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الإدارة وغيرها من العلوم التي فتحت الآفاق وفتقت الأذهان في فهم كتاب الله تعالى إلى أن جمعت شيئاً من نكته البارعة، ولطائفه الرائعة، وأسراره الغامضة، وعجائبه السائرة، وحكمه اليانعة، فاجتمعت شوارده واتصلت فرائده، وانكشفت غوامضه ودقائقه فأشرقت لي مقاصد السور ومحاورها شروق الشمس ليس دونها سحاب.

ولما كان تفريغ ذلك يحتاج إلى وقت طويل، فقد تأتي المنية قبل الانتهاء من تفريغه، ثم لعزوف الناس عن قراءة الكتب المطولة، ولرغبتي في إيصال هذه المقاصد والمحاور إلى عموم الناس رأيت أن

اشتغل فيه مدى عمري، وأستفرغ فيه مُنَّتي، بأن أكتب فيه كلاماً وجيزاً أختصر فيه ما جمعته ويكون جامعاً لمقاصد السور ومحاورها بحسب جهدي، وما انتهى إليه علمي، تذكرة لنفسي، وذخيرة ليوم رمسي، وعملاً صالحاً بعد موتي.

- **وقد سلكت في منهج هذا الكتاب الطريقة التالية:**

١- أذكر مقصد كل سورة مع بيان محاورها على وجه الإيجاز وأربط بين محاورها، وأحياناً أذكر بعض لطائفها عند الحاجة ومناسبة كل سورة لما جاورها من السور ليظهر التناسب بينها ويتبين للقارئ أنها عقد واحد تناسقت درره، وتلاحمت أطيافه، وتعانقت سوره. وقد أذكر بعض الأدلة الدالة على مقصدها ومحاورها لتأكيد صحة ذلك المقصد وتلك المحاور.

٢- أحياناً يتكرر موضوع ما في مجموعة من السور، ولكن في كل منها زيادات لطيفة أو كثيرة مما ليس في السور الأخرى التي تناولته مما ينمي عن حكمة بالغة لتحقيق مقصد السورة، فأشير إلى الحكمة اللطيفة لتلك الزيادة بما يتناسب مع مقصد السورة. من ذلك ذكر أهوال يوم القيامة التي تكررت في عدة سور بألفاظ مختلفة لاختلاف مقاصد هذه السور، ويمكنك

ملاحظة تلك الحكم اللطيفة المناسبة لمقصد كل سورة على حدة في تفسير سورة التكوير والانفطار والانشقاق والقارعة.

٣- الاهتمام ببيان بعض تشبيهات القرآن التي خلت من أدوات التشبيه. فإن مما يتميز به كلام البلغاء كثرة التشبيه ليصبح المعنى واضحاً وتصبح الصورة واضحة أخاذة، لذا قال المبرد: لو قال قائل إن التشبيه هو أكثر كلام العرب لم يُبْعد[١]، وقال قدامة بن جعفر عن التشبيه في الشعر: هو من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم. وكلما كان المشبه منهم في تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف، وكلما كان بالمعنى أسبق كان بالخدمة أليق[٢].

ولما قسم ابن أبي عون الشعر إلى ثلاثة أقسام: المثل السائر، والاستعارة الغريبة، والتشبيه النادر؛ حكم بأن التشبيه هو أجلها وأصعبها على صانعها وذلك أنه لا يقع إلا لمن طال تأمله، ولطف حسّه، وميز بين الأشياء بلطيف فكره[٣].

(١) الكامل للمبرد ص (٨١٨) البرهان للزركشي (٤١٤/٣)

(٢) نقد الشعر لقدامة (٥٨)

(٣) التشبيهات لابن أبي عون. انظر علوم القرآن، د. عدنان زرزور.

وقال الجرجاني: إنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر ما بين المشرق والمغرب ويجمع ما بين المشئم والمعرق، وهو يريك من المعاني الممثلة بالأوهام شبهاً من الأشخاص الماثلة والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين[١].

وقد تحذف أداة التشبيه ولا يذكر وجه الشبه؛ وهو أعلى مراتب التشبيه، لذا قال الزركشي: أعلى مراتب التشبيه في الأبلغية ترك وجه الشبه وأداته[٢].

وهذا تجده بكثرة في كتاب الله تعالى، فالتشبيه القرآني فيه الدقة التامة والإحاطة والإحكام، إذ به تصبح الصورة دقيقة واضحة أخاذة.

من ذلك تشبيه نزول القرآن والرسالة الإلهية لإحياء القلوب بنزول الماء من السماء لإحياء الأرض، وهذا تجده كثيراً في القرآن الكريم. ومنها تشبيه نور الإيمان في قلب العبد بنور الشمس

---

(١) أسرار البلاغة للجرجاني (١٠٣)

(٢) البرهان (٤٢٤/٣)

وغيرها من الأنوار، وتشبيه الكلمة الطيبة وأثرها بالأشجار المثمرة العالية، وتشبيه حلاوة الإيمان وآثاره المتنوعة بالثمار الحلوة المتنوعة وغير ذلك كثير مما ستجده في هذا الكتاب بإذن الله تعالى، فلا تسارع وتتهم الكاتب بالتنطع والتكلف.

٤- أحياناً تجد في هذا التفسير يسبق ذكر وجه الشبه على التفسير الصريح لأن المقام يتطلبه، كما في أول سورة الرعد.

٥- غالباً ما أذكر مقصد السورة في مقدمتها باللون الأسود العريض، وأصرح به في خاتمتها.

٦- غالباً ما أذكر محاور كل سورة باللون الأسود العريض أثناء تفسيرها.

٧- قد تقرأ فيه عبارات تتضمن الجزم بأن هذا هو مقصد السورة وهذه محاورها، فهذا ما بدا للكاتب وغلب على ظنه ولايقتضي أن يكون قطعياً عند الله تعالى، لأن غلبة الظن في الشريعة لها حكم اليقين كسائر الأحكام القضائية والشرعية، فكذا المقاصد والمحاور المذكورة ما هي إلا غلبة ظن عند الكاتب.

فيا فائض الجود، ويا غاية كل مقصود أفض علينا من بركات

كلامك ومن علوم كتابك.

وتمت بحمد الله في الخلق سهلة ... منزهة عن منطق الهجر مِقْولا
ولكنها تبغي من الناس كُفأهـا ... أخا ثقة يعفو ويغضي تجمـلا
وليس لهـا إلا ذنـوب وليهـا ... فيا طيب الأنفاس أحسن تـأولا
وقـل رَحِـم الرحمن حياً وميتاً ... فتى كان للإنصاف والحلم معقلا
عسى الله يدنـي سعيه بجوازه ... وإن كان زيفاً غير خاف مـزللا[١]

فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله يعفو ويغفر. وقد أخبرنا نبينا محمد ﷺ: «إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»[٢].

فاللهم حنانيك ولطفك بعبدك فقد أناخ ببابك قائماً منكسراً بين يدي جلالك يرجو رحمتك وعفوك.

فيا خيـر غفار ويا خير راحم ... ويا خير مأمول جَدَاً وتفضلًا
أقل عثرتي وانفع بها وبقصدها ... حنانيك يا ألله يا رافع العـلا[٣]

---

(١) الشاطبية

(٢) رواه البخاري (٧٥٥٤).

(٣) الشاطبية.

فأرجو من الله تعالى أن ييسر ما قصدت، ويوفق لما أردت، فإنه المأمول وحده والمسؤول ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ﴾ ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به عموم المسلمين إنه جواد كريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

عدنان عبد القادر القادري

جنى القلب الهائم

في

مقاصد السور ومحاورها

سورة الفاتحة

استهل القرآن العظيم بسورة **الفاتحة التي لخصت أصول دعوة الإسلام**. إذ استهلت السورة بالثناء على الله تعالى لتفرده بكمال بالربوبية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ، وتفرده بكمال الأسماء والصفات ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ، وتفرده بالتأله والعبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ . **وهذا هو التوحيد، وهو الأصل الأول «شهادة أن لا إله إلا الله»**.

ولا يعرف هذا التوحيد على وجهه الصحيح التام إلا بمتابعة الذين أنعم الله عليهم من الرسل وأتباعهم، وعلى رأسهم رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ . **وهذا الاتباع هو الأصل الثاني «شهادة أن محمداً رسول الله»**.

لذا فإننا نتوسل إلي الله بربوبيته للعالمين وبأسمائه وصفاته وعبادتنا له ليهدينا طريق متابعة النبي ﷺ وأتباعه، ويجللنا الله تعالى بثمرة ذينك الأصلين وهي تزكيته لنفوز برضاه بدلاً من غضبه، وهدايته بدلاً من الضلال ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ . وهذا الأصل الثالث وهو «التزكية».

هذا مقصد سورة الفاتحة: وهو بيان أصول الإسلام.

سورة البقرة

انقسم الناس إلى ثلاث فرق من هذه الدعوة المباركة، دعوة التوحيد والتأله لله وحده، دعوة بذل كمال الحب لله تعالى مع كمال الذل له، دعوة لا إله إلا الله. أما **الفرقة الأولى** فآمنت ووحدت واهتدت فأفلحت، فاستهلت بها السورة ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ .

وأما الثانية فكفرت وعاندت، وجاهرت بكفرها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ ، فلعنت وطردت، واستحقت العذاب العظيم. وأمثل مثال لهم إبليس ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ .

والثالثة تلونت ونافقت وخادعت ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ ، فأظهرت الإيمان وأبطنت الكفر ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ ، ففضحت ولحقت أختها الكافرة. وأمثل مثال لهم اليهود من بني إسرائيل ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ

عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ .

لقد تميز هذا الصنف بعدة أمراض خبيثة ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ . منها مرض العنت، إذ أنعم الله عليهم النعم السابغة وتقرب إليهم وذكّرهم بها ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فعبدوا العجل وقالوا ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ .

ومنها المخادعة ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ والاستهزاء ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ . إذ لما طلب منهم أن يدخلوا بيت المقدس ساجدين ويقولوا حط من خطايانا دخلوا زاحفين على أستاهم وقالوا حنطة، ولما أكرمهم الله تعالى بالمن والسلوى طلبوا الثوم والعدس والبصل، ولما حرم عليهم الصيد يوم السبت احتالوا فاصطادوا فيه مخادعة لله تعالى واستخفافاً بأوامره، ولما أمرهم موسى عليه السلام بذبح بقرة استهزؤوا به وحاولوا خداعه بإخفاء القاتل، ثم حاولوا خداع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بإظهار الإيمان أول النهار والكفر آخره ليقرروا بأنه ليس هو النبي الذي وصى به موسى عليه السلام ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ .

ومنها قلب الحقائق بتسمية الإفساد إصلاحاً ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ . إذ زعموا أن مقاتلة إخوانهم اليهود وإخراجهم من ديارهم هو إصلاح، بل وأعظم منه اعتبروا محاولة قتل عيسى عليه السلام وقتل نبينا محمد ﷺ إصلاحاً ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ .

ومنها تأصل مرض العجب فيهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ . لقد ادعوا أن ما عندهم هو الدين المتين، وكل ما جاء بعده ما هو إلا سفه. فرموا سواهم بالسفاهة لاسيما الأنبياء كعيسى عليه السلام، وكذا نبينا محمد ﷺ وحاشاهما ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ .

إن سمة هذا الصنف الكذب والافتراء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ . إذ لما رفضوا الإذعان للتوراة رفع الله على رؤوسهم جبل الطور ففزعوا فقالوا «سمعنا» ولما نزل الطور قالوا «عصينا»، فكذبوا على أعظم الذوات وهو الله تعالى، وكذبوا مرة أخرى في حق الله تعالى إذ ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البَقَرَة: ٩٣]

فقالوا عن العجل «هذا هو الله» فعبدوه؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا، وكذبوا على سيد الملائكة جبريل عليه السلام فقالوا: هذا عدونا يأتي بالحرب، وكذبوا على سيد الرسل ﷺ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ فادعوا أنه ليس هو الذي وصى به موسى عليه السلام وليس هو الموصوف في كتبهم. وكذبوا على أفضل ملوك البشر وهو سليمان عليه السلام فقالوا: حكم الناس بالسحر ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ .

فاحذروا هذا الصنف ومن متابعته ومن التخلق بأخلاقه والتشبه به حتى في الأقوال التي ظاهرها أدب بينما باطنها سب وشتم. إذ كانوا يدسون للمؤمنين بأن يخاطبوا النبي ﷺ بلفظ «راعنا يارسول الله» ليظن المؤمنون أنها من الرعاية بينما هم قصدوا الرعونة أي الحماقة، فأرادوا مخاطبته ﷺ بهذه الأوصاف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ .

جميع ما سبق كفيل بنسخ الرسالة ونقلها من اليهود ومن بني إسرائيل إلى سيد البشر من العرب وهو رسول الله ﷺ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ . وهذا سيثير الحسد والحقد في

قلوبهم، فلن يعترفوا بنسخ رسالتهم، وسيؤكدون ذلك بقولهم ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ .

ولن يتوقف فساد هذا الصنف عند هذا الحد بل سيزدادون فساداً على فسادهم السابق. ها هم تراهم يشتم بعضهم بعضاً، ويخرب بعضهم مساجد بعض، حالهم كحال كفار العرب في تخريب أعظم مسجد على وجه الأرض وهو الكعبة بنصب الأصنام عليها وحولها ومنعهم نشر التوحيد في مساجد الله تعالى، فلا عجب، فالمنافقون والمشركون كلهم قد جمعهم الكفر. فاحذروهم ولا ترجوا رضاهم، واعلموا بأن الحرص على رضاهم مدعاة للتنازل عن دين الله تعالى ومتابعة أهوائهم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ . ومع ذلك استمروا في تذكيرهم ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ .

ثم ختمت السورة ختام مسك بالفرقة الأولى كما ابتدأت بها. وأمثلهم اثنان: خليل الله إبراهيم ﷺ ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ ، ثم سيد البشر وخاتم النبيين وخليل الله تعالى محمد بن عبد الله ﷺ وهو دعوة إبراهيم ﷺ ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ .

هذا الصنف أشرف الأصناف وهو صنف المؤمنين. **فابتدأ هذا الصنف بأبي الحنفاء إبراهيم الخليل** ﷺ الذي بنى في الأرض أعظم بيت لله تعالى ليكون رمزاً للعبودية الخالصة، وأقام عنده المناسك، ودعا الله تعالى أن يبعث فيهم رسولاً منهم يجدد لهم دعوة التوحيد، ووصى ذريته بالتوحيد ليبقى التوحيد شامخاً في الأرض وتظل دعوة الاستسلام القلبي لله تعالى وحده، لتصبغ حياة جميع العباد بالصبغة الإلهية، لتكون هذه الدعوة عامة للبشر، لا الدعوى الانعزالية المشحونة بالغرور والعجب ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ۗ﴾ . لذا عليكم بالائتمام بالحنيفية دعوة إبراهيم ﷺ، دعوة التوحيد التي ائتم بها جميع الأنبياء بعده.

إن من أعظم شعائر التوحيد الصلاة، لذا فاتخذوا البيت الذي بناه إبراهيم ﷺ قبلة لكم بدلاً من قبلة اليهود، وستلقون من سفهاء أهل الكتاب هجمة شرسة ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ﴾ . إنهم يعلمون علماً تاماً من كتبهم بأن تحويل القبلة إلى الكعبة من علامات نبوة النبي محمد ﷺ، ففيها الصفاء والمروءة ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ ولكنهم يكتمونه. فتمسكوا بالكعبة، قبلتكم الجديدة التي هي شعار الحنيفية وشعار توحيد الله تعالى وعبوديته ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾ ففي ذلك زيادة في محبة الله تعالى

التي هي غذاء الروح، كما أن أكل الحلال الطيب غذاء البدن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ .

وعليكم بشريعة الحنفاء الشاملة المتقنة التي فيها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ الآية، القائمة على العدل لاسيما في القصاص من الأشراف والأحرار، والقائمة على الإحسان وإيتاء ذي القربى. فتمسكوا بها إلى آخر ساعة من الحياة، ساعة الاحتضار، ووصوا بها من يخلفكم. فإنها تتضمن دورات تدريبية تصنع نفوساً مؤمنة، تراقب نفسها مراقبة ذاتية لتتهيأ لبناء أمة مؤمنة مجاهدة، فلذلك شرع لها الصيام.

وكذا شرع لها رحلتا حب إلى الله تعالى بالروح والجسد، وهما رحلتان تدريبيتان: أما الأولى فهي رحلة الحج، وأما رحلة الحب العظمى إلى الله فهي رحلة الجهاد في سبيل الله.

وهذه الدورات التدريبية أفعال، والأفعال أصدق دلالة من الأقوال ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾. وهذه الدورات تهيئهم للقاء

الله تعالى حين يأتي ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ، فلا تغرهم زينة الدنيا إذا فتحت ذراعيها لهم، ولا ييأسوا إذا مستهم البأساء والضراء وزلزلوا، لاسيما في دورة الجهاد التدريبية.

قد تتكالب عليكم من الأعداء والمخذلين **بعض الشبهات والاعتراضات المخذلة** عن الجهاد فيزعمون بأنه جنون وفقدان للعقل، إذ كيف يبذل الإنسان ماله ليلقى حتفه؟ والجهاد يؤدي إلى تَيتّم الأطفال، وترمل النساء، وتكثيرهن، وتقليل عدد الرجال. وفي الجهاد إزهاق للأرواح، فالناس تفر من الموت فكيف يطلب منه السعي إلى الموت؟ ثم كيف يجابه المسلمون مع قلتهم الجموع الهائلة من أعدائهم عدداً وعدة؟

فأتت **الإجابة الإلهية** الشافية بأن المجنون هو ذاك الذي يبذل ماله في شرب الخمر فيذهب بعقله ويجعله منحطاً سافلاً، أو يبذله في الميسر ليفقد جميع أمواله في ساعة واحدة كما هو الحال عندكم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ . أين هذا من ذاك الذي يبذل ماله ومهجته في محبة الله تعالى، وتقرباً إليه؟

وأما تيتّم الأولاد، فإن الله تعالى سيشرع لهم أحكاماً تحفظهم مع حفظه الأعلى لهم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن

تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ﴾ .

وأما ترمل النساء فإن الله تعالى رغب المسلمين في نكاحهن، وحرم نكاح المشركات لأن غريزة الرجل العربي أن لا يبقى على امرأة واحدة، وإنما الأصل عنده التعدد، فتحل مشكلة الأرامل بنكاحهن وتحريم نكاح المشركات ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكَةٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾ .

وأما قلة الأفراد، فعلاجه معروف وهو الحث على النكاح الذي به يتكاثر الشعب، وتحريم الرهبانية، وتشريع ضوابط له وللطلاق ليقل معدل الطلاق، لذا تم تفصيل أحكام الطلاق والنكاح.

وأما مفسدة إزهاق الروح، فالأجل إذا جاء لا يتقدم ساعة ولا يتأخر مهما سعى العبد في الهروب من الموت ما استطاع. لقد هربت أمة حذر الموت، تعدادها ألوف، فأماتهم الله تعالى دفعة واحدة. فعلى العبد أن يسعى في بذل الأسباب الشرعية التي ترضي الله تعالى، فإذا مات بها فقد مات على أمر يرضي الله تعالى بدلاً من أن يموت في نفس الساعة على أمر يغضب الله تعالى ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ .

وأما قلة عدد المسلمين مقابل كثرة العدو، فالنصر غير متعلق

بالعدد ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ كما في قصة الملك طالوت ونبي الله داود عليه السلام.

ولكن الجهاد يحتاج إلى بذل النفس وبذل المال الطاهر لتحقيق المقصد الأعلى من الخلق وهو إقامة التوحيد في جميع أرجاء الأرض ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ ، مع التأكيد على أن الله تعالى غني عنكم وعن أموالكم فهو ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ .

إذا تحقق مقصود الجهاد، وأزيحت الطواغيت التي تمنع وصول الدين إلى عامة الشعوب غير المسلمة حينئذ لا تكره أحداً على الإسلام ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ ، إنما ادعهم بالحجج العقلية المنطقية وبالتخلق معهم بالأخلاق السامية دون سب وشتم، كقصة إبراهيم ﷺ مع النمروذ. فمهما بلغ الكافر في كفره فلا تستبعد أن يحيي الله قلبه بالإيمان. فإذا كان الله تعالى قادراً على إحياء الأجساد الميتة في هذه الدنيا الذي مشاهدتنا له نادرة -كما في قصة عزير وحماره ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ ، فهو قادر على إحياء القلوب الميتة بالإيمان وهذا أمر مشاهد بكثرة.

ولكن ما هي صفة العبد الذي يحيي الله قلبه بالإيمان ويسمو به في الدرجات العلا، سواء كان مؤمناً أم كافراً؟ هو ذاك الذي يسعى

باحثاً عن الحق، كما في قصة الخليل ﷺ لما سعى في طلب الزيادة في الإيمان وطلب أعلى درجات اليقين زاده الله تعالى ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾ . أما من أغلق على نفسه هذا الباب فلن يهديه الله تعالى.

فإذا تساءلت كيف يمكن أن أجعل الكافر يسعى للبحث عن الحق ومعرفته؟ يمكنك ذلك عن طريق بذل المال للمدعو بالهبات والهدايا والدعوة للوليمة والطعام وغير ذلك من طرق بذل المال. فإن الله تعالى بنفقتك هذه له ينبت في قلبه سبع سنابل، لتضاعف إلى سبعمائة سنبلة، كما يضاعف لك حسناتك إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ﴾ .

ولكن لا بد **وأن يكون هذا المال طاهراً**، فهو الذي تتحقق به زكاة النفس ويكون له أثر في زكاة نفوس الآخرين. فالمال الطاهر هو الذي قصد به وجه الله تعالى بلا منٍّ ولا أذى ولا رياء. ولابد وأن يكون مصدره طيباً، فإن الله تعالى لا يقبل المال الخبيث الرديء ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾. فإذا منحه من يستحقه لاسيما المتعففين فقد أقرض الله قرضاً حسناً ليضاعفه له أضعافاً كثيرة ويبسط له في الرزق، فهذا أطيب قرض وله أعظم الأثر ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ

أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ .

أين هذا المال المبارك من **المال الربوي** المحوق، الذي لا بركة فيه، بل يجلب الهم والحزن، وفيه فساد وإفساد للمجتمعات والأمم وإشعال لنيران الحروب بينهم. فصاحبه حري بإعلان الحرب من الله تعالى ورسوله ﷺ عليه، فهذا أسوأ قرض وأسوأ دين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ .

وهناك قرض ثالث **قرض مباح**، وهو إقراض الناس بضوابط وشروط ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ .

واعلموا بأن **موعد حلول الأداء الحقيقي** لهذه القروض الثلاثة هو يوم المداينة عند الحَكَم العَدْل، وهو يوم الحساب. فالعبد مدين بما أقرضه الله تعالى إياه من روح وجسد ومال ونعمة، فلابد من حلول هذا اليوم ليحاسبه فيه: ماذا فعل بهذه القروض؟ لاسيما وقد توفرت يومئذٍ جميع شروط القرض من كتابة الملائكة العدول، وشهادتهم عند القاضي الحكم العدل الذي لا يخفى عليه شيء ولا يظلم مثقال حبة من

خردل ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ ، فجاءت أطول آية في القرآن لأطول يوم يمر على العبد.

حينئذ توفى كل نفس ما كسبت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾، فتقف بين يدي الله تعالى الذي غلبت رحمتُه غضبَه، فيتجاوز برحمته عن النسيان والأخطاء، وعن الإصر وما كان شاقاً وما لا طاقة للعبد به، مع كمال عفوه ومغفرته ورحمته وولايته ونصره لهذا الصنف من عباده الذي استجاب لدعوة التوحيد، لاسيما في هذا الموقف.

وهذا مقصد سورة البقرة: تأصيل «لا إله إلا الله» وهو الشطر الأول من الشهادتين، ثم بيان افتراق الناس فيه.

سورة آل عمران

من التحق بالفرقة الأولى وهي الفرقة المؤمنة لا بد له من معلِّم هادٍ يتبعه، يوضح له الطريق، **لذا اختار الله تبارك وتعالى لها أفضل معلم.**

كيف ذلك؟

إن الله تبارك وتعالى ذو الحياة الكاملة والقيومية التامة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ ، ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى **اختار القرآن** ليكون أفضل كلامه لأجل ذاك الهدف وهو هداية خلقه، وجعله أفضل كتبه ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ ليحكم على جميع الكتب والشرائع السابقة ولا تنسخه شريعة ولا كتاب. وجعله أوضح كتبه وأبينها، يستطيع به كل ذي قلب أن يفرق بين الحق والباطل ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ ، وإن ضل من ضل عنه بشبهة أو شهوة ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ﴾ . واختار أحسن الأسماء للرسالة القرآنية وهو اسم «الإسلام»، وجعله أفضل الأديان والرسالات ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ .

إن الله تعالى وحده الذي يختار ما يشاء لدينه، **وهو وحده الذي يختار من يشاء من خلقه للسيادة** والقيادة ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ ، وهو سبحانه وحده الذي يصطفي لرسالاته من يشاء من البشر كما ﴿ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، وهو وحده الذي يختاره لمهمة ما ممن لا تتوقعه القلوب وخارجاً عن تصورها كما اختار مريم عليها السلام لتكون مولودة لامرأة عمران بدلاً من الذَّكَر المرجو، فاختارها لمهمة عظيمة، ففوجئت بها أمها ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ !

إن النبي الذي اختاره الله لهذه الرساله أراد الله تعالى أن تتوفر فيه **شروط عامة للرسالة وشروط خاصة للتميز والعَلَمية.** فلا بد وأن يكون مخلوقاً، ومن البشر من بني آدم، ثم من سلالة إبراهيم الخليل ﷺ، سواء كان هذا النبي متصلاً بالخليل من جهة أمه وأبيه كيحيى عليه السلام، أو من جهة واحدة كعيسى عليه السلام، ويستحيل أن يكون أحد منهم إلهاً ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ ، وفي هذا دحض حجة من أراد أن يجعل نبي الله عيسى عليه السلام يتفوق بألوهيته قائد هذه الأمة ومعلمها الذي اختاره ليكون أفضل معلم وقائد على وجه الأرض ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ

﴿وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ، بل هو بنفسه دعا أتباعه إلى متابعة النبي ﷺ إذا بعث ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ . وقد كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ، ويشترط في كل نبي أن يصدق رسالة من قبله، وقد يكون ناسخاً لبعض الشرائع السابقة له أو جميعها.

ولما كان بنو إسرائيل الذين كانت فيهم النبوة ليسوا أمناء على الأنبياء والرسل إذ مكروا بنبيهم عيسى عليه السلام ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ ، وليسوا أمناء على أبيهم إبراهيم ﷺ ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ ، وليسوا أمناء على دين إبراهيم ﷺ ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا﴾ ، وليسوا أمناء على الحق ﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ، وليسوا أمناء على الشريعة، بل ليسوا أمناء على لعاعة الدنيا وهو المال ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ ، بل يشترونه بعهد الله وأيمانهم الكاذبة، ثم ﴿كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ لذا حجب الله عن هؤلاء النبوة والخيرية وولاية الشريعة ونسخها إلى من هو أولى منهم، إذ النسخ جائز في الشرائع السابقة كما نسخ إسرائيل عليه السلام بعض شريعة من قبله بتحريمه بعض ما كان مباحاً ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا

﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ .

لذا نسخ الله شريعة بني إسرائيل على **يد أفضل رسول، محمد بن عبد الله** ﷺ، فهو النبي الذي جمع أعلى صفات النبوة، ومميزات الرسالة، وأولاهم بالخليل، وأتبعهم له، وأجمعهم للخيرية ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ، بل فاق جميع الأنبياء بأن بعث للناس عامة. لذا أخذ الله ميثاق كل نبي أن لو بعث النبي محمد بن عبد الله ﷺ في زمنه فعليه أن يتابعه، ويجعل الرسالة المحمدية ناسخة لشريعته، ويوصي قومه بذلك ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ . لقد ظهرت فيه كل الآيات البينات التي تشهد بنبوته ﴿وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ ، وبعث في الموضع الآمِن المبارك الذي اجتمعت فيه البركة وازدحمت ﴿بِبَكَّةَ﴾ ، موضع أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى وإقامة توحيده الذي بناه إبرهيم الخليل ﷺ ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ . فتم التشريف والاختيار والاصطفاء له ولكل من تابعه لاسيما من عاصره مؤمناً به ﴿وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ﴾ .

أيتها الأمة المحمدية! لقد اصطفاكم الله تعالى باصطفاء رسولكم أفضل معلم للبشرية، فتميزوا عن سائر الأمم بالاعتصام بالله تعالى

وتقواه ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ ، والاعتصام بشرعه، والتآخي وعدم التفرق، والدعوة إلى هذه الرسالة العظيمة الرسالة المحمدية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتفوزوا بالاصطفاء الدنيوي والأخروي ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ . وجللوا ذلك بالقيام وتلاوة ﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ﴾ .

وإياكم وأن تفرطوا بهذا الاصطفاء، لذا اجتنبوا أسباب التفرق والاختلاف ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾ ، واجتنبوا أسباب اسوداد الوجه من البدع والمعاصي وأسباب الذلة والغضب الإلهي والمسكنة التي اقترفها بنو إسرائيل، وإياكم والاغترار بكثرة المال والعدد وبطانة السوء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ .

واعلموا بأن المصائب الواقعة عليكم كما حدث لكم في غزوة أحد لا تتعارض مع الاصطفاء بل تتممه. إن التميز والاصطفاء يظهر في كيفية التعامل مع المصائب الجلل، فإن أفضل طريقة للتعليم هي التدريب العملي. فانظروا إلى معلمكم رسول الله ﷺ أفضل معلم بشري كيف تعامل مع المصائب لاسيما عند مقاتلة الكفار إياكم،

فاتبعوه وائتسوا به. إنه تعامل معها بسلامة صدر وعدم حب الانتقام، وبالمسارعة إلى الاستغفار، وفعل الخيرات، والإنفاق في سبيل الله، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إليهم، والاعتراف بالخطأ وعدم الإصرار ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ . وتوقعوا أن يترتب على المتابعة والتأسي به جراحات وقروح وقتل، ففي كل ذلك اصطفاء لكم ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ وتصفية لكم ونقاء ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ، وتتجلى فيه حقيقة الاتباع للنبي المصطفي ﷺ.

ومن لوازم متابعته ﷺ لتحقيق الاصطفاء **اجتناب عدة محاذير لاسيما عند اشتداد المصائب** على يد الكفار. منها عدم الخضوع لهم وعدم طاعتهم، وإنما ملازمة الاستغفار ودعاء الله تعالى ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، وملازمة القائد، وعدم تركه والفرار من ساحة القتال، وعدم معصيته أومنازعته أو منازعة أتباعه فإنها سبب الفشل والهزيمة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ ، وعدم التحسر على المصائب وعلى ما فات من الدنيا أو التسخط على القدر كقول بعض المنافقين ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ وقول بعضهم الآخر ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ .

إن المتبع للنبي ﷺ يرى **في المصائب الناتجة عن الاتباع مصالح كثيرة،** وأنها تخفي وراءها كنوزاً ثمينة. فمن جواهرها أن يظهر فيها معدن القائد لاسيما سيد الرسل ليكون قدوة لأتباعه، يظهر فيها معدنه في الرحمة والعفو، والاستغفار لأتباعه، ومشاورتهم ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾ ، ولا يستغلهم لمصالحه الخاصة ولا يغل بل يواسيهم، وهذا مما مَنَّه الله تعالى على هذه الأمة ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ .

ويرى المتبع للنبي ﷺ في المصائب من الأجر العظيم المدخر ما يتمنى المصاب أن لو تكررت عليه المصيبة مرات عديدة رغبة في الأجر لا رغبة في المصيبة، بدلاً من التحسر والتسخط من وقوعها ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ .

ومن كنوزها أن يرى فيها المتبع أنها تُميزه عن غيره، لاسيما المنافق مدعي المتابعة. فإن المصائب تفضح المنافق المستتر بينكم، وكذا المنافق المستتر بدينه كأهل الكتاب ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ . ويرى في المصائب عدل الله تعالى، إذ يستوفي فيها الكافر حقه الدنيوي كاملاً مع ما يلازمه من العذاب الدنيوي والآلام والإهانة ثم الهزيمة والهلاك بسبب كفره. ومن كنوزها أن يفضح فيها البخيل سواءً بأفعاله أو

بأقواله الشنيعة ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾.

أيتها الأمة المحمدية أتباع النبي ﷺ ! إن ابتلاءكم أمر لابد من وقوعه ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ ، **ولكن العاقبة لكم** ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ لكمال إخلاصكم وعبادتكم لله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾، ولكمال متابعتكم لسيد البشر، وهجركم لأوطانكم وأهليكم وأموالكم طاعة لله ولرسوله ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾ . فلن يضيع الله عملكم ولا متابعتكم لإمام الأنبياء وسيد البشر، وسيظهر الله تعالى هذا الدين وهذه الأمة، ولا يغرنكم تسلط الذين كفروا بعض الوقت في بعض الأحوال فإن سائر الأمم ستتابعكم بإذن الله تعالى، فأنتم أمة محمدﷺ، أكرم أمة على الله تعالى، توفون سبعين أمة.

لذا عليكم بالصبر، والمرابطة، وشدة التمسك بالرسالة المحمدية ومتابعة النبي ﷺ حتى يظهر الله الرسالة المحمدية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ .

وهذا مقصد سورة آل عمران: متابعة النبي ﷺ ، والشهادة بأن

«محمداً رسول الله ﷺ» وهذا هو الشطر الثاني من الشهادتين، والأصل الثاني لدعوة التوحيد المباركة.

سورة النساء

دعوة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» ينبغي أن تصبغ أتباعها بالطهارة والزكاء ويتحلى أصحابها بالدرجة الفضلى من الأخلاق ويحوزوا على معاليها. لذا عليهم أن يتعاملوا مع بعضهم كأنهم أخوة أشقاء في النسب بأسمى صور الأخوة، فهم من أب واحد وأم واحدة، **لتنشأ أمة التوحيد متآلفة متلاحمة لا تخترق**، وليكونوا دعاة خير للفرق الأخرى لينخرطوا معهم في الطريق الإلهي متآلفين متآخين.

لذا ابتدأت السورة ببيان أن الناس كلهم إخوة من أب واحد وأم واحدة، من رحم واحد، فهي علاقة رحم ولكنها متفرعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ .

وليتحقق تآلف الأمة ويقوى ارتباطها ببعضها لا بد مما يلي:

أولًا

رحمة الضعفاء، وعلى وجه الأخص اليتامى والإناث، وعدم ظلمهم بأي نوع من أنواع الظلم كأكل أموالهم ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾، والمماطلة في تسليم الزوجات مهورهن ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، وحجب عموم النساء من الميراث.

إنه لا ينافي رحمة الضعفاء معاقبة المرأة العقوبة الشرعية إذا تعدت حدود الله تعالى، كما أنه يعاقب الرجل عقوبة شرعية إذا تعدى، فكلٌّ منهم يعاقب العقوبة الشرعية إذا قصّر ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ .

ومن ظلم الأزواج للزوجات استرداد المهر بالعضل، أو بالإكراه، أو يُجعلن ميراثاً للأبناء فينكحوا زوجات الآباء إذ لنكاح النساء ضوابط لابد من مراعاتها ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ الآية. ومن ظلمهن أكل أموالهن بالباطل ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ .

إنه ليس من الظلم أن تكون القوامة للرجل والتأديب، فإن لكل منهما دوراً يؤديه، فإن اختلفا ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ فهذا لا يناقض الدعوة إلى رحمتهن.

ثانياً

وليتحقق تآلف أفراد الأمة لا بد من **التواصل**. والتواصل يتطلب توفر خلق الإحسان، فيحسن العبد تعامله مع الله تعالى، ويحسن تعامله مع أفراد الأمة، فالنفس تحب من يحسن إليها ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ . ويجب ترك ما يضاده من الاختيال على الناس والفخر، والبخل بالمال عنهم، والبخل بالعلم بكتمه، فإذا أنفق فإنه لا ينفق إلا رياء.

وينبغي التواصل مع الله تعالى ثم مع أفراد الأمة بصفاء الذهن والعقل والقلب ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾، وطهارة الباطن والظاهر، ونقاوة السريرة، وانبساط الوجه، ولين اليد ونداوتها، وكمال الأدب والطهارة ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾ .

ولا بد من اجتناب الحسد، وإرادة الشر للغير، وخبث السريرة، وفحش القول، وليِّ اللسان، والتعامل مع الناس بوجهين ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ . ولا بد من

اجتناب التحايل والتشبع بما ليس فيه، وشهادة الزور وخيانة الأمانة وخيانه الأخوة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ .

والجامع لذلك كله أن يكون أميناً صادقاً محسناً في تواصله وتعامله مع إخوانه في الله.

ثالثاً

وليستمر التآلف لابد من **تأمين الجبهة الداخلية.** وذلك بالقضاء على الخلاف الذي لا مفر من حصوله بين الجماعة الواحدة بالتحاكم إلى القوانين الإلهية العادلة التي تحكم العلاقة بينهم، وطاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية، وطاعة العلماء بالدليل من الكتاب والسنة ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ ، والالتزام بها.

رابعاً

لا بد من **تأمين الجبهة الخارجية** بالجهاد لحماية المجموعة المسلمة والدولة من العدو الخارجي لئلا يمزق تآلفها ووحدتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ٧١﴾، ولتخليص المسلمين المستضعفين في الخارج.

وهذه بعض **القواعد في الجهاد** لابد من أخذها بعين الاعتبار لئلا

يكون الجهاد سبباً في تمزق الأمة وتقطعها:

«لا تتمنوا لقاء العدو. وسلوا الله العافية». فإذا لقيتموهم فاثبتوا، ولا تفروا خشية الموت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ ولا تعصوا القائد حينئذ ولا تتولوا ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ .

واحذروا المنافقين في تمزيق التآلف في الجبهتين الداخلية والخارجية، فإن دأب المنافقين إثارة الفتن لاسيما أثناء قتال عدو خارجي.

واحذروهم من بث الخوف والرعب في قلوب الناس ليصيبهم الإحباط، ويثبطوهم عن الجهاد فتبقى وحدك ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ ، فجاهد ولو كنت وحدك وحرض المؤمنين.

ومن القواعد الجهادية: أشيعوا بينكم التعاون عند خروجكم إلى الجهاد، وليشفع كل منكم لأخيه، وأشيعوا بينكم إلقاء السلام لتطفئوا به حرارة سفك الدماء والمعاداة فيما بينكم والتفرق ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ .

ومنها: الحذر من التفرق إلى فئتين في موقفكم تجاه المنافقين، فئة تدافع عنهم وفئة تعاديهم ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ ، فإنهم يسعون دوماً إلى تسعير القتال بينكم.

ومنها: الحذر من قتل المسلم فإنه من أكبر الكبائر ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ ، فمن تعمد قتل مسلم ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ . ذلك لأنه بالجهاد قد تتعود النفس على القتل فتستسهل قتل المؤمن فيقتل لأدنى شبهة حتى لو ظهرت منه علامات الإسلام فأظهرها وألقى السلام ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ . ولكن لا تقتضي هذه التحذيرات القعود عن الجهاد فلقد ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٩٥].

ومن القواعد الجهادية: وجوب تمايز صفوف المسلمين عن صفوف الكفار في الجهاد ليجتنب قتل المؤمن. ومن كان مقيماً بين ظهور الكفار المحاربين ولا يستطيع إقامة شعائر الإسلام وجبت عليه الهجرة لتتمايز الصفوف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ .

ومنها: وجوب المحافظة على شعائر الإسلام وإظهارها حتى أثناء

القتال لاسيما الصلاة، بل وأداؤها في جماعة. وإن كان الله تعالى قد رفع الحرج في جوانب عدة من مسائل الصلاة عند الخروج إلى الجهاد ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

خامساً:

ولتبقى الأمة الإسلامية متلاحمة متآلفة لابد من **إقامة العدل واجتناب الظلم.** فإياكم والتجاوب مع العواطف والميل القلبي في الحكم القضائي ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ وإلا تفرقت الأمة. فإن كان ولابد فاسع في تصدّق المظلوم على الظالم بالعفو عنه، أو حثّ الظالم على فعل المعروف للمظلوم لتصفّي الأمور بينهما، أو اسع في الإصلاح بينهما بما لا يكون فيه مشاقة لله ولرسوله ﷺ ومتابعة للشيطان المريد ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ .

وإياك والبحث عن المخارج للظالم لاسيما المشرك، فالشرك أعظم الظلم. وإياك والتعلق القلبي به فإنه من أعظم مداخل الشيطان عليك للتطفيف في الحكم وتغيير الأحكام العدلية، أو التعلق بما يؤملك به أو يمنّيك للحصول عليه جراء التجاوب معه أو الحكم لصالحه ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾. فالزم العدل ودعك من الأماني، فإنه ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ .

وإياك أن تجرئك قوة الظالم وضعف المظلوم على استضعافه ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ ، فإن الله تعالى الذي له ما في السموات وما في الأرض مع المظلوم دوماً، وناصره ولا بد.

ثم إياك والظلم من أجل عرض زائل ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ . فكونوا أسياداً في القسط وإقامة العدل، سواءً كان المظلوم عدواً أو الظالم حبيباً قريباً.

أما إذا ظننت أن العدل سيفسد علاقتك مع من تحب فاعلم بأن الله تعالى سيتكفل بتسويتها ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ .

سادساً

ولتتآلف القلوب إياك وأن تكون **ذا وجهين.** فكن واضحاً صادقاً مع الصديق والعدو، والغني والفقير. ولا تجلس في مجالس السوء التي يتكلمون فيها عن إلهك ودينك وإخوانك بسوء في ظهر الغيب فهذه الصورة إحدى صور ذي الوجهين وهي من صور النفاق ﴿فَلَا تَقْعُدُوا

مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ﴾ .

ومن صور ذي الوجهين التقلب بين المؤمنين والكفار عند انتصار أي فريق منهم للحصول على الفتات من لعاعة الدنيا، ومن صوره مخادعة الله تعالى، ومراءاة الناس في العبادة، والتذبذب بين الفريقين، وموالاة الكفار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ .

لست ذا وجهين إذا اغتبت ظالماً فتكلمت عنه فيما يخص ظلمه إذا كنت مظلوماً ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ . ومن أشهر الظَّلَمة الذين تجوز غيبتهم والكلام عن ظلمهم هم أهل الكتاب فإنهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ ، وقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ . لقد أخذت منهم المواثيق فنقضوها ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ ، وسعوا في قتل نبي الله عيسى عليه السلام، بل تفاخروا بادعاء قتله، وتعاملوا بالربا وأكلوا أموال الناس بالباطل. فهؤلاء يجب فضحهم لعظم فسادهم، فلو لم تجهر بسوئهم وفسادهم لأفسدوا عليك أمتك وأهل الأرض كذلك.

سابعا

كونوا أمة واحدة وجماعة واحدة متآلفة **تحت راية واحدة وهي عقيدة التوحيد**، فالأنبياء من بني آدم كلهم عائلة واحدة من أب واحد وأم واحدة، جميعهم إخوة لعلات، وأنت سيدهم وخاتمهم، فأنت المقدم بشهادة الله تعالى وشهادة الملائكة ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ .

إنهم عائلة واحدة بكمال عبوديتهم لله وحده، لا بسبب وجود نسب بينهم وبين الله تعالى كما يزعم النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام، إنما هو عبد لله تعالى. كذلك الملائكة عبيد لله تعالى، لا كما يزعم مشركو العرب من وجود النسب بين الله تعالى وملائكته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ ، فكونوا أمة واحدة، فجميعكم إخوة، لُحمة واحدة، معتصمين بالله تعالى وحده ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾﴾ .

فأنتم والأنبياء أمة واحدة، وعائلة واحدة، تنتمون إلى أصل واحد وعقيدة واحدة. والأنبياء أخوة لعلات «الأنبياء أولاد عِلّات» عقيدتهم

في الله واحدة وشرائعهم شتى، يرث كل نبي النبوة من أخيه النبي كما يرث الأخ أخاه في النسب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ﴾ . فالنبي محمد ﷺ أخو الأنبياء، فهو وحده الذي ورث النبوة من جميع الأنبياء قبله ونسخ شرائعهم، ولا ناسخ لشريعته.

فكونوا بتآخيكم على عقيدة التوحيد عقيدة الأنبياء وتآلفكم على الأصول الثلاثة وتمسككم بهذه الشريعة وحسن تعاملكم مع بعضكم بعضاً أمة واحدة، وأسرة متحابة مترابطة، ذات أخلاق سامية ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ .

فابتدأت السورة بالأخوة وانتهت بالأخوة .**هذا مقصد سورة النساء: بيان الطرق التي بها تتآلف الأمة وتتآخى،** وهو الأصل الثالث لدعوة التوحيد المباركة.

وهذه الأصول الثلاثة وهي توحيد الله تعالى ومتابعة النبي ﷺ وتزكية النفس لخصها رسول الله ﷺ بقوله «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله» رواه البخاري. وهو فحوى

قول النبي ﷺ : «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[1]. هذه الأصول الثلاثة هي العهد الذي عاهد الله تعالى عباده عليه.

(١) رواه أحمد وصححه الحاكم والألباني .

سورة المائدة

الدخول في الإسلام يعني عقد **الميثاق مع الله تعالى** للحفاظ على الأصول الثلاثة لدين الإسلام وهي: التوحيد والاتباع والتزكية، فيجب الالتزام به، لذا استهلت سورة المائدة بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ ، وسوف يحاسب العبد يوم القيامة على هذا الميثاق الإلهي ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ ، وبهذا الحدث ختمت السورة. **وهذا مقصد سورة المائدة، وهو الوفاء بالميثاق الإلهي.**

إذا كانت المواثيق تعقد مع ملوك الدنيا لجني بعض المصالح فإن **ثمرة الميثاق مع ملك الملوك** تحقق أعظم المصالح وأتم النعم. هذه المصالح هي الحفاظ على الدين، والنفس وتشمل البدن والروح، والعرض، والعقل، والمال، وتآلف الأمة.

فمن جعل نصب عينيه الالتزام بهذا الميثاق العظيم القائم على تعظيم الله تعالى وتعظيم دينه وشعائره وحرماته ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ تكفل الله

تعالى له بإكمال دينه وإتمام النعم عليه ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ . فهذه أعظم المصالح المترتبة على الميثاق الإلهي وهي الحفاظ على الدين.

أما دور الميثاق الإلهي في الحفاظ على النفس والتي تشمل البدن والروح فله عدة صور. منها على سبيل المثال تطهير مطعمه وإطابته وذلك بإباحة جميع المطعومات الطيبة وتحريم المطعومات التي تفسد بدنه وتفسد أخلاقه مع الله تعالى ومع الخلق ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ الآية.

ومن الحفاظ على النفس تطهير أصله الذي يتحقق بتطهير المنكح وإطابته إما بنكاح المحصنات المؤمنات أو نكاح المحصنات الكتابيات، وهذا يندرج كذلك في مصلحة الحفاظ على العرض. ويتبع ذلك تطهير الروح من الأحداث الصغرى المتعلقة بمقدمات الجماع وغيره بالوضوء لاسيما ساعة الاتصال مع الله تعالى ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ ، وتطهيرها من الأحداث الكبرى كالجنابة والجماع وغيرها بالاغتسال ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾ لتكتمل طهارة النفس وتتم النعمة.

فالنعم قرينة الالتزام بالميثاق الإلهي، فكلما التزمتم بالميثاق الإلهي

حفظ الله لكم النعم تامة وحفظ لكم أنفسكم من جميع الجوانب، وأعلى صور حفظ النفس حفظها من القتل ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ .

إن هذه المنح الإلهية من إباحة جميع المطعومات إلا النزر القليل من المحرمات، إضافة إلى إباحة النكاح الطاهر من المحصنات المؤمنات ومحصنات أهل الكتاب هي منحة إلهية إكراماً لمن وقّع عقد الميثاق مع الله تعالى، كما تجري الكرائم والمنح للمعقود معهم في الاحتفالات العظمى عند توقيع العقود الكبرى، لاسيما عقود الملوك.

إن الميثاق الإلهي يتضمن مواد تفعّل العمل بالأصول الثلاثة وترسخها في قلوب المؤمنين بها .**فما هي مواد الميثاق الإلهي؟**

إن مواد الميثاق الإلهي المطلوب هي مواد الميثاق الذي أخذه الله تعالى على بني إسرائيل والذي مآله الحفاظ على الضروريات الست ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ ، فاحذروا نقضه. فبنقضه تحل لعنة الله، وتقسو القلوب، وتشتعل حينئذ العداوة والبغضاء بينكم ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ

ﭐلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ ، لتقضي على جميع المصالح من ذهاب الدين وإزهاق النفوس وفساد الأبدان والأرواح وانتهاك الأعراض وضياع الأموال وذهاب العقول وتمزق الأمة.

وتفصيل الميثاق ما يلي:

أما فيما يتعلق **بالإيمان بالرسل** ﴿**آمنتم برسلي**﴾ فهو الإيمان بهم جميعاً، وعلى رأسهم رسولنا محمد ﷺ الذي جاء بالنور من عند الله تعالى ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ ، فكونوا وسطاً في تعاملكم معه بلا غلو ولا تفريط.

فإياكم والغلو فيه كما غلت النصارى في رسولهم فقالوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ . وإياكم والتفريط فيه بتكذيبه زاعمين أنه ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾ ، أو خذلانه كما خذل بنو إسرائيل موسى عليه السلام فقالوا ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾، أو السعي في قتله حسداً كما قتل أحد ابني آدم أخاه ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ فهذا فساد في الأرض يستحق صاحبه أن يعاقب عليه بحد الحرابة وإلا استشرى القتل في الأرض ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ، وفي

ذلك حفظ للنفوس.

ومن بنود الميثاق الإلهي إيتاء الزكاة ﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ . فبالزكاة والتقرب إلى الله تعالى والتوسل إليه ببذل المال والمجاهدة في ذلك ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ يحفظ الله تعالى لكم أموالكم شرعاً وقدراً. إن مما شرعه الله تعالى لحفظ الأموال المعاقبة بحد الحرابة لقاطع الطريق الذي يغصب أموال الناس وقطع يد السارق ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ ، بلا محاباة للأشراف في إقامة هذه الحدود ولا تحريف النصوص الشرعية لأجلهم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ لاسيما مع سراق المال أكالي السحت، وهذه بعض صور حفظ المال وهو أحد المصالح المترتبة على الميثاق الإلهي.

ومن بنود الميثاق الإلهي تعزير الرسول ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ ، وهو مؤازرته وطاعته وتحكيم شريعته ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ بلا تحريف ولا تبديل ولا اتباع للهوى ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ ليحفظ لكم دينكم. ويشمل تحكيم شريعته إقامة الحدود والقصاص ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ فتحفظ حينئذ النفوس والأموال.

ومن تعزيره موالاة من والاه ومعاداة من عاداه وهي قاعدة «الولاء والبراء». من ذلك التبرؤ من اليهود والنصارى وعدم اتخاذهم أولياء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾، والتبرؤ ممن اتخذ دين الإسلام هزواً ولعباً، لاسيما أهل الكتاب الذين ما من مفسدة وخسيسة إلا وتحلوا بها فباءوا بلعنة الله وغضبه ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ . فمن والى اليهود والنصارى وتشبه بهم وسار على نهجهم فلم يحكم بالشريعة الإلهية وحكم بالقوانين الوضعية فقد خالف الميثاق الإلهي إذ لم يعزر الرسول ﷺ وباء بغضب من الله تعالى، بينما من عزره فأقام الشريعة الإلهية كفَّر الله عنه سيآته وأدخله جنات النعيم وأكل من فوقه ومن تحت رجليه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ .

ومن تمام الولاء والبراء تحذير المؤمنين منهم وبيان أحوالهم، فلا تخشوا حينئذٍ سطوتهم وزيادة طغيانهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فعلى قدر إيمان العبد بالله تعالى ويقينه به والتزامه بشريعته يحفظه الله تعالى منهم ويحفظ مصالحه ويؤِّمنه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

ومن أعظم بنود الميثاق **بذل القلوب والنفوس والأموال لله تعالى وفي طاعة رسله وإقراضه إياها، بدلاً من بذلها مجاراة للهوى** لاسيما في

الحب والبغض وحب النفس، وهذا أفضل أنواع القروض الإلهية ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن يقرض المرء ربه أعز ما يملك ولا يجاري فيها هواه.

لقد وقع أهل الكتاب في طرفي نقيض، فبسبب الهوى كذّب اليهود بالأنبياء وسعوا في قتلهم ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ . بينما الهوى جعل النصارى يؤلهون رسول الله عيسى عليه السلام ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ ، فهذا نقض للميثاق الإلهي.

ومن مجاراة الهوى الوقوع في المعاصي، والتحايل على الأحكام الشرعية، وغض الطرف عن المنكرات وعدم التناصح، وموالاة الكفار لتحصيل مصالح خاصة توافق الهوى ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ﴾ .

ومن مجاراة الهوى رؤية النفس والعجب الذي يصاحبه إزراء بالآخرين، وهو مرض الكبر الذي تميز به اليهود والمشركون، فاشتدت قلوبهم قسوة ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ﴾ .

ومن مجاراتهم للهوى الغلو والتفريط في الأطعمة. فغلوا في تحريم بعض الطيبات، بينما فرّطوا في أطعمة أخرى وتعدوا فاستباحوا المحرمات وتحايلوا عليها ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ . واعلموا أنه إذا حرم أحدكم على نفسه شيئاً من الطيبات بيمينه يمكنه أن يكفر عن يمينه ويحنث، ولكن لا يغلو فيحرمه قربةً إلى الله تعالى فإن هذا من مجاراة الهوى وهو يخالف أحد بنود الميثاق الإلهي.

واعلموا بأن الله تعالى إذا حرم المطعومات إنما يحرمها لغاية عظمى ومصالح كبرى، لا يحرمها بلا مصلحة كحالكم اتباعاً للهوى. فمن هذه المصالح العظمى الحفاظ على العقل من زواله ومن اغتيال الشياطين له كتحريم الخمر. ومنها الحفاظ على المال كتحريم الطعام والأنعام المستفادة من الميسر. ومنها الحفاظ على تآلف الأمة واجتماعها كتحريم الخمر والميسر اللذين يسببان المعاداة والتباغض بين أبنائها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ .

ومن المصالح الكبرى المترتبة على تحريم بعض المطعومات الحفاظ على الدين، فيحرم منها ما كان فيه إفساد للقلب فيصده عن ذكر الله وعن الصلاة كتحريم الخمر والميسر، وما كان في تناولها تعظيم للشرك كالمذبوحة على الأنصاب أو المستقسمة بالأزلام ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ

﴿وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ . ومنها ما يحرم التعرض لها والاعتداء عليها تعظيماً لله ولشعائره كصيد المحرم أو المهداة إلى الكعبة البيت الحرام، أو المشعرة لله تعالى والمقلدة ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾ ، فجميعها في حق المعتدى طعام خبيث. بينما سائر المطعومات غير المذكورة في السورة مباحة، فلا تتنطعوا وتتكلفوا السؤال عنها فتكونوا سبباً في تحريمها ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ .

أما البحيرة والسائبة والوصيلة والحام الموقوفة على الآلهة فهذه لا حرمة لها، فيجوز نحرها وأكلها ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾ ، بل تحريم أكلها وتحريم التعرض لها مفسد لدين العبد ونقض للميثاق الإلهي.

إن مجموع البنود المذكورة سابقاً هو ميثاق الله تعالى، **فتمسكوا به وادعوا الناس إليه،** حينئذٍ ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، واجعلوه وصيتكم لأبنائكم وذويكم، ووثقوا هذه الوصية بالإشهاد عليها. فإذا كان المحتضر حريصاً على وصية المال، فمن باب أولى أن يحرص على وصية الدين وميثاقه مع الله تعالى فيشهد عليها ويوثقها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ .

لقد تم بيان ما هو الميثاق الإلهي وما هي المصالح العظمى المترتبة عليه. فاعلموا **أن الله تعالى سائلكم عن هذا الميثاق يوم القيامة، بل سيسأل جميع الرسل عنه** ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ ، حتى يسأل آخرهم وفاة وهو عيسى ابن مريم عليه السلام الذي سوف ينزل قبل قيام الساعة ويأخذ بهذا الميثاق الذي نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويعمل به، لقد أيده الله تعالى بمعجزات كثيرة ليلتزم بنو اسرائيل بهذا الميثاق ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ .

لطيفة: من هذه المعجزات المائدة السماوية، وهي منحة إلهية بطلب من الحواريين احتفاءً بالميثاق الذي عقدوه مع عيسى عليه السلام لإيمانهم به وبما جاء به، ووردت في آخر السورة ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ . ولكن المنحة الإلهية من الأطعمة والأنكحة الدائمة والمتنوعة لأمة النبي صلى الله عليه وسلم -الواردة في أول السورة- احتفاءً بعقدهم الميثاق مع الله تعالى ودون طلب منهم أعظم وأكرم.

فسيسأل الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام عن هذا الميثاق ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ ، وسيتبرأ البراءة التامة ممن عبده فنقض بذلك الميثاق الإلهي، ويعلن عيسى عليه السلام انقياده التام لله تعالى وكمال عبوديته له والتزامه بالميثاق الإلهي ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا

مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ . حينئذ لا يفوز إلا من تمسك بميثاقه ووفّى بعهده وصَدَق وعده مع الله تعالى فحافظ على الأصول الثلاثة بالتزامه ببنود الميثاق ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ .

هذا مقصد سورة المائدة: بيان مواد الميثاق الإلهي المعقود بين الله تعالى وبين عباده، والمصالح المترتبة عليه، ووجوب الوفاء به.

سورة الأنعام

إن الميثاق الإلهي قام على قواعد ثابتة، وأدلة قاطعة، وحجج دامغة، وبراهين ساطعة لإثبات صحة دعوة التوحيد وتفرد الله تعالى بالألوهية.

أول هذه الأدلة التي تشهد بتفرد الله تعالى بالألوهية تفرده سبحانه بخلق هذا الكون والعالم المشاهد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ ، فهو الرب الأوحد، فهو أولى بأن يفرد بالعبادة.

وثانيها

أنه هو الأوحد الذي اجتمعت له جميع الأسماء الحسنى واتصف بجميع الصفات العلى على أكمل وجه، فله كمال الحمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ . فعلى سبيل المثال لأسمائه الحسنى اسم «الله»، فهو الأوحد الذي تفرد باسم «الله» في السماوات وكذا في الأرض ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ ، فدل على ما وراءه من أسماء حسنى بالتضمن.

وأما صفاته العلى فهو الأوحد المعبود بحق في السماء والمعبود بحق في الأرض. وهو الأوحد الذي يعلم كل شيء، ويخلق ما يشاء، ويجعل -أي يصيِّر- ما يشاء ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ ، ويقضي بما يشاء، ويهلك من يشاء، ويمكّن لمن يشاء، ويرسل ما يشاء، وينشئ وينزل ويُنْظِر ويرحم ويجمع ويملك على أكمل الوجوه وأتمها ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ . فهو المتفرد بذلك ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ، فهو أولى بأن يفرد بالعبادة.

ثالثها

أنه المتفرد بالملك التام لكل شيء ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ ، وجَمَع كل لوازم الملك ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ ، فهو المستحق للإفراد بالعبادة.

رابعها

شهادة أوثق الشهود على صدق النبي ﷺ مما يقتضي تصديق ما جاء به من رسالة التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة. فأعظمها شهادةً اللهُ تعالى ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ ، ثم شهادة أهل الكتاب، وشهادة الكفار لك بالصدق والأمانة، وشهادة قلوب

الكفار على بلاغة القرآن وفصاحته بما لا يستطيعون دفعه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ .

إنهم وإن تظاهروا بتكذيبك فإنهم سيعترفون بصدق ما جئت به من التوحيد إذا ما وقفوا على النار ووقفوا على ربهم. فعليك بالصبر، فنحن نعلم شدة حزنك ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ .

وسيزيد تعنتهم بطلب المزيد من الآيات ليشهدوا بصدق ما جئت به ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ، فلا تستجب لمطالبهم فإن عذابهم قريب، وإن مصيرهم مصير الأمم السابقة المتعنتة ﴿... أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ . ولا ترهق نفسك بمراعاتهم، وإنما عليك بمراعاة أتباعك الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ ، ولا يضرك تشكيكهم في صدقك وصحة ما جئت به ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ .

خامسها

أنه هو وحده العالم بأحوالكم، وبيده وحده مفاتح رحمتكم ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ . فبعلمه ورحمته يسر لكم جميع وسائل الراحة والرفاهية في الحياة ابتداءً من خلودكم إلى النوم إلى

استيقاظكم لقضاء المعاش ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ ، وهو وحده الذي يحفظكم وينجيكم ويكشف عنكم الضر، مما يقتضي أن يكون وحده المستحق للعبادة.

سادسها

أنه المتفرد بكمال القهر والقوة والتصريف والتدبير ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ . فهو الذي يتوفاكم بالليل، ويبعثكم بالنهار، ويتوفاكم وفاة الموت، وله كمال القدرة ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابًا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ ، مما يقتضي أن يفرد بكمال الذل والخضوع وكمال الحب، فيفرد وحده بالعبادة.

سابعها

عند اشتداد المصائب لا يلجأ الكفار إلا إلى الله وحده لينجيهم منها ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً﴾ مما يقتضي يقينهم بأنه وحده الذي يستحق أن يفرد بالعبادة.

وهذا إقرار ضمني منهم أن آلهتهم المزعومة لا تملك نفعاً ولا ضراً عند اشتداد الخطوب ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ ، فهذا ثامنها.

تاسعها

شهادة جميع العقول السليمة وأصفياء العالم وخيارهم على وحدانية الله تعالى في الألوهية، وعلى رأسهم أبوكم إبراهيم الخليل ﷺ الذي صدح بها بين أظهرهم ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ وأقام الحجة على قومه في ذلك ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ﴾ . وكذا سائر الأنبياء صفوة بني آدم رفعوا لواء دعوة التوحيد وشهدوا بوحدانية الله تعالى في العبادة ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ﴾ .

عاشرها

القرآن المعجز الذي نطق بواحدنية الله تعالى والمصدق لما جاء في الكتب السابقة المتطابق معها في وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ، مما يقتضي عبادة الله وحده.

والحادي عشر

هذا النظام الكوني المشاهد المتقن تمام الإتقان ابتداءً من الذرَّة والبذرة ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ﴾ وانتهاء بالسموات والأرض ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ﴾ يسير في ميزان واحد ونظام محكم بنفس القوانين الضابطة بلا خلل يعضد بعضها بعضاً، فالمدبر واحد مما يدل

على وحدانيته. فكيف يلجأ إلى غيره؟ ويعبد معه إله آخر؟

أليست هذه بصائر وحجج باهرة؟ ولكنهم يتذرعون بأوهى الاعتراضات ليعرضوا عنها، فتارة يقولون ﴿دَرَسْتَ﴾ وأخذته ممن سبقك، وتارة يتعللون بأنك سببت آلهتهم، وتارة يسألون آية جديدة، وتارة يفترون افتراءات عدة مزخرفة صادرة عن مكر مستمر من قبل شياطين الإنس والجن ومردتهم فيعترضون عليكم اعتراضات متهافتة في بعض مسائل التشريع كقولهم: كيف تحرمون ما قتله الله تعالى كالميتة وتبيحون ما قتلتم بأيديكم؟ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ﴾، وتارة أخرى يقولون ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ﴾.

فمن أخذ بهذه البصائر أحيا الله قلبه، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وشرح صدره ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ﴾، وكان على الصراط المستقيم، وفاز بولاية الله تعالى و﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ﴾. ومن أعرض عنها واستجاب لشبه الجن والإنس تقلب في الظلمات ليس بخارج منها، وضاق صدره، وسيجد عاقبته معهم في الدنيا ويوم الحشر ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ﴾.

الحجة الثانية عشرة

يُعرف قَدْرُ الشيء بمعرفة ضده. انظر إلى سفاهة شريعة الآلهة الشركية، حيث جعلوا بساتين موقوفة للآلهة وبساتين أخرى موقوفة لله تعالى ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ . وانظر إلى شريعتهم في قتلهم لأولادهم، وتحريمهم لأنعام وحرث بلا علل ولا مصالح، وأنعام حرموا ركوبها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها، وأنعام محرمة على النساء ومباحة للرجال.

قارن بين تلك الشريعة التافهة وعظم شريعة الوحي شريعة التوحيد التي أباح الله تعالى فيها الانتفاع بالجنات المعروشات وغير المعروشات، وأباح جميع الأنعام إلا الشيء اليسير مما غلبت مفسدته على مصلحته ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ .

لما أقيمت عليهم هذه الحجج العظيمة ولم يحيروا جواباً احتجوا بالقدر على كفرهم ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ .

فانظر إلى عظمة حججنا الباهرة، واستمر في التنزه في بساتين شريعة الله تعالى في جميع شئون الحياة ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ التي حرم فيها الشرك، وأمر بالإحسان إلى الوالدين، ونهى عن القتل والفواحش وأكل مال اليتيم، وأمر بإيفاء الكيل وبالعدل والوفاء بالعهد والاستقامة، هذا هو الصراط المستقيم. فشريعة التوحيد كلها بركة وخير وحكمة ونفاسة.

هذه الوصايا الواردة في شريعة التوحيد مصدقة للشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾ ، وأقرها الله تعالى في القرآن الذي نزل على نبيه محمد ﷺ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ ، وهذه هي الحجة الثالثة عشرة.

بعد إقامة هذه الحجج هل ينظرون إلا إهلاكهم أو الساعة؟! فتبرأ منهم ومن فرقهم، وخذ بجمال شريعة التوحيد ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ ، وَسِرْ على ملة إبراهيم ﷺ التي تاجها الإخلاص لله تعالى، وليكن دأبك عبادة الله وحده الذي دلت عليه الحجج القاطعة ﴿... إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ .

هذا مقصد سورة الأنعام: ذكر الحجج الباهرة والأدلة القاطعة على ألوهية الله تعالى وحده. فانطلق بهذه الحجج الباهرة، وادع الناس إليها، وأنذرهم من التخلف عن ركبها.

سورة الأعراف

إذا اعتقد العبد العقيدة الصافية وتسلح بالحجج الباهرة فلابد وأن **يدعو الناس إليها وينذرهم بها** ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، من أجل ذلك أرسل الله الرسل.

لقد أرسل الله تعالى الرسل لمصالح عظيمة ومقاصد جليلة. أولها إقامة الحجة على العباد ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ . ومنها إتمام النعمة على بني آدم بهدايتهم، وتأصيل معاداة إبليس وأوليائه، ولإرجاعكم إلى بلدكم الجنة بعد خروج أبيكم منها.

ومن مقاصد إرسال الرسل إنقاذكم من إغواء الشياطين ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ . ومنها الرد على الشبهات، وتوضيح المشكلات، وإنذار المشركين والكفار والمكذبين بألوان من العذاب يوم القيامة، وتبشير المؤمنين ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ **وإنقاذهم** من العذاب الأليم. أما أصحاب الأعراف وهم أهل الفترة ممن لم تصل إليهم الرسالة والدعوة

الصحيحة أو وصلتهم مشوهة فلهم حكم آخر[1].

ومن مقاصد إرسال الرسل ما أوجبه الله تعالى على نفسه من العناية بخلقه، إذ لا يصح لصانع أن يصنع صنعته ويتركها بلا عناية ولا رعاية، ولا خطة ولا قوانين ولا شريعة يسيرون عليها ويأتمرون بها «فَمَن خَلَقَ أَمَر» ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ . ومنها الإصلاح في الأرض والإحسان فيها والقضاء على الفساد ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

كيف تعامل الناس مع دعوة الرسل؟

من الناس أرض طيبة قبلت الرسالة وسقيا السماء فأثمرت من كل الثمرات، ومنهم أرض خبيثة نكدة ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ ، ومنهم من يتفاوت بين الصنفين.

ما هي المراحل التي واجه الكفار فيها رسل الله؟ والتي ستواجه النبي ﷺ ؟

(١) انظر روح المعاني للآلوسي «١٢٤/٨» معالم التنزيل (٤٧٧/٢) زاد المسير (٢٠٦/٣) وتحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف لمرعي بن يوسف الحنبلي (٤٨-٤٩)

أولها زعمهم أنه ربما ضل الطريق كما في قصة قوم نوح مع نوح عليه السلام، ثم الكفر به واتهامهم له بالسفاهة وتكذيبه كقوم عاد مع هود عليه السلام، ثم طلب الآيات والمعجزات والتعنت والتحدي والتكذيب بالمعجزات كقوم ثمود مع صالح عليه السلام، ثم إظهارهم الفحش والتفاحش وتجاهلهم الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قصة قوم لوط مع لوط عليه السلام، ثم الإرجاف به وتهديده بالطرد والإخراج كمدين مع شعيب عليه السلام. لقد كانت عقوبة هاتيك الأمم المكذبة الإهلاك والإبادة، بينما لو آمنوا ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

إن مصدر الأذى الذي يلحق الرسل لا يقتصر على الكفار، بل كذلك مصدره الأتباع الذين يرثون الأرض ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ كحال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، إذ أصاب موسى عليه السلام الأذي من قبل فرعون كالمراحل المذكورة في مواجهة الأقوام الكفار لأنبيائهم، وأصابه الأذى من قبل بني إسرائيل الذين ورثوا الأرض ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ . ولكن الله تعالى لا يتخلى عن الرسل والدعاة حينئذ بل يقربهم ويحبوهم ويخفف عنهم أثر هذا الأذى ويواسيهم

ويحتفي بهم، ويكلم بعضهم ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ .

من الأذى الذي أصاب موسى عليه السلام من قبل بني إسرائيل أنهم في أول موقف لهم مع موسى عليه السلام بعد أن نجاهم الله تعالى وأهلك الفراعنة طلبوا منه أن يجعل لهم آلهة، ثم عبدوا العجل، ثم سألوا رؤية الله جهرة فأخذتهم الرجفة، ولما أمروا أن يدخلوا بيت المقدس خاضعين استهزؤوا واستخفوا بتلك الأوامر، وتحايلوا على شريعة الله تعالى كقصة أصحاب السبت، ولهثوا خلف الشهوات المحرمة مسوفين التوبة ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ .

وغلب عليهم نقض المواثيق سواء ميثاق العمل بالتوراة الذي أخذ عليهم لما رفع عليهم الطور ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ ، والميثاق الفطري الذي فطرت عليه القلوب وأقرته ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ، والميثاق الخاص بالعلماء بالصدع بالحق وبيانه وعدم الانسلاخ منه بتوظيفه في مجاراة الأهواء المحرمة ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ . فنقضوا جميع هذه المواثيق، بل وألحدوا في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

فيا أيها الأتباع! احذروا إيذاء الرسل. ويا أيها الناس! راجعوا أنفسكم وأعيدوا النظر والتفكير في تعاملكم مع الرسل قبل أن يأتي

أجلكم ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ .

ولكن ذلك لا يقتضي أن ترفعوا الرسل فوق مقامهم. فالرسل حاملو الرسالة الإلهية هم بشر ليسوا آلهة، فهم لا يعلمون الغيب ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فلا ترفعوهم فوق مقامهم وتجعلوهم شركاء مع الله فإن أصل الرسالة الإلهية محاربة الشرك بالله تعالى.

فاحذروا الشرك بالله تعالى! فإن للشيطان تلبيساً ومداخل عدة لِبثِّ الشرك في قلوب الناس وهم غافلون لاسيما عن طريق الغلو في الأنبياء والصالحين، واستغلاله لحالات الضعف التي تعتري بني آدم وشدة احتياجه، فتنبهوا لهذه المداخل. إذ كيف يشرك بالله و﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وتوالت نعمه عليكم، بينما الشركاء المزعومون ما هم إلا ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ لا يخلقون شيئاً وهم مخلوقون. وهي لا تملك النصر لعابديها ولا لنفسها، ولا تجلب النفع لها، بل عاجزة تمام العجز ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ؟

فعلى الرسل أن يواجهوا تلبيسات الشيطان على بني آدم بمجموعة من الوصايا في تبليغهم رسالة التوحيد ليعينهم الله تعالى ويستقبل الناس الرسالة بصدر رحب. منها التخلق بالعفو، والتدرج في

الدعوة، والأمر بالمعروف بالوسيلة المتعارف عليها، والحلم ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ ، والاستعانة بالله تعالى على ذلك، والاستعاذة بالله تعالى من نزغات الشيطان ومما يلقيه في قلوب الدعاة ليصرفهم عن دعوة الناس، وعدم الإصرار على الخطأ إذ لا تخلو تصرفات الدعاة من الخطأ مع المدعويين وفي تقديرهم للأمور، ومتابعة الوحي وعدم التنازل وعدم المداهنة فيه بقصد كسب الناس، والتسلح بالعلم، وتعظيم الله تعالى والتأدب معه ومع كلامه ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ ، والمواظبة على الذكر بالغدو والآصال وعدم الغفلة ليصقل القلب ويكون عوناً على الدعوة فإن الشيطان يتصيد هذه الغفلات التي تعتري بني آدم ليهجم عليه بتلبيسه وإضلاله ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ .

وفي الخاتمة: اعلموا بأن الله تعالى غني عن استجابة الخلق لدعوة الرسل، فهو غني عن عباده. فإن استكبر البشر عن عبادة الله تعالى وعن الاستجابة للرسل فالذين ﴿عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ .

هذا مقصد سورة الأعراف: إرسال الرسل، ومقاصد إرسالهم، وكيفية تعامل الناس معهم من الأعداء والأتباع، ومكانتهم، والوصايا لهم في تبليغ الرسالة.

سورة الأنفال

المال وسيلة وليس غاية. فالمال لله تعالى، أجراه بينكم ليكون وسيلة لتحقيق المقصد من الخلق وهو تقوى الله تعالى، وليتآلف أفراد الأمة، ويصلحوا ذات بينهم لتبني أمة متآلفة قوية منهجها طاعة الله ورسوله ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ .

فما لكم تتنافسون على المال؟ إن التنافس ينبغي أن يكون في وجل القلب من الله تعالى وزيادة الإيمان والتوكل على الله تعالى وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ ، لا في تحصيل المال فتجعلونه مقصداً تتنافسون عليه وسبباً في تفرقكم، فيمسي حبه سبباً في الركون إلى الدنيا وعائقاً ومانعاً عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

بل إن أفضل أموالكم ما حصل عن طريق الجهاد في سبيل الله تعالى كما قال النبي ﷺ : «وجعل رزقي تحت ظل رمحي» رواه أحمد (٢/ ٥٠) لأنه حُصِّل من جراء عمل جليل تتحقق به مصالح عظمى أعلاها نشر

التوحيد وإبطال الشرك ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾ ، وبه تحصل عبادات عظمى من إخلاصٍ لله تعالى، واستغاثة به، وزحف، ومرابطة، وقتال في سبيل الله. وبه يحصل التواصل الإلهي مع العبد من تأييد ومعية ومددٍ، ونزول سكينة وطمأنينة، وتطهير وتثبيت ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ .

لذا احرصوا على الجهاد في سبيل الله، وكونوا على حذر من المجادلة فيه أو التولي عنه لاسيما يوم الزحف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ ، أو عدم الاستجابة لنداء الله تعالى ونداء رسوله للجهاد ومعصيتهما فيه، أو الانشغال بالمال والولد عنه، أو يكونان سبباً للخيانة في أمر الجهاد، أو الافتتان بهما عنه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ .

وفي المقابل إن أفضل ما يبذل فيه المال أن يبذل في سبيل الله تعالى، إذ به تتحقق مصالح عظمى على مستوى الفرد والأمة. منها أن ببذله في سبيل الله يحيي الله القلوب ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ ، ويطفئ الفتن بين أفراد الأمة. ومنها أن بذله في سبيل الله تعالى وسيلة للعناية الإلهية

بالأمة، وحلول البركة فيها، وتأييدها بالانتصارات، والزيادة في الرزق ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ . ومنها أن بذله في سبيل الله يلهم البصيرة، ويكفر السيئات، ويحفظها من مكر أعدائها ومن العقوبات الإلهية وحلول المصائب بها ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ .

انظروا إلى الكفار كيف يبذلون أموالهم بسخاء ليصدوا عن سبيل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ ، فأنتم أولى أن تبذلوه في سبيل الله. فإن فعلتم ذلك وتوكلتم على الله فإن الله سيبارك لكم فيه، وسيقلب نفقة الكفار عليهم وبالاً وحسرة، وستتحول نفقاتهم إلى مصائب عظيمة في حقهم وخسائر مالية جسيمة وانهيارات اقتصادية، وسيجعل نفقتهم سبباً في هزيمتهم ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةً ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ ، وسيجعلها غنيمة للمسلمين. ولا يتحقق هذا إلا بالتوكل على الله تعالى حق توكله.

إن التوكل على الله تعالى يتحقق بثماني مراتب:

أولها: توحيد الله تعالى وموالاته ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ﴾ .

ثم التعرف على أسمائه الحسنى وصفاته العلى لنركن إليه وإلى عظمته وقدرته ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ وعزته وحكمته وقوته وعقوبته

وإحاطته بكل شيء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ .

ثالثها: بذل الأسباب المقدورة من الاستعداد للقتال والخروج له، وتجنب أسباب الفشل والهزيمة كالتنازع والخروج بطراً ورياءً كحال الكفار ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ .

ثم تفويض الأسباب غير المقدورة إلى الله تعالى فإنه سيتولاها كتقليل هيبتهم في قلوب المؤمنين، وتقليل عددهم في أعين المؤمنين، وخيانة الكفار بعضهم بعضاً، وتخاذلهم في مناصرة بعضهم والنكوص في ذلك، وتسخير الملائكة وتسليطهم على الكفار ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ .

خامسها: الاستجارة بالله تعالى وركون القلب إليه بِعكس الكفار في استجارتهم بالشيطان قال: ﴿وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ .

ثم حسن الظن بالله تعالى والتصديق بوعده بنصر المؤمنين مقابل حسن ظن الكفار بشياطينهم، لتكون نهايتهم شر نهاية كسائر الأمم المكذبة كما وعد بذلك ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ .

سابعها: التسليم لله تعالى والرضا بقضائه قبل نزوله، ومعرفة سننه في قضائه. منها أن سبب زوال النعم وتغيير الأحوال إلى نقم هو تغير ما في النفوس وإن بلغ أصحاب النعم مبلغهم في الدنيا واستبعد أهل الإيمان تغير أحوال أولئك ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ كما غيّر حال آل فرعون.

ومنها أن الصدق من أعظم أسباب الانتصارات، فكن صادقاً مع الله تعالى ومع الناس، ولا تنقض عهودهم فإن نقض العهد من أسباب الهزيمة، ولا تخنهم وإن خانوك، فإن رأيت منهم خيانة ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ . وأن النصر لا يأتي بالكسل وترك إعداد العدة للجهاد بل لابد من الاستعداد للقتال ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ .

ومنها أن التفرق من أكبر أسباب الهزيمة لاسيما التفرق عن القائد، لذا لابد من السعي في التأليف بين قلوب المجاهدين وجمعهم حول قائدهم. وأن علو الهمة ورفعها في قلوب المجاهدين له دور كبير في الانتصار بل هي بمثابة عشرة أضعاف قوة العدو عدداً وعدة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾، وأن لا يكون تحصيل الغنيمة وعرض الدنيا هو الغاية الكبرى من الجهاد. ولا بد من الاعتقاد بأن قضاء الله تعالى الذي سيحل كله

حكمة وفيه عزة لدين الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

ثامنها: الرضا بقضاء الله بعد حلوله.

بهذه المراتب الثمانية يتحقق التوكل على الله تعالى فينصركم على أعدائكم، ويمكنكم من رقابهم، فتأسرونهم وتغنمون أموالهم ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾ .

إن الجهاد بالمال من أعظم أنواع الجهاد، فلينفق في مصارفه الصحيحة الحسنة. منها التعبئة لنشر التوحيد في أقطار الأرض، وإعداد العدة للجهاد ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ ، وفي تأليف القلوب، ومواساة الإخوان وإيوائهم ومناصرتهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ ، وفي صلة الأرحام وأداء حقوقهم، حينئذ يعوضكم الله عن كل نقص أضعافاً مضاعفة ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ . ولكن يجب أن يكون الجهاد بالمال خالصاً لوجه الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

هذا مقصد سورة الأنفال أن دعوة التوحيد تتطلب الجهاد بالمال لاسيما إذا اقترن بالجهاد بالنفس.

سورة التوبة

كما أن نشر دعوة التوحيد يتطلب الجهاد بالمال، فهو **كذلك يتطلب الجهاد بالنفس.**

بيان ذلك أن بقاء هذه الأمة صافية نقية يتطلب منها **البراءة من أعدائها** ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١﴾ ، لاسيما المندسين فيها.

هذا يعبّئ ضدكم قلوب أهل الكفر، ويقودهم إلى التخطيط والتعبئة لقتالكم. فلا تنتظروا مباغتتهم لكم بالقتال، وأعلنوا البراءة العامة من المشركين، وأمهلوهم مدة، فإذا انتهت المهلة فأعلنوا القتال العام إلا من كان له عهد، أو من تاب وأسلم، أو من استجاركم ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ .

لقد شرع الله قتال الكفار لعدة مقاصد وأسباب، أعظمها نشر دعوة التوحيد ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، ولافترائهم على الله، ولأنهم إذا ظفروا بكم لا يراعون فيكم نسباً ولا عهداً، ولإعلانهم الحرب على الله تعالى، وصدهم عن سبيله،

ونقضهم العهود، وطعنهم في دين الإسلام، وإخراجهم الرسول ﷺ والمؤمنين، وبدئهم بالاعتداء عليكم، وانتقاماً للمؤمنين الذين ذاقوا منهم الويلات، وليتميز صادق الإيمان من غيره، ولتسلطهم على الديار المقدسة ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾.

أما **إذا اعترضوا عليكم**: كيف تقاتلون قريشاً أهل المسجد الحرام وسدنته وهم أهلوكم ليحل محلهم أناس أجانب؟

فالجواب: أما قتالهم فلأنه صدر منهم جميع ما سبق من الجرائم. إذ كيف يُعمر المسجد الحرام بالشرك والكفر وبمن اقترف تلك الجرائم؟ إنما يجب أن يعمر المسجد الحرام بالإيمان ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾.

أما كونهم سدنته: فأين سقاية الحجيج من الإيمان بالله واليوم الآخر وإقامة الصلاة والخشية من الله تعالى والهجرة إليه والجهاد في سبيله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾.

وأما كونهم أهلينا: فالمؤمنون هم أهل الله، فلا يجوز الركون إلى

الكفار وتقديمهم على المؤمنين ولو كانوا أباء أو إخواناً ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ . فمن ركن إلى غير الله تعالى وكله الله إليه، سواء كان أباً أو أخاً أو ابناً أو عشيرة أو مالاً أو تجارة أو مسكناً بل حتى الإعجاب بكثرة عدد المؤمنين، وليست أحداث غزوة حنين عنكم ببعيدة لما ركن بعض المؤمنين إلى كثرتهم ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ .

فإذا تبينت مقاصد القتال تبين حينئذ **أن القتال لا يقتصر على قتال الكفار الأقارب** بل يشمل جميع الكفار. فالعلة الجامعة هي نجاسة الشرك ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ ، فيدخل فيه مشركو العرب ومشركو غير العرب وكفار أهل الكتاب.

أما مشركو العرب وغير العرب فقد تم بيان سبب قتالهم. وأما كفار أهل الكتاب فلأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر إيماناً حقيقياً، ولا يلتزمون بالشريعة، ولا يدينون بدينهم حقاً ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ، ولادعائهم بنوة عيسى عليه السلام وعزير عليه السلام، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وسعيهم الحثيث لإطفاء نور الدعوة، ولفساد علمائهم

الأحبار والرهبان إذ دأبوا على أكل أموال الناس والضعفاء بالباطل وأكل أموال الأوقاف ولصدهم عن سبيل الله ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ .

إن جهادهم بالسيف أمر جليل، والنصر فيه متحقق ولو باثنين إذا توفرت ضوابطه، بينما التخلف عنه جرم كبير ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ، إلا من كان معذوراً أو كان في شهر حرام صحيح لا شهر حرام مزور ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ .

ولجلالة الجهاد يفتضح المنافقون عند الدعوة إليه، فتراهم يتخلفون عن الخروج له، وإذا خرجوا لا يخرجون معكم إلا مع قوتكم وضعف عدوكم ونفاسة الغنيمة وقلة المشقة ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ ، ويتعللون بالعلل الواهية والاعتذارات القبيحة الساقطة. ولكن اعلموا بأن عدم خروجهم معكم فيه خيرٌ كثير فإنهم ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ وهذا من علاماتهم وفضائحهم.

ومن فضائحهم عند الدعوة إلى الجهاد أنهم يستاؤون إن أصابتكم حسنة ويفرحون بمصائبكم الجهادية شماتة ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ

﴿يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾ ، ويتخلفون عن الجهاد بالمال، وإن أنفقوا لا ينفقون إلا وهم كارهون، ويفرون منكم عند وقوع المصائب مع كثرة حلفهم أنهم منكم.

ومن فضائحهم فيه كثرة تسخطهم عليكم إذا لم يحصلوا على شيء من صدقات الجهاد **﴿فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾** ، وكثرة إيذائهم للنبي ﷺ في الأمور المتعلقة بالجهاد والاستهزاء به وبأصحابه رضي الله عنهم، ودأبهم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والبخل، ويعاهدون الله وينكثون، ويلمزون المتصدقين للجهاد من الأغنياء والفقراء، ويثبطون الناس عن الخروج إليه ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ .

لا يدخل في زمرة المتخلفين ضعفاء المؤمنين ولا المرضى ولا الفقراء ولا الناصحون المحسنون الذين لا يستطيعون الخروج ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ .

إنما المتخلف المنافق من يستأذن قبل خروجكم ولا يأتي بعذر ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ ، أو يعتذر بأي عذر، أو يؤجل الاعتذار التافه إلى ما بعد

رجوعكم، أو يحلف لكم كذباً لئلا تلوموه ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ .

واعلموا أن المنافقين داخلون في ثلاث فئات: الأعراب، ومن على أطراف المدن، وأهل المدن.

أما الأعراب فأقسام: فمنهم من إذا نافق كان أشد كفراً ونفاقاً ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ ، ومنهم من يتربص بكم الدوائر، ومنهم المؤمنون الصادقون، ومنهم من هو مع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومنهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً واعترف بذنبه، ومنهم من خلط ولكن لم يعترف بذنبه ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ . **وكذا الأعراب ممن حول المدن.**

أما أهل المدن: فمنهم الصديقون السابقون ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ ، ومنهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً واعترف بذنبه، ومنهم من لم يعترف بذنبه، ومنهم المتمرد في النفاق كأصحاب مسجد الضرار ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ . فالجهاد يفضح جميع هذه الفئات.

وكما أن الجهاد يكشف عن أهل النفاق ويفضحهم فهو يكشف عن أهل الصدق في الإيمان **ويترقى بالمؤمنين إلى فضائل عظمى ومنازل عليا**، أجلّها أن يكون الله تعالى هو المشتري منهم أنفسهم وأموالهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ ، وهو المتكفل بالوفاء بوعده بالجنة. ومنها اشتماله على عبادات كبرى ومقامات تعبدية جليلة من توبة وحمدٍ لله وسياحة وركوع وسجود وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وفيه حفظ لدين الله تعالى، وفيه البراءة من المشركين ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ .

ومن فضائل الجهاد توبة الله على المجاهدين، وحفظه لهم من الزيغ، ومصاحبة الصديقين، وبلوغ درجة المحسنين، والثواب على أي نصب أو تعب يصيبهم. وفي الخروج إلى الجهاد التفقه في الدين، والفوز بمعية الله ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ والزيادة في الإيمان.

بينما التخلف عنه- بالإضافة إلى فوات فضائل الجهاد العظمى- فيه زيغ القلوب، والشعور بالاكتئاب وضيق الدنيا عليهم بما رحبت، وزيادة في مرض القلب والرجس، والانغماس في الفتن ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ ، وعدم التوفيق عند الممات، وصرف القلوب عما ينفعها ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ .

ختاماً أيها المؤمنون! احذروا العدو البعيد والقريب، ولا تتهاونوا معه، وتبرؤوا منه وجاهدوه ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ . واعلموا بأنه ليس المقصد من البراءة من الكفار والمنافقين وجهادهم سفك الدماء، وإنما لتحقيق مصالح عظمى ونشر الرحمة الكبرى التي جاء بها سيد البشر وأنفس بني آدم ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ . فإن تبرأتم من الكفار والمنافقين وجاهدتموهم فقد فزتم بموالاة سيد البشر وأنفس بني آدم، بل فزتم بالله تعالى فهو حسبكم ووكيلكم ﴿فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

هذا مقصد سورة التوبة: الجهاد في سبيل الله تعالى، ومقاصده، والفئات التي تجاهدها، وفوائده، وفضائله.

سورة يونس

إن العقيدة التي بعث بها النبي ﷺ في توحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته وفي البعث قائمة على ثوابت وأدلة قطعية وبراهين ساطعة **غير قابلة للشك** ﴿... ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ . فلا يتردد المرء في أن يجعلها حداً فاصلاً يوالي عليها ويعادي عليها ويعلن البراءة والجهاد لأجلها، فهي كالشمس في رابعة النهار.

بالرغم من ذلك لا تظنن أن الناس درجة واحدة في التصديق بها والانتفاع بنورها وفي تأثير نورها عليهم. **فهم متفاوتون في التأثر** بها كتفاوت تأثر القمر في إنارته بضوء الشمس مما أدى إلى اختلاف منازله من بدر إلى أن يصل إلى هلال ثم ينتهي بالمحاق الذي لا ينتفع بشيء من ضوء الشمس ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ . وهكذا الناس، فمنهم من يتأثر بنور الرسالة كالبدر، وآخرون يتناقص تأثرهم بنور الرسالة كتناقص الأنوار في منازل القمر التي تنتهي بالمحاق، وفي ذلك فوائد جمة. ولكلٍّ جزاؤه على قدر انتفاعه من نورها، فمن لم

ينتفع بنورها ﴿... وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ . فاثبت عليها يا رسول الله ولا يشككوك فيها .

كيف يشكون في رسالتك التي تدعو إلى عبادة الله وحده؟

وكيف يشككون فيها؟

أليس إذا مس أحدهم أقل الضر وأيسره ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ ، وأخلص لنا وحدنا؟

ألم يروا عقوبة الأمم المكذبة الشاكة المشككة ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ؟

ألم يروا المعجزات العظيمة الباهرة على يدك التي تصدق ما جئت به ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ؟

ألم يعرفوا أحوالك الطاهرة الصادقة معرفة جيدة، التي تنبئ عن صدقك وأمانتك فيما تبلغهم عن الله تعالى وعن الوحي الذي أنزل إليك ولا تفتقر إلى معجزة ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ؟

أين الأدلة على أن آلهتهم تضر وتنفع وتشفع؟ لقد أصلوها على غير برهان. إنهم لم يأتوا بدليل واحد ثم يقولون لك ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ !

بل خالفوا فيها الفطرة التي فطر عليها جميع الخلق وخلقوا عليها ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ .

أليس إذا أحاطت بهم المصائب العظمى وضاقت بهم السبل مجتمعين ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ؟ هلا سألوا الآلهة كشف الضر وجلب النفع؟

إن سبب تشكيكهم هو اختلاف قلوبهم والذي يؤدي إلى اختلاف الآراء والتوجهات، وسعي كل منهم للانتصار لرأيه ودحض ما يخالفه والتشكيك فيه ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾ .

ومن أسباب تشكيكهم خراب القلب واتصافه بمرض التعنت كطلب الآيات والمعجزات مع ظهور الحق ووضوحه، ومنها المكر، والبغي، والركون إلى الدنيا والاغترار بزخرفها ومتاعها، والعُجْب والشعور بالاستغناء والاكتفاء ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ .

إن عاقبة التشكيك على المشككين وخيمة، ومآلهم إلى سفال ﴿قُلِ

ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ . فها هي حياتهم مليئة بالخوف، واضطراب الأحوال، واضطراب القلب، وعدم الاطمئنان كحال السفينة التي تجري في ريح عاصف وبحر متلاطم الأمواج، معرّضون دوماً للعقوبة الدنيوية والهلاك ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ ، مع ما ينتظرهم من العقوبة الأخروية ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ .

فاثبت يا رسول الله على ما أنت عليه فأنت على حق وهم على باطل، **وإليك مجموعة من المثبتات:**

أولها

ابدأ بمهاجمتهم بالأسئلة التقريرية والإنكارية والإيرادات الثمانية على عقيدتهم: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾ ؟ هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده؟ هل منهم من يهدي إلى الحق؟ ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾؟

إن عقيدتهم مبنية على شكوك وأوهام، بينما إيراداتك عليهم تقرر توحيد الربوبية والألوهية الذي تدعوهم إليه.

ثانيها

هاجمهم فتحدّهم بالقرآن ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ ، فإنهم يستمعون إلى القرآن استماع تعظيم.

ثالثها

إن كلاً منهم على حدة ينظر إليك خلسة نظر إعجاب بشخصك وأخلاقك ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ﴾ ، لكنهم لا يصرحون بذلك ولا ينصاعون لك، فهم الظالمون لأنفسهم الخاسرون.

رابعها

إنا سنريك في الدنيا بعض الذي نعدهم من العقوبة، وسنريك جميعها يوم القيامة، بل ستشهد حسابهم يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ﴾ ، وسيذوقون حينئذ عقوبة تشكيكهم حين سألوك مستخفين مستهزئين﴿أَحَقٌّ هُوَۖ﴾ ؟ وسيتمنون أن لو آمنوا بما جئت به.

خامسها

إن شرعهم مبني على الافتراء والكذب والتناقض والاضطراب. فهاجمهم في شرعهم وسألهم ﴿أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩﴾ ، بينما رسالتك

فيها شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، وفيها الأمان والاطمئنان والثبات والبشارات ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ .

سادسها

هاجمهم في عقيدتهم في الشركاء وفي بنوة الآلهة، هل عندكم من حجة أو كتاب سماوي يدل عليه أو يأمر به؟ فلن يحيروا جواباً، لتعلم حينئذ أنهم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ وأن دينهم محض افتراء على الله تعالى، فاثبت على ما أنت عليه.

سابعها

احذر حملة التشكيك واثبت على ما جاءك من الوحي وانظر إلى جميع الأنبياء قبلك كيف ثبتوا أمام هذا التشكيك العالمي منذ نبي الله نوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض، إذ واجه حملة التشكيك بقلب ثابت وتحدٍ صارم ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ . وكذا جميع الأنبياء بعده لاسيما موسى وهارون عليهما السلام.

ثامنها

بل أتباع موسى عليه السلام على قلتهم ثبتوا مع شدة فتنة الفراعنة لهم

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ ، بل فرعون نفسه أعتى مشكك على وجه الأرض في نهاية أمره اعترف لموسى عليه السلام بصحة ما جاء به فقال ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، **وهذا تاسعها.**

عاشرها

سل علماء بني إسرائيل ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ . فاثبت على ما أنت عليه، واعلم بأن رسالتك حق.

وفي الختام إليك هذه القواعد العشرة تنفعك في التعامل مع المشككين:

أولها: أن العلم وحده بلا صدق في طلبه لا يهدي صاحبه، فإن غالب المشككين قد بلغتهم الحجة وجاءهم العلم كقوم نوح وجميع الأقوام المكذبة السابقة وفرعون، فالمزيد من العلم والآيات لا يرفع الشك عن المتعنت.

ومنها: أن مَن عَلِمه اللهُ في الأزل أنه لا يؤمن فكتب في القدر أنه لا يؤمن فإنه لا يؤمن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾، فلا تستجب لهم في طلب المزيد من

الآيات، واقتصر بما عندك. ومنها أن من فتح قلبه للبحث عن الحق فإن الله سيهديه ولو في آخر ساعة قبل نزول العذاب كقوم يونس. ومنها أن الله قادر على أن يجعل جميع الناس مؤمنين وقادر على أن يكرههم عليه، فلا تكره أحداً على الإيمان.

ومنها أن ادعهم إلى الاعتبار بما في الكون والاعتبار بآثار الأمم المشككة المكذبة بالرسل وأنذرهم العقوبة، ثم أعلن البراءة من المشككين ولا تخشهم ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ ، وأقم وجهك للدين حنيفاً وتمسك بدعوة التوحيد واستمر عليها ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ ، فاثبت على ما أنت عليه، واعلم بأن رسالتك حق.

هذا مقصد سورة يونس: تثبيت النبي ﷺ أمام حملة التشكيك العالمية في رسالة النبي ﷺ ، وسبب التشكيك، وعاقبته على المشككين، وقواعد التعامل معهم.

سورة هود

أيها الدعاة! اثبتوا على ما أنتم عليه، فأنتم على أمر محكم ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ، **ومآلكم إلى المتاع الحسن في الدنيا قبل الآخرة.**

إنكم وإن أصابتكم الآلام وأحاطت بكم الأحزان وضاقت صدوركم لما لقيتموه من العالم فاثبتوا، **فإنكم في عين الله تعالى.** إنكم ما جئتم إلا لتنقذوا البشرية وتنتشلوها من واقع مظلم إلى مستقبل مشرق يتمتع به صاحبه أحسن متاع، مستقبلٍ مجلل بالفضائل والخيرات. فدعوتكم مملوءة بالحكمة والبشارات والحرص على الخلق لتتعلق قلوبهم بإله الكون ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ . إنها دعوة نابعة عن حرص وخوف على الخلق وعلى مستقبلهم القريب والبعيد ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ .

إنه لم يغب عنا تعاملهم معكم، لقد تعاملوا معكم بأسوأ صور التعامل بسبب الغرور والعجب الذي أصابهم، فحين أظهرتم حرصكم عليهم وخوفكم على مستقبلهم أثنوا صدورهم واستغشوا ثيابهم،

واتهموكم بالسحر، واستهزؤوا بكم فاستعجلوا العذاب مستخفّين بقولهم ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓۗ﴾ ، وتعنتوا قائلين ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ ، وهددوكم واتهموكم ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ . فلا تضق صدوركم فالله وكيلكم، ولا يهدّ من عزائمكم رفاهيتهم وتقلبهم في زينة الدنيا فإنما ﴿... نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ .

ولكن اطمئنوا، **فإن الله تعالى يراقب** ما يحدث لكم وهو قادر على نصركم، فقد نصركم عليهم بالبينة والحجة القاطعة والقرآن المعجز وشهادة الكتب السابقة وكتاب موسى عليه السلام وشهادة علماء بني إسرائيل لصحة ما جئتم به. وسينصركم الله عليهم في المآل، وسيكونون أخسر الخلق ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بينما أنتم أربح الخلق، فأين الأعمى الأصم من السميع البصير!

فلا يحزنكم ما صدر منهم، فإنا سنعاقبهم عقوبة تشفقون عليهم منها، بل من شدتها ستسعون أنتم للشفاعة لهم كما شفع نبي الله نوح عليه السلام لابنه الكافر شفقة عليه لما حلت عليه العقوبة ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ .

ولا تضعفوا في مواجهتهم ولا تهنوا ولا تحزنوا بل واجهوهم بجرأة وشجاعة كما واجه هود قومه وتحداهم بشجاعة قائلاً ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾، فالله دوماً معكم ولن يتخلي عنكم.

واعلموا أنكم كلما تعاملتم معهم بلطف وطلبوا مزيداً من الآيات فاستجبتم لهم ثم ازداد تعنتهم اقترب موعد عقوبتهم وعظمت العقوبة وكانت حاسمة، كما حدث لنبي الله صالح عليه السلام مع قومه اذ حدّ لقومه ثلاثة أيام فقط لحلول العقوبة ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾ .

وكلما تكالبت المصائب وتعاملتم معها بكرم وحلم ارتفع سقف البشارات الإلهية التي لا تخطر على القلب كما حدث للخليل إبراهيم صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾. وكلما اشتد فحش المعاندين وضاقت الأمور انفرجت كما حدث لنبي الله لوط عليه السلام ﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ .

فاستمروا على حسن التعامل مع الكفار، **ولا تأسفوا** لحسن أخلاقكم مع سوء أخلاقهم واستهزائهم واستخفافهم بكم كحال نبي الله شعيب عليه السلام الذي تعامل مع قومه بأكمل صور الأدب

فردوا عليه بأقبح الألفاظ ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾﴾ .

واعلموا بأن العقوبة إذا نزلت فإنها لا تقتصر على العامة منهم وإنما تبدأ بالملوك والشخصيات المميزة كفرعون وقومه، وستكون عقوبة الله حينئذ أليمة شديدة، وستلحقهم اللعنات في الدنيا والآخرة. أما أهل الإيمان فسيكونون في أتم السعادة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾﴾ .

في الختام هذه مجموعة من الوصايا لتخفف عنكم آلام الدعوة:

تمسكوا بالدعوة إلى التوحيد، وتوقعوا المنازعة والمخالفة حتى من قبل أتباعكم ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ﴾ ، واعلموا أنه لا يوحد صفوفكم إلا التمسك بما جاء في الوحي والاستقامة عليه بلا إفراط ولا تفريط ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ .

وتجنبوا الركون إلى الظلمة والإكثار من مجالستهم بحجة دعوتهم، واعلموا أن سبب تسلط الكفار كثرة ذنوبكم، فاجتهدوا في فعل الطاعات لاسيما الصلاة آناء الليل وأطراف النهار ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ ، وعليكم بالصبر على دعوتهم وعلى أذاهم ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ .

واعلموا أن السكوت عن منكر الظلمة والمترفين والتنازل لهم لا يحقق إيمانهم، فلابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ ، وأن هذا التنازل لا يوحّد الناس ولا يجمعهم تحت راية واحدة فإن الله قد قدر الاختلاف، وأن خاصة الله من هؤلاء المختلفين قلة، فاثبتوا على عقيدة التوحيد ولا تتنازلوا.

وأكثروا من قراءة قصص الرسل فإنها تثبت الفؤاد وتخفف الآلام والأحزان، وتوكلوا على الله فأنتم دوماً في عين الله تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، فحلِّقوا في سماء محبة الله تعالى.

هذا مقصد سورة هود: مواساة دعاة التوحيد بتسعة أنواع من المواساة لتثبيتهم على ما هم عليه.

سورة يوسف

مما يهون من الضغط النفسي والثقل الناتج من مواجهة العالم وجهاد الكفار والمنافقين والبراءة منهم، ويهون من حملات التشكيك الواسعة، ويعين على المواساة من معاناة الآلام والأحزان **هو الطيران في سماء محبة الله تعالى**، وبذل المهج له، والتمرغ بين يدي عظمته بشتى الطرق الشرعية الدالة على محبته سبحانه، وهي **تدور حول أربعين طريقاً لتتعلق القلوب بباريها وخالقها** وإلهها ومعبودها، إذ به سعادتها وفلاحها. وقد ذكرت هذه الطرق في هذه السورة في محبة المخلوق للمخلوق، إشارة إلى أن الله تعالى أولى بذلك لاسيما وقد دلت عليها النصوص الأخرى من الكتاب والسنة.

منها الاحتفاظ بالأسرار الجميلة التي بينك وبين الله تعالى ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ . ومنها الخوف من مفارقة الأحوال التي كان يعيشها مع الله تعالى، ثم شدة الحزن عند مفارقتها. ومنها صدق حدسه وظنه تجاه محبوبه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ . ومنها أن الله تعالى يغار، فمن اشتد تعلقه بمخلوق ابتلاه الله به أو بفقده.

ومنها أن العلاقة مع الله تعالى لا تشترى بثمن، فمهما بذل من المال لتحصيل المحبوب والفوز به فهو ثمن زهيد بخس ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ . ومنها أن الشفاء بكمال الوصال والاتصال بالمحبوب وملازمة التخطيط الدؤوب والمحاولات المتكررة للوصول إلى المحبوب بلا سآمة، وأن الشوق إلى المحبوب يزداد بلقائه وبوصاله وبمشاهدة جماله والخلوة به ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ .

ومن الطرق الموصلة إلى المحبوب التجمل له والتهيؤ للانفراد به، وطرح النفس بين يديه، والتضحية بأعز ما يملك لأجله ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ ، وإظهار احتياجه إلى حبه وافتقاره إليه، وتذكر نعمه وأياديه. ومنها أن يرى أنَّ كمال الشرف بذياع الصيت بأنه يحب محبوبه، وأن محبوبه قد شغفه حباً، وعدم المبالاة بتعييره به وبحبه له، بل يرى اللوم فيه عزاً له، بل هو بنفسه يشهره للعالم ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾، وكماله العمل الدؤوب للوصول إليه عند إعراضه عنه.

ومنها تلمس جمال الله تعالى فهو من أكبر أسباب التعلق بالله تعالى، فإذا كان جمال المخلوق يذهب باللب ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ فكيف بجمال الله تعالى؟

ومنها اللهج بذكره والدعوة إلى توحيده بالعبادة في كل حال ولو

كان العبد الموحد مسجوناً مقيداً ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩﴾ . ومنها التزود من محبة الله تعالى أيام ربيع المحبة وأوقات النفحات الإلهية فيملأ المخزون القلبي بسنابل المحبة لتكون زاداً له أيام الشدائد ﴿تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ . ومنها عدم قطع العلاقة مع الله تعالى وإن ضعف المخزون القلبي وكثرت المعاصي، فلابد من إبقاء حبل صلة مع الله تعالى ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾ .

ومنها الحرص على أن لا يدنس حبه بتهمة أو شبهة ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ ، ومنها الاعتراف بالذنب والخطأ تجاه المحبوب وعدم خيانته، ومنها قطع الرجاء بالخلق إلا بالله تعالى لاسيما عند استحكام المصائب لينصب الفرج صباً ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ .

ومنها توحيد الله بالمحبة فيجعله غايته ليسخر الله له بعدها محبة الخلق له كما سخر محبة الخلق ليوسف عليه السلام، إذ سخر له محبة أبيه والعزيز وامرأته والنسوة والسجناء ومحبة الملك، بل ويكيد الله له فيسخر له خصومه ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ﴾ .

ومنها دوام تذكر المحبوب، وأن كل حادثة تذكره بالله تعالى وكل مصيبة بمحبوب دونه تذكره بحبه الأول وتجعله ينشغل به عنه، إذ لما قيل ليعقوب عليه السلام إن ابنك بنيامين استُرِق بسبب سرقته تذكر يوسف عليه السلام وقال ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ .

ومنها أن لا يقطع رجاء الوصال بالله تعالى، بل يصبره حادي موعد اللقاء به وحسن الظن الدائم به ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ . ومنها أن لديه حاسة سادسة تجاهه وربما يجد رائحة رَوْحه وبينه وبينه مئات الأميال.

ومنها التأدب مع المحبوب وانتقاء أحسن الألفاظ عند التعامل معه ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ ، فنسب إلى الله كل ما هو خير ونسب سبب الشر إلى غيره. ومنها عند اكتمال الفرح والسعادة وتمام السرور بالاجتماع بأحب الناس إليه يهيج القلب لحب الانفراد بالله ويزداد الشوق إلى لقائه، كما انفرد يوسف عليه السلام مختلياً متملِّقاً مناجياً ربه بالرغم من اكتمال سعادته باجتماعه بأحب الناس إليه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ .

ولكن أكثر الناس غافلون عن الشعور بهذه العلاقة والمودة بين الله تعالى وبين خلقه. إنهم وإن أحبوا الله تعالى فهي محبة مشوبة ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ . فمن أخلص حبه لله تعالى وكان هذا سبيله وسلك طرق المحبة فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، وسيلقي الله تعالى في قلبه الاطمئنان التام ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ .

هذا مقصد سورة يوسف: محبة الله تعالى، وبيان طرق تعلق القلب بمحبته.

سورة الرعد

إذا سِرت في طريق المحبة المرسوم لك، المبني على الأصول الثلاثة حينئذ تشعر **بالاطمئنان القلبي** الذي فقده أكثر الناس، وتسرح في سعادة روحية وعيش طيب لا مثيل له.

إن أصل الاطمئنان القلبي الإيمان برسالة التوحيد التي نزل بها القرآن. لذا أولاً لابد وأن تطمئن إلى أن القرآن الذي أنزل إلى النبي ﷺ حق من عند الله تعالى. إنه كتاب رفيع المكانة، عظيم القدر، خصصتم به دون سائر الخلق، وقد جعل الله الاطمئنان والشعور بالأمان من ثمار الإيمان به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

هل الاطمئنان درجة واحدة؟

إن الاطمئنان درجات ويتفاوت في قلوب العباد، ويتفاوت سقفه كتفاوت السموات في الارتفاع ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ .

بماذا يتفاوت الاطمئنان؟

إن الشعور بالاطمئنان يتفاوت بتفاوت أمور:

منها قرب العبد من الله تعالى وتعرفه عليه، وعظم إيمانه بالله تعالى وتوحيده له، ومدى استقرار هذا التوحيد في القلب، وعلى قدر استواء محبة الله على عرش قلبه، وعلى قوة نور إيمانه فمنهم من نوره كنور الشمس ومنهم كالقمر فمن مستقل ومستكثر، وعلى مدى استمرار هذا النور وجريانه وعدم انقطاعه ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ .

ويتفاوت الاطمئنان بتفاوت ما لديه من الحجج والأدلة والآيات المفصلة التي تزيد من يقينه ﴿يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ، وعلى قدر اتساع وامتداد المساحة القلبية التي تشغلها هذه الرسالة، وعلى قدر ثقل الإيمان واتزانه في قلبه فمنهم مَن إيمانه كالجبال كالرواسي ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ . ويتفاوت الشعور بالاطمئنان بقدر استمرارية التزود وسقي القلب من نهر الرسالة.

حينئذ يجازيه الله تعالى من جنس عمله فيمد له في مساحة الاطمئنان القلبي، ويجعله ثابتاً متزناً، ويسقيه من النهر الإلهي، وينوع من ثمراته، ويرزقه من كل صنف من الاطمئنان لاسيما عند

تعاور حوادث الليل والنهار كما ينوع لعباده من ثمرات الأشجار مع تعاور الليل والنهار ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ﴾ .

ويتفاوت الاطمئنان بتفاوت القلوب. فالقلوب تختلف في قبولها للرسالة ومن ثم اطمئنانها بأمور ثلاثة:

أولها باختلاف أصلها، فمنها الخبيثة ومنها الطيبة. فبالرغم من كون بعضها متجاوراً وفي بيت واحد ومن أب واحد وأم واحدة إلا أنها تتفاوت في الشعور بالاطمئنان. بل كل منها درجات، فالقلوب الطيبة تتفاوت في طيبها والقلوب الخبيثة تتفاوت في خبثها.

وكذا تختلف القلوب باختلاف جنس ما يبذر فيها ويغرس، وتختلف باختلاف جودة تلك البذور وإن كانت من جنس واحد، كاختلاف الزروع والثمار في البستان الواحد ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ﴾ .

ما هي جنس البذور التي ينبغي أن تبذر في القلب لتبعث على الشعور بالاطمئنان؟

ما هي بواعث الاطمئنان؟

إن البواعث التي تجعل القلب يشعر بالاطمئنان هو التعرف على الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته وتوحيده فيها، فإذا تعرف على الله تعالى علم حينئذ بأنه قد ركن إلى ركن شديد، إلى من يكفيه همه وأحزانه وأعداءه ويكفيه جميع أموره، ويصلح له جميع شؤونه، فيشعر بتمام الراحة والاطمئنان.

من ذلك أن يوقن أن الله وحده هو الذي له كمال القوة والقدرة، فهو الذي خلق هذا الكون العظيم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ . وأنه وحده الذي يملك جميع النعم والثروات في هذا الكون فمن استوى على عرش المُلْك مَلَك، وأن له كمال التدبير والتصرف فيه ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ فهو الذي يرفع ويسخر ويجعل ويغشي، وأنه لا يفرق بين متماثلين ولا يجمع بين مختلفين فيُفَضل بينهما بتمام الحكمة ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ هذا القسم الأول من البواعث كافٍ لتحقيق الاطمئنان القلبي إلى الله تعالى وإلى كل ما جاء في الرسالة الإلهية، فالعجب من إعراضهم عما جاء فيها وتحديهم واستعجالهم للعقوبة ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ .

ومن بواعث الاطمئنان القلبي أن يوقن العبد أن الله تعالى له كمال العلم بالمستقبل والأحداث والأسباب والمسببات والحكم والخفايا والأسرار فهو ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ ، ويعلم حاجات العباد فيكرمهم بها قبل أن يسألوه إياها. وهو الذي يحفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فهو أرحم بهم من أي ذات أخرى وهذا باعث آخر.

ومن بواعث الاطمئنان القلبي أنه سبحانه لا يغير أحوال العباد إلا إذا هم غيروا ما بأنفسهم، وأنه يهلك من يشاء بعدله. ومن بواعث الاطمئنان أن الله سبحانه له كمال الهيبة فهو الذي دانت له جميع الخلائق ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ ، وأنه ربها ومالكها، وأنه وحده الذي له خضع الكون كله وسجد ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ﴾ . فمن اتصف بهذه الصفات اطمأنت إليه القلوب، فكيف يطلب الاطمئنان من مخلوقات عاجزة ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ ؟!

ولا يهولنك ما تراه أول أيام الرسالة من **اضطراب الأوضاع** وعدم الاطمئنان الظاهري، فما هذا إلا سبيل التصفية والتربية ليتحقق الاطمئنان الحقيقي وتتحدد المراتب. كالسيل العظيم الذي يحدث اضطراباً في الأرض لينظفها من الأوساخ ثم يستقر الماء العذب في الأودية على قدر قدرتها الاستيعابية ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ﴾ ، فيخرج من السيل ماء عذب ينتفع به أهل الأرض فتستمر حياتهم وتستقر أمورهم وتطمئن أحوالهم. وكما يحدث للذهب من اضطراب عند عرضه على النار ليصفّى من الشوائب فيخرج منه ذهب نقي صاف ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ .

إن هذا الاضطراب يميز الناس إلى عدة أصناف: صنف المؤمنين الموفين بالميثاق الإلهي ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ ، وصنف الجاحدين الناقضين للميثاق الإلهي، ومنهم المتفاوتون بينهما.

وأما البواعث العملية للاطمئنان القلبي فهي التصديق بالرسالة النبوية، والوفاء بعهد الله ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ ، وأن يصل ما أمر الله أن يوصل ويؤدي الحقوق إلى أهلها، ويتعرف على الله سبحانه من خلال أسمائه وصفاته فيخشاه، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب يوم القيامة، ويصبر لوجه الله تعالى، ويقيم الصلاة، وينفق في سبيل الله سراً وعلانية، ويقابل السيئة بالحسنة، ويداوم على ذكر الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ . بينما عكسها يؤدي إلى اضطراب القلب واضطراب الأحوال.

سيسعى الكفار جاهدين لزعزعة المؤمنين وإحداث الاضطراب في قلوبهم. فسيطلبون الآيات على صحة التوحيد ليشككوهم في كل منها لينتزعوا منهم الشعور بالاطمئنان ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ﴾ .

❑ **فجواب ذلك من عدة أوجه:**

أولها

أن المؤمنين لا يتوقف اطمئنانهم على نزول آية، إنما ﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾.

ثانيها

أن هؤلاء الكفار دأبهم هو دأب الأمم المكذبة قبلهم في طلب الآيات تعنتاً لا بحثاً عن الحق ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ﴾ .

ثالثها

ألا يكفيهم القرآن أعظم معجزة؟! ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾ .

رابعها

أما يردعهم ويكون لهم آية توالي نزول المصائب عليهم وعلى من

حولهم ممن تعنت بطلب الآيات مع وضوح الحق؟ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ .

خامسها

ألا تغني دلالة الحال في إثبات وحدانيته؟ فهو وحده القائم على مصالح العباد دون آلهتهم ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ .

سادسها

الأَوْلى أن يأتوا هم بدليل واحد على صحة شركهم ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ .

سابعها

أما يكفيهم إيمان منصفي أهل الكتاب، وإقرار بعض المشركين بأغلب بما جاء به النبي ﷺ ؟ وهذا ثامنها.

تاسعها

أليس ما في القرآن من أحكام وحِكَم دليل على صحته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ ؟ أما كان في نزوله بلغتهم ما يستدعي إقبالهم عليه وإنصافهم في التعامل معه والكف عن إحداث الاضطراب في قلوب من آمن به؟ وهذا عاشرها

فلا تستجب لطلبهم مزيداً من الآيات، وأرجئ الأمر إلى الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ، ولا تطمع في إيمان المتعنت فإن الله يُثبِّت من يشاء في صحيفة الرحمة ممن سعى في البحث عن الحق، ويمحو منها من يشاء ممن أعرض عنه. وسيريك الله تعالى ما توعدهم به، ويريك اتساع رقعة الإسلام وكيف يتهاوى الكيد العالمي لتزداد اطمئناناً.

إن أعظم جواب لتشكيك الكفار وأعظم باعث للاطمئنان القلبي هو شهادة الله تعالى بصحة الرسالة النبوية وما جاء فيها ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ **.فتمسك بهذه الرسالة وهذا الكتاب ففيه جوامع الاطمئنان القلبي.**

هذا مقصد سورة الرعد: بيان أصل الاطمئنان القلبي، ودرجاته، وبماذا يتفاوت، وبواعثه.

سورة إبراهيم

إن محبة الله تعالى هي سبيل الاطمئنان والفوز بخيري الدنيا والآخرة. فبمحبة الله تعالى الخالصة التي بها نزل القرآن يخرج العبد من الظلمات إلى النور، ليفوز بصراط العزة والحمد والمجد ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ . وإذا ما أحب اللهَ تعالى حباً نابعاً من القلب وملأ حياته به انشرح صدره واتسع باتساع السموات والأرض ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ، وتبدلت أحواله إلى السعادة لاسيما إذا ما حمل لواء دعوة الناس إلى ذلك، حينئذ يجد حلاوةً في القلب.

بينما من ملأ قلبه بمحبة غير الله تعالى وملأ حياته بها وبالكفر والشرك والصد عن سبيل الله ضاق صدره، وتبدلت أحواله إلى الشقاء، وتقلب في غياهب الظلمات والضياع والضلال البعيد ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ .

لذا أرسل الله الرسل إلى الأمم، وأرسل كل رسول بلسان قومه

ليرغبوا أقوامهم بمحبة الله تعالى التي بها يجدون الحلاوة في قلوبهم والسعادة في أفئدتهم.

فمن صور الترغيب بمحبة الله تعالى:

أولها

أن الله تعالى هو الذي يرفع المصائب والبلاء والشدائد عن محبيه ويفرج عنهم الكربات ﴿إِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ .

ثانيها

أن من شكر الله تعالى زاده الله وأكرمه، بينما من كفره ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ ؛ بل عاقبه بالمحو والإزالة والإهلاك في الدنيا كما عاقب الأمم السابقة ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ .

ثالثها

أن من أذنب وأعرض ثم تاب وأناب منّ الله عليه وغفر له ذنبه ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ وهداه سبيله.

رابعها

أن من أحبه وتوكل عليه فتح الله عليه وورثه مساكن الكفار﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ﴾ ، وخيّب عدوه في الدنيا وعاقبه في الآخرة أشد العقوبة.

خامسها

أن من أحب الله وقاه الله تعالى العقوبات الإلهية التي تحل على أعدائه، منها الخيبة وانقلاب مَكْرِه عليه وانقلاب إرجافه بالمؤمنين على نفسه في الدارين ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ﴾ ، ومنها العذاب الذي يلحقه في الدنيا والآخرة ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ كما جرّع المؤمنين الويلات وكما تجرع شرب محبة أعداء الله، ومنها ضياع أعماله ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ ، ومنها الاستبدال ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ، ومنها تبرؤ سادته وأحبائه وخلانه منه ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّۖ﴾ ، ومنها إضلاله عن كلمة الحق عند الوفاة وبعدها.

سادسها

إكرام الله تعالى له بدخول الجنة وتلقي التحية من الله تعالى ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾ وكذا من الملائكة.

سابعها

من صاحب أحباب الله وتبادل معهم الوصايا في محبة الله تعالى جمعهم الله تعالى في مستقر رحمته في الجنة ولم يتبرؤوا من بعضهم، بل كل منهم التصق بأخيه يتبادل معه فيها التحية والسلام ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ .

ثامنها

يضاعف الله لهم ثواب أعمالهم وأجورها ويجري لهم أعمالهم ويديمها لهم حتى بعد وفاتهم ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ .

تاسعها

يثبتهم الله عند الوفاة بالقول الثابت وكذا بعد الوفاة في فتنة القبر عند سؤال الملكين ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ .

فليحذر العباد من الغفلة عن محبة الله تعالى والإقبال على غيره وتبديل نعمة الله كفراً ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ ، وليحذروا من الاتصاف باللؤم وذلك باستعظام إنفاق النزر اليسير من مال الله لوجه الله تعالى ﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ على الرغم من انصباب النعم الإلهية عليهم انصباباً وبسط الرزق لهم

على وجه الخصوص بسطاً وتسخير ما في السموات وما في الأرض لهم والمنح والعطايا التي لا تعد ولا تحصى ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ ، وإلا فإن النعم جميعها ستتبدل إلى نقم وستتحول الديار إلى بوار، فمن وفرة المياه إلى نقصانها وتلوثها، ومن رزق رغيد وثمار يانعة تأتي من كل مكان إلى جدب في الأرض ونقصان ثمارها ومجاعة، وتتعطل وسائل النقل، وتتقلب الأحوال السماوية والأرضية والبحرية، وتزول النعم التي لا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ .

بينما من ذكر الله تعالى وأقبل على حبه بقلبه وبجوارحه ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أدام الله عليه النعم وبارك له فيها سواءً من نزول الماء السماوي وإخراج الثمرات والرزق وتسخير البحار والأنهار وتيسير وسائل النقل، وآتاه من كل ما سأله ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾ ، وأكرمه بنعم لا تعد ولا تحصى، هذا **عاشرها**.

الحادي عشر

من أقبل على الله تعالى ومتّع لسانه بذكره ولهج به وملأ حياته به ووصى به أبناءه وقومه وكان ديدنه أن يعيش مع الله في أسمائه وصفاته كحال إبراهيم الخليل ﷺ : (رب، ربنا، ربي، الله، لله، سميع،

غفور، رحيم) خلد الله ذكره، وألبسه لباس الأمن، ورزقه من جميع صنوف الخيرات، وجمع عليه قلوب الخلق، ويسر له كل عسير، وفتح له كل باب مغلق، واستجاب دعاءه مما لا يخطر على القلوب كما استجاب الله تعالى لدعوة إبراهيم الخليل ﷺ في البيت الحرام المبني في وادٍ غير ذي زرع ولا ماء والخالي من الناس فدعاه قائلاً: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ فحقق له مراده، وكذلك استجاب لدعوته على كبر سنه بأن يهب له من الصالحين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ . فقصة إبراهيم ﷺ أمثل صورة لذلك.

لتحقيق هذه الكرائم الإلهية لاسيما كرامة الفوز بمحبة الله تعالى ومقام الزلفى لابد من تجنب عدة أمور:

أولها

الكفر بالنعم الإلهية وعدم شكره عليها ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ .

ثانياً

اتخاذ الأنداد مع الله تعالى ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ .

ثالثها

شغل القلب بالشواغل والملهيات عن الله تعالى وعن محبته ليجمع من شهوات الدنيا ما يستطيع جمعه بينما فؤاده خاوٍ مشغول عن الله تعالى ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ ، والانغماس في ذلك إلى درجة الإغلاق كأنه مخلد في الدنيا ما له من زوال.

رابعها

الغفلة عن متابعة الرسل ﴿أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ﴾ .

خامسها

مقارفة الظلم سواء كان ظلمه في علاقته مع ربه أو ظلمه لنفسه أو ظلمه للناس وتجبره عليهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ .

وكذا ممالأة الظلمة من الوجهاء والأشراف والأمراء، والدخول عليهم وغشيانهم في مجالسهم ومساكنتهم ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ، وإعانتهم على ظلمهم، وعدم الإنكار عليهم، والائتمار بأمرهم في ظلم الناس ليذيقهم ألوان العذاب، وكذا المكر معهم في تحقيق الظلم والإجرام ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾، وهذا

سادسها.

إذا لم يجتنبوا هذه المحاذير فإنك ستراهم يوم القيامة ﴿... مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ .

فهذه هي دعوة الرسل: ملء القلب واللسان والحياة بمحبة الله تعالى وذكره، والتحذير مما يضادها ويناقضها ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ .

هذا مقصد سورة إبراهيم: ترغيب الناس بمحبة الله تعالى ليملأوا بها قلوبهم وألسنتهم وحياتهم.

سورة الحجر

إذا ما سعى العبد في تحقيق الاطمئنان القلبي فإن **الله تعالى سيتكفل بحفظه** كما حفظ الله القدر مكتوباً عنده في أم الكتاب، وحفظ القرآن مكتوباً ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ ، وحفظ موعد هلاك الأمم المكذبة مكتوباً.

ولقد تكفل الله تعالى بحفظ عقلك يا رسول الله وحفظ منطقك ولسانك من عبث الشياطين كما تكفل بحفظ الذكر والقرآن في الأرض من عبث شياطين الجن والإنس ومن فقدانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ ، وكما تكفل بحفظ السماء من كل شيطان رجيم.

وكما حفظ الله اتزان الأرض لبني آدم بالجبال الرواسي وحفظ اتزانها البيئي ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ وحفظ أرزاق الناس بخزائنه وحفظ فيها الاتزان السكاني بإماتة أناس ساعة ولادة آخرين ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝٢٣﴾، وحفظ خلق الإنسان الذي لا يظن الظان أنه سيحفظ لأنه خلق ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ فإن الله جل في علاه سيحفظ عباده المخلصين من إغواء الشياطين الذين لا يظن الظان

أنهم سينجون منهم ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ .

وسيحفظ الله المؤمنين من أهوال يوم القيامة، ويحفظ قلوبهم يومئذٍ من الغل، ويحفظ مصيرهم إلى الجنة والخلود فيها، ويحفظ لهم التوازن في سيرهم على منهج الدعوة بين الترغيب والترهيب ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ ، ويحفظ نسلهم كما حفظ نسل إمام الموحدين والحنفاء إبراهيم ﷺ بالرغم من كبر سنه .

لقد تكفل الله تعالى بحفظ وعيده في إهلاك أعداء المؤمنين والمكذبين لهم كقوم لوط ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ، وبحفظ الدعاة المصلحين وحفظ ذرياتهم المؤمنة من عقوبات أقوامهم كما حفظ لوطاً وذريته المؤمنة من العقوبة التي حلَّت على جميع قومه جزاء حرصه على المحافظة على الطهارة وحرصه على حفظ ضيوفه المؤمنين من فحش قومه، كما أمره الله تعالى بأن يحفظ ابنتيه عند خروجه ليلاً بأن ﴿اتبع أدبارهم﴾ فجعلهن أمامه صيانة وحفظاً لهن. وسيحفظ الله تعالى رأس المصلحين ويجعل حياته كلها بركة كما حفظ حياتك يا رسول الله وصانها فجعلها كلها خيراً وبركة فأقسم بها ﴿لَعَمْرُكَ﴾ .

بينما المعاصي والفحش لا تحفظ أصحابها إذا حلت العقوبة الإلهية ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ ، وجميع الآلهة التي عبدت من دون الله تعالى لا تحفظ عبادها، وعلى سبيل المثال آلهة مدين ﴿الْأَيْكَةِ﴾ لم تحفظ عبادها من العقوبة الإلهية، وهذا من حكمة تسميتهم بـ ﴿أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ﴾ بدلاً من «مدين». وكذا الحصون الحصينة والبيوت الآمنة المنيعة المحفورة في الجبال لم تحفظ ساكنيها -كفار ثمود- من العقوبة الإلهية ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ . لقد حفظ الله آثار هذه العقوبات وأطلالها ليراها كل من مر عليها لتكون آية للمتفرسين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ .

إن توحيد الله تعالى بالمحبة والعبادة هو ماء الأرواح، به تحيا الأرواح وبه يحفظ العبد، فيجب أن يحافظ عليه العبد أكثر من حرصه على ماء الأبدان. لقد حرص قوم صالح على المحافظة على مائهم القليل ماء حياة أبدانهم إذ سعوا في الحجر عليه ﴿أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ لئلا يضيع ويذهب، بينما لم يسعوا في حفظ الدين وهو ماء حياة الأرواح الذي جاء به نبيهم عليه السلام، فلم تُحفظ أرواحهم ولا أبدانهم. وهذه حكمة من الحكم في تسميتهم في هذه السورة بـ ﴿أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ ولم يسمهم بـ «قوم ثمود» الوارد في سائر

سور القرآن.

لقد حفظ الله الكون متماسكاً لتحقيق عبادة الله وحده، وسيظل متماسكاً ما دام توحيد الله سائداً فيه، فإذا خلت الأرض من التوحيد اختل الاتزان الكلي ولم تُحفظ الأرض حينئذ وقامت الساعة ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ﴾ ، فبتوحيد الله تعالى بالمحبة والعبادة يحفظ الكون.

فاسع في المحافظة على دعوة التوحيد وتكوين أمة عظيمة موحدة لله تعالى بعدة وسائل حافظة. منها الصفح الجميل عن الخصوم لتحفظ علاقتك معهم، ومنها المحافظة على القرآن وتلاوته وتدبره والإيمان به كله ليحفظ الله قلبك ودينك و إيمانك، ومنها المحافظة على الاتزان في الدعوة إلى الله بكفتي الترغيب والترهيب الواردة في الآيات المثاني ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ ، ومنها حفظ العين والقلب من التطلع إلى المتاع الدنيوي، ومنها الزهد مما في أيدي الناس لئلا تنافسهم في دنياهم فيعادوك، ومنها حفظ تجمع المؤمنين حولك بالتواضع لهم ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وعليك الاستمرار في الإنذار ولا تخش سطوة أعداء الدين ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ فإنك كلما ألقيت نفسك في جوار الله

تعالى بالدعوة إلى توحيده والصدع به حفظك الله تعالى ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ ، فاستمر في عبادته وحده والدعوة إليه إلى أن يتوفاك الله تعالى ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ ليحفظك الله تعالى ويحفظ مكانتك ويحفظ ذكرك في الملأ الأعلى.

هذا مقصد سورة الحجر: حفظ الله تعالى لعباده المخلصين.

سورة النحل

إن استمرار حفظ الله تعالى لعبده من النوازل ومن أذى المخلوقات ومن التقلبات النفسية والكونية يتطلب الشكر، وإلا فإن أمر الله آتٍ وعقوبته حالة ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ **.لذا على العبد أن يشكر الله تعالى على نعمه المتنوعة، وهي ثمانية:**

أولها

أصول النعم. فأعظم هذه الأصول التي تستحق الشكر وأعلاها إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ ، ثم خلق العالم العلوي والسفلي، وخلق الإنسان والأنعام والمراكب، وإنزال الماء، وتسخير الليل والنهار والأفلاك، وخلق البحار والجبال والأنهار والطرق ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥﴾ ، وما تضمن كل منها من المنافع.

ومن أصول النعم ضبط ما سبق بالقوانين السماوية والأرضية الثابتة والضابطة للكون ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ .

ولكنهم قابلوها بالشرك بالله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠﴾ ، وقابلوها بالاستكبار والمكر والاحتجاج بالقدر على شركهم، والتحدي ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ . وقابلوها بالاستخفاف بالرسل وأتباعهم وإيذائهم، ونسبة البنات إلى الله تعالى ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ . إن كل جريمة من هذه الجرائم حجتهم فيها ضعيفة مردود عليها، وسيجازون بعقوبة أليمة على كل منها على حدة ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ .

ثانيها

التلذذ بلذائذ النعم والطيبات. إذ أنعم الله عليهم بلذائذ الأشربة من ماء ولبن ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾، وخمر وعصائر وعسل. ومن لذائذ النعم إطالة الأعمار ليستكملوا اللذة، والتلذذ بكرائم الأموال والأزواج والأولاد والأحفاد وجميع الطيبات. فقابلوها بشكر الآلهة الباطلة الصماء البكماء الخرقاء، المؤذية لعابديها ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾

ثالثها

الإنعام بأصول القوى ومراكزها في الإنسان التي يحيى فيها ويتصرف بمقتضاها. كالقدرة على حسن التصرف والتدبير، والقدرة على الكلام، والفهم والعقل والاتزان والمروءة، وقوة السمع والبصر والمشاعر ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ ، والقدرة على الملاحظة والتفكر والاستنباط، وتعلّم القوانين الكونية الضابطة لسير المخلوقات في الكون ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ .

رابعها

نعم التجمل ووسائل الراحة والاستجمام والاستمتاع بالحاجيات والمحسنات، كنعمة السكن ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ ونعمة الأثاث والاستظلال واللباس. ولكنهم قابلوها بالتولي والتنكر والكفر والظلم والصد عن سبيل الله ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ .

خامسها

الإنعام بأعظم قواعد التشريع وأعظم دين وأحسن قواعد التعامل المبني على العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ

﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ، والمبني على اجتناب المفاسد، تلك المفاسد المبنية على الفحشاء والمنكر والبغي وما تتضمنه من نقض المواثيق والعهود والأيمان من أجل الاستزادة من لعاعة الدنيا، بينما الناظر بعين البصيرة يرى أن مآلها محق للبركة وضياع الدنيا بدلاً من الاستزادة من لعاعتها وخسران في الآخرة ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ .

سادسها

نعمة نزول القرآن إليهم، هذا القرآن التي تنهل الفصاحة والبلاغة من نهره، هذا القرآن الذي سمعه جبريل من الله مشافهة فنزل به على النبي ﷺ مشافهة. إنه يتطلب كمال الأدب معه وكمال الأدب عند قراءته ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ . ولكنهم قابلوها بمتابعة الشيطان واتهام النبي ﷺ بافترائه وبقولهم ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ .

سابعها

نعمة الرسالة المحمدية التي تلهَّف لها جميع أتباع الأنبياء المؤمنين الصادقين لإدراكها، لكنهم قابلوها بالتكذيب والكفر والارتداد وإيذاء النبي ﷺ والمؤمنين وتعذيبهم وإكراههم على الكفر وإخراجهم من

ديارهم وتهجيرهم. بينما شكر المؤمنون هذه النعمة بالإيمان، والصبر عليها وتحمل الفتنة، والهجرة لأجلها ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ .

إن كل عبد سيأتي وحده منفرداً، وسيؤاخذ بجريرته لاسيما فيما يتعلق بموقفه من الإيمان بالرسالة المحمدية وموقفه من إيذاء النبي ﷺ والمؤمنين وظلمهم ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾

ثامنها

نعمة تحقيق الأمن الغذائي والنفسي المبني على الإيمان ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ﴾ . إن من الكرم الإلهي أن أباح كل المطعومات وأمّنها لبني آدم إلا النزر اليسير مما غلبت عليه مفسدته، وبالرغم من ذلك أباح تناوله عند الاضطرار، بل وأباح ما حرمه على بني إسرائيل ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ .

ومن كرم الله تعالى ونعمته أن من تعمد تناول المطعومات المحرمة دون عذر ثم تاب قبلت توبته ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ ، وهذه هي النعمة **التاسعة** وهي نعمة قبول التوبة

والمغفرة بعد مقارفة الذنوب، إنها كرائم متلاحقة.

فكيف تشكر هذه النعم؟

إن أمثل طريقة لشكر النعم طريقة الخليل إبراهيم ﷺ، فاتبعوا ملته ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ ، ولا تخالفوه ولا تختلفوا فيه لئلا تتلاحق عليكم العقوبات الإلهية فتزول هذه النعم، وادعوا الناس إلى هذا الطريق ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ، واصبروا عليه، وتعاملوا مع الله تعالى ومع الناس بغاية الإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ حينئذٍ تكونون قد أحسنتم شكر النعم الإلهية.

هذا مقصد سورة النحل: التعرف على نعم الله تعالى وشكره عليها.

سورة الإسراء

من قابل النعم الإلهية بالشكر كفعل نبي الله نوح عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ فإن الله تعالى سيختصه لنفسه، وسيكرمه بخصائص ومعجزات وكرامات ورفع مكانة مما لم يخطر على قلبه. وخير مثال لذلك سيد البشر وإمام الشاكرين رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ الذي خصه الله تعالى بخصائص عدة، وكذا خص أمته كرامة له .

من هذه الخصائص التي خصه الله بها الإسراء به من مكة إلى بيت المقدس في ليلة واحدة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ ، بينما مكث موسى عليه السلام في التيه عقوداً بسبب تعنت أمته، وأنزلت عليه التوراة فيه، وتوفي فيه وهو في طريقه إلى المسجد الأقصى ولم يصل إليه.

هذه المعجزة تشير إلى **خصيصة أعظم منها** وهي بلوغ ملك الأمة المحمدية الشام، ودخول المسجد الأقصى في دولتها، بل ووراثتها للأرض، والتمكين لها فيها بدلاً من اليهود وأهل الكتاب.

إن للتمكين قواعد وأسباباً وطرقاً سطرناها جميعها في القرآن. على رأس قواعد التمكين السعي في إصلاح الأرض وعدم الإفساد وعدم العلو فيها ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤﴾﴾ .

ومن قواعد التمكين التأني وعدم الاستعجال، فإن طبيعة الإنسان أنه يستعجل في قطف ثمرة التمكين ويظن أن في ذلك خيراً له بينما فيه شرٌّ له وفيه هلاكه. فلابد من التأني عدداً من السنين والصبر على تقلبات الأحوال التي تعتري الدعوة فتارة يدال لها وأخرى يدال عليها لحِكَمٍ عظيمة، فهي سنة كونية كسنة تعاور الليل والنهار حتى تشرق شمس التمكين ساطعة مبصرة، فالله تعالى بيده زمام الأمور فهو الذي يقلب أمور الكون ويدبرها ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةٗ لِّتَبْتَغُواْ فَضْلٗا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ﴾ .

ومن قواعد التمكين أن النتائج ملازمة لأسبابها، كما أن جزاء الإنسان ملازم للأسباب التي يبذلها ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ فهذه سنة كونية أخرى. فمن سلك الأسباب الصحيحة والتزم بتلك القواعد فاز بالتمكين، ومن سلك الأسباب المحرمة ففسق وأفسد في الأرض بعد ما مددنا له وأعطيناه وعظمنا جاهه

وملكه جوزي بالدمار والهلاك والخذلان بعدما ظن أنه تمكن واستقر ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ .

ومن قواعد التمكين أن تكون شريعة أمة التمكين مبنية على توحيد الله تعالى وعلى محاسن الأخلاق وعدم نكران الجميل والأيادي لاسيما أيادي الله تعالى ثم الوالدين والإحسان إليهما ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ ، ومبنية على صلة الأرحام وعلى رأسهم الوالدان والإحسان إلى ذوي القربى. ومبنية على منع الفواحش، وعلى إقامة العدل والقصاص، ومحاربة الظلم لاسيما ظلم الضعفاء وبالأخص اليتامى وعدم أكل أموالهم بالباطل، وعلى الوفاء بالعهود والكيل والميزان، وعلى عدم الحكم بلا علم، وعدم التعالي على الناس وعدم التكبر ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ . إن أعظمها نقضاً للعهد وأعظمها تطفيفاً للكيل والميزان الشرك بالله وادعاء البنوة له فهو قول على الله بلا علم، ثم التكذيب بكلامه والتعالي عن الإقرار به وعن الاستجابة لرسوله وتكذيبه ووصمه بالمسحور والتكذيب بالبعث ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ .

ومن قواعد التمكين السعي في إصلاح ذات البين والقضاء على

الفرقة وإلا تقطعت الأمة ولم تفز بالتمكين ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ ، فالألفة رحمة والفرقة عذاب، وينبغي استعمال المواعظ في الإصلاح بينهم لا سيما تلك المذكورة في القرآن الذي حوى من المواعظ أعظم مما حواه زبور نبي الله داود عليه السلام الذي ملئ موعظة ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ . إن هذه المحاسن التي تحلت بها هذه الشريعة فقدتها أغلب المجتمعات، فمن حجب عن هذه النصائح القرآنية وشابه المشركين فاتته خصيصة التمكين.

أين هذا المنهج الموعود بالتمكين الذي جاءك من قبل الذي بيده كشف الضر وجلب النفع من المنهج المبني على عبادة آلهة لا تملك جلب نفع ولا كشف ضر ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ .

إن هذه الخصائص التي خصصناك بها وخصصنا بها أمتك لتكون آية لكم لاسيما الوعد بالتمكين خير مما يطلبه الكفار من الآيات والمعجزات، إنهم ما طلبوا المزيد من الآيات إلا تعنتاً، ولو آتيناك إياها استجابة لهم ثم لم يؤمنوا لأهلكناهم كما أهلكنا قوم ثمود لما سألوا نبيهم الناقة فكفروا بها ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ﴾ .

هذه الكرامات الإلهية من القضاء الإلهي القدري بالتمكين

وقواعده وطرقه وما تضمن من الأحكام الشرعية العليا أكرمناك إياها في القرآن وجللناها بالمواعظ ففاق زبور داود عليه السلام، فهذه كرامة أخرى فضلناك بها على سائر الأنبياء أن جمعنا في القرآن القواعد والمواعظ وجميع أسباب سعادة البشرية ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ .

لقد أكرمناك بمعجزة المعراج فركبت البراق الذي هو أعظم كرامة من ناقة صالح المبصرة، وجُبت السموات، ورأيت فيها من الآيات العظيمة، ورأيت سدرة المنتهى، ورأيت الجنة وما فيها من النعيم، ورأيت النار ورأيت فيها ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ التي هي مصير من استفزه إبليس فاستجاب له.

إن الكرامات الإلهية التي أكرمك الله بها وادخرها لك ولأمتك أمر يسير على الله تعالى فقد كرمنا قبل ذلك أباكم آدم عليه السلام بسجود الملائكة له ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ ، ثم كرمنا بنيه فسخرنا لهم البر والبحر وأمّنّاهم فيهما. ولكن أكرم أمة على الله تعالى من كثر عدد مؤمنيها الذين يستلمون كتابهم بأيمانهم يوم القيامة .

ولقد كرمنا أمتك إذ جعلنا مؤمنيها أكثرهم عدداً فجعلناها أكرم أمة، وجعلناك إمامها ففزت بالكرامة على جميع بني آدم. ومما يشهد

لهذا أنا أكرمناك بالمقام المحمود وهو أسمى مقام يوم القيامة لا يفوز به إلا سيد الإنس والجن ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ . فحافظ على هذه الكرامة بعدم الركون إلى الكفار ولو بشيء قليل، بل اركن إلى الله تعالى بتواصلك معه في كل وقت فقد أكرمناك بأفضل وسيلة للتواصل اليومي مع الله وهي الصلاة المفروضة، ونفِّلها بالتهجد.

لقد أكرمناك بكرامة أخرى وهي الفتوحات والنصر المرتقب، وجعلنا في إخراج الكفار لك من مكة وعداً لك بدخولها فاتحاً منتصراً ظافراً ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِى مُدۡخَلَ صِدۡقٍ وَأَخۡرِجۡنِى مُخۡرَجَ صِدۡقٍ وَٱجۡعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ ، فقدم الله تعالى دخوله ﷺ مكة على خروجه منها لتكون بشرى له بالفتح والنصر.

وأكرمناك بمعجزة القرآن التي لا تفوقها معجزة، فهو شفاء لكل شيء ﴿لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ ظَهِيرًا﴾ .

لقد أكرمناك بمعجزات كثيرة سألك الكفار إياها من تفجير الأرض ينبوعاً، وامتلاء السماء بالكسف والدخان، ومرافقة الملائكة لك في العهد المكي ودفاعهم عنك، وارتقائك في السماء في رحلة المعراج. وأرسلنا جبريل عليه السلام لك ليخيرك بين النبوة والملك وما

فيه من جنات النخيل والعنب وبيوت من زخرف وغيرها مما سألك الكفار ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ هذا من جهة، وبين كمال الرسالة وكمال العبودية من جهة أخرى، فاخترت أنت الرسالة والعبودية. لقد أكرمناك بهذه المعجزات الكثيرة وإن كنا نعلم أن الكفار مهما أتيتهم من معجزات فلن يؤمنوا لك، كحال الفراعنة الذين أتاهم موسى عليه السلام بتسع آيات بينات فكفر بها فرعون وكفر بها أتباعه ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ ومكنا بعدها لبني إسرائيل في الأرض.

إن أعظم هذه الخصائص المذكورة اختصاصك يا رسول الله واختصاص أمتك بهذا القرآن الذي لا تنقطع كراماته، لقد جمعت فيه كل الكرامات ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ . إن من أعظم علامات الاختصاص الإلهي للعبد أن يكرمه الله تعالى بالالتصاق التام بهذا القرآن آناء الليل وأطراف النهار، ويكرمه بتدبره والسجود لعظمته ومعجزته، والبكاء فرحاً به وخشوعاً، والقيام به ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ .

وأسمى علامات الاختصاص الإلهي إكرام العبد بالتعرف على أسماء الله الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن، ودعاء الله تعالى

بها، وعبادته بها لتصبح ديدنه، ثم اللهج الدائم بهذا الذكر العظيم الوارد في القرآن الذي ملئ تنزيهاً وتعظيماً لله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾، الذي كلما عملت به زادك الله اختصاصاً.

هذا مقصد سورة الإسراء: توالي الاختصاصات والكرامات الإلهية لمن شكر الله تعالى وائتسى بأبيه نوح عليه السلام العبد الشكور الذي تمسك بدعوة التوحيد وجاهد قومه لأجله دهراً طويلاً.

سورة الكهف

إذا ما أكرم الله تعالى عبده بالاختصاصات والكرامات فلا يظنن العبد أنه لن يتعرض للاختبارات والفتن والابتلاءات، بل كلما زادت الاختصاصات والكرامات اشتد بلاؤه بالفتن ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ .

فأمام العبد ذي الكرامة والاختصاص فتن ست سيواجهها:

منها فتنة الظلم والقهر من قبل أعداء الدين كفتنة أصحاب الكهف الذين فروا بدينهم قائلين ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ .

فإن نجا منها فإنه سيجد أن أكثر أتباع الأنبياء من الضعفاء، بينما أغلب أهل الرفاهية بعيدون عن الله تعالى. فسيواجه **فتنة حب مجالسة أهل الرفاهية والانتساب إليهم،** أولئك الذين يفتحون له الأبواب ويوسعون له في المجالس ليصدونه عن أهل الإيمان، محتقرين الضعفاء الذين يدعون الله ويوحدونه ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ . فاختر

أي الفريقين الذي تحب أن تحشر معه: فريق الخزي والعار يوم القيامة الذي إذا استغاث أغيث ﴿بِمَآءٍ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ ، أم فريق الجنة الذين ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسۡتَبۡرَقٍ﴾ .

فإن نجا منها فإنه سيواجه فتنة **الشهوات الدنيوية** من مال وبنين ونساء وأتباع، فقد يغيب بها عن دينه ويعجب بنفسه، ولكن عاقبته شر عاقبة في الدنيا والآخرة كقصة صاحب الجنتين الذي قال لصاحبه المؤمن: ﴿... أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ فأبادها الله تعالى. وهكذا يأتي العبد يوم القيامة فرداً لاشيء عليه ولا شيء معه

لا مال ولا بنون ولا أهلون إلا عمله يجده حاضراً بين يديه ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ ، ويأتي فرداً عارياً كما خلقه الله لا يملك ثوباً ولا نعلاً ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾ .

فإن نجا منها فأمامه **فتنة الفخر بالنسب والأصل**، فيحتقر الناس لأن أصله أفضل من غيره، ويطعن في أصل غيره. كإبليس الذي أصله

من الجن، فافتخر بأصله واحتقر آدم عليه السلام ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ . وبالرغم من ذلك اتخذ بنو آدم إبليس وذريته أولياء من دون الله واستنوا بسنته في جداله مع الله تعالى ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ﴾ .

فإن نجا منها فأمام العبد ذي الكرامة **فتنة العلم،** فيعجب بنفسه ويظن أنه أعلم الناس. إن هذه الفتنة مزلة قدم، فمهما بلغ العبد في علمه فعليه أن يطلب العلم كما طلب موسى عليه السلام العلم من الخضر عليه السلام، بالرغم من كون نبي الله موسى عليه السلام أفضل الرسل في زمنه، فوردت قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام في ذلك.

والفتنة الأخيرة **فتنة الجاه والمنصب** كالذي ابتلى به ذو القرنين فنجا، إذ استعمل منصبه وجاهه في طاعة الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواءً مع الأقوام الذين واجههم عند مغرب الشمس أو مع يأجوج ومأجوج.

من نجا من هذه الفتن الست فاز بلقاء الله تعالى يوم القيامة اللقاء الحسن .**إن جماع الأمر في النجاة من جميع هذه الفتن** العمل الصالح الموافق لهدي النبي صلى الله عليه وسلم مع الإخلاص لله تعالى فيه ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ .

هذا مقصد سورة الكهف: تعرض المؤمن ذي الكرامة والاختصاص للاختبارات والفتن الست، فليستعد لها.

سورة مريم

الله رحيم بعباده. **ففي خضم الابتلاءات والفتن** التي يتعرض لها العبد في دعوته إلى الله تعالى **فإن الله تعالى يرحم عبده بإرسال المبشرات التي تخفف عنه آلامها** وتبث فيه روح الأمل بالفرج العاجل والفتح القريب والنصر المؤزر.

من المبشرات الإلهية للعبد التي تصاحب الابتلاء الاستجابة السريعة لدعائه استجابة تفوق ما يرجوه أضعافاً مضاعفة لاسيما إذا كان ذاكراً لله تعالى يلهج بذكره كالاستجابة لدعاء نبي الله زكريا عليه السلام الذي سمي بزكريا لكثرة ذكره لله تعالى، تلك الاستجابة التي فاقت تصوره قائلاً ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي﴾ ، أو يسمع كلمات مبشرة تبث فيه روح التفاؤل ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ ، أو يسمع أسماء وألفاظاً تحيي أمله ﴿ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ .

ومن البشارات إذا اشتدت الفتن أن تأتيك البشارة قبل حلول الابتلاء كما بشرت مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام ليكون آية ورحمة للناس قبل حملها، أوتأتيك البشارة من قبل شخص لم يخطر في قلبك

يوماً أنه سيثبتك كبشارة الرضيع عيسى عليه السلام لأمه ساعة وضعه ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾﴾ ، أويختصك الله له عبداً محرراً كما اختص مريم فجعلها علماً إذا ما سميت مريم إلا لدلالة الاسم على أنها أمة الله، أو يجعلك مباركاً طيب الأصل أينما حللت ويبارك لك في أصلك كما بارك لعيسى عليه السلام إذا ما سمي عيسى إلا لطيب أصله وبركته، أوتكرم بكرامات مادية تتميز بها كنبع الماء لمريم عليها السلام من موضع لا ماء فيه واهتزاز النخلة بهزها إياها وهي في أضعف أحوالها وتساقط الرطب منها كرامة لها.

ومن البشارات في خضم الفتن أن يدخل الله تعالى في قلبك السرور واليقين بالعاقبة الحسنة وترى بأم عينيك احتفاء الله بك ورحمته وترى هباته تغشاك وتتوالي عليك. ومن البشارات أن يجعل الله لك ولذريتك ﴿لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ فيدعو لك الأول والآخر على مر الزمان وتعاقب الأجيال لاسيما إذا صبرت على جهادك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجعلك مؤيداً بالحجج والبراهين الساطعة كما أكرم الخليل إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما كان هذا دأبه ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾، وسمي إبراهيم لأنه ذو البراهين والحجج البينة. أو تسمع قارئاً لكتاب الله تعالى وأنت في

شدة أزمتك تسمعه يقرأ آية كأن الله يخاطبك أنت وكأنك أنت المعنيُّ المقرَّب كما خاطب الله تعالى موسى عليه السلام حين قربه نجياً.

ومنها أن تجد مِن حولك من يؤازرك ويشد عضدك مؤازرة الأخ لأخيه كمؤازرة هارون عليه السلام لموسى عليه السلام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ . ومنها أن تبشر برؤيا منام صادقة كرؤيا إبراهيم ﷺ في إسماعيل عليه السلام، أو يريك الله تعالى وعده الصادق، أو يدخل الله تعالى في نفسك الشعور بالرضى ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ ، وتكون مسموع الدعاء عند الله تعالى لذا سمي بإسماعيل. ومنها أن يكرمك الله تعالى بالعلم النافع فتكون لكتابه دارساً مدرساً فيجعل لك رفعة في السماء والأرض وتعظيماً في القلوب كما رفع إدريس عليه السلام ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ فسمي إدريس لعلمه ودراسته.

وهكذا تتوالى عليك البشارات حتى توقن بتحقق وعد الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ ، لتعلم حينئذ من هذه البشارات بأنه ما تأخر مجيء الفرج ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ ولحكمة عظيمة بالغة وأن الله لم ينسك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ .

أما أعداء الله الذين وقعت الفتنة والابتلاء على أيديهم فقد امتلأت قلوبهم بالإحباطات وتراهم قد احتوشتهم العقوبات

وأحاطت بهم لاسيما الذين هم ﴿أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ ، وتراهم يردونها مع شياطينهم ويتساقطون في عذابها جثياً. أما ما تراه من رفاهيتهم في معيشتهم في الدنيا ﴿أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾ فما هو إلا استدراج من الله تعالى ومدٌّ لهم ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ حتى تحل عليهم العقوبة الدنيوية أو تقوم عليهم الساعة، بينما ينجي الله الذين اتقوا. إنك ترى صورة مصغرة لما سيحدث يوم القيامة.

فاحرص على توثيق الصلة مع الله تعالى والاهتداء بهديه في جميع الأحوال لاسيما إذا اشتدت الأزمات وضاقت بك الأمور، ولا تستهن بالباقيات الصالحات وهي الأذكار والأوراد فهي من أعظم المثبتات وأيسرها وبها تتوالى البشارات وتتحقق النجاة وتفرج الكربات ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ .

أما الكافر المكذب بالبعث فلا صلة بينه وبين الله تعالى ولا عهد بالنجاة ولا كرامة ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾﴾ .

بل يأتي يوم القيامة عند الله تعالى فرداً، لا تنصره آلهته، بل ستكفر به وتتبرأ منه بعدما كانت تلازمه في الدنيا بالتحريض على الشرك

والقبائح وتؤزه عليه أزّاً، لقد كانت تحرضه التحريض المتواصل المؤذي الذي يضيِّق الصدر بدلاً من البشارة التي تشرح الصدر.

ومما يزيد من عذابه أنه إذا بعث يوم القيامة يجد البشارات تتوالى على المتقين، يراهم يستقبلون استقبال الوفود في الضيافة الملكية بالمراكب والشراب والطعام والمجالس ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ ، بينما هو لا يجد أحداً يبشره وإنما يستقبل مع زمرة المجرمين ليساق إلى جهنم عطشان لا يذوق شربة ماء، ولا يشفع لأحد ولا يشفع له أحد. كيف يشفع وقد ارتكب أفظع جريمة في الكون وهى ادعاء البنوة لله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ ؟ بل يأتي فرداً وقد تبرأت منه الآلهة وتخلى عنه الأصحاب، يأتي فرداً لا يضيع ولا يغيب عن الله تعالى بالرغم من كونه مندساً بين المليارات من الإنس والجن وسائر المخلوقات ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ .

أما المؤمنون فإن الله تعالى متكفل بإرسال البشارات إليهم في الدنيا إعانة وتثبيتاً ثم يكرمهم بالنجاة والفوز، **وكذا في الآخرة** عند البعث فإنهم يستقبلون استقبال الوفود الملكية الذين يتناثر عليهم الود الإلهي من كل حدب وصوب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ بشارة لما سيلقونه من تيسير أمورهم وتيسير الحساب

وتيسير طريق الجنة كما يسر الله لهم قراءة القرآن في الدنيا وتدبره بشارة لهم ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ،

هذا مقصد سورة مريم: إرسال البشارات الإلهية للمؤمنين في خضم الفتن.

سورة طه

ومن الطرق النافعة للتخفيف من شدة الفتن الواقعة عليك أن **تسلك القواعد الصحيحة في الدعوة إلى الله تعالى.**

بادئ ذي بدء اعلم بأن دعوتك الناس إلى توحيد الله تعالى ما هي إلا تذكرة لهم ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ .

القاعدة الأولى

اكسب مودة المدعو وقلبه. فتدرّج في دعوته، وكن رحيماً بالمدعو، واستعمل معه أحسن الوسائل مؤتسياً بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ ، واستعمل الوسائل التي يشعر المدعو بالحاجة إليها، واستعمل الوسائل التي تؤنسه وتجعله يشعر بالارتياح إليك فيأتيك دون أن تأمره كالشعور الذي غمر نبي الله موسى عليه السلام فجعله يقبل على النور ﴿فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ .

وتودد إليه بألفاظ وكلمات جميلة كقولك له: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ صديقاً لي أو أخاً دون بقية الناس، وأكرمه بالاستجابة لمطالب يحبها

ويرغب فيها ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ ، وتلطف معه في الحديث، وصرح له بحبك له ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ وأنك راغب فيه ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ .

القاعدة الثانية والثالثة

إقامة الحجة. عظهُ بالقول اللين، والرفق، والحوار بالحسنى، واستخدم معه وسائل الترغيب والترهيب، وتسلح بالحجج والأدلة، واستعن في دعوتك بأفضل وسائل الإعلام التي يجتمع حولها الناس ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ ، ليسمع الجميع دعوتك ويروا حجتك وهذه هي القاعدة الثالثة.

القاعدة الرابعة

استعن بالله تعالى أولاً وآخراً وكن واثقاً بأن الله تعالى دوماً معك وفي أحلك الظروف ولا تخف سواء قبل أن تبدأ بالدعوة ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ، وأثناء الدعوة ساعة تحدي الخصم إياك، فثق بأنك ﴿أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ المنصور.

القاعدة الخامسة

اعلم أنه لا بد من الابتلاء ولابد من التضحيات كما حدث للسحرة بعد ما آمنوا ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ

فِي جُذُوعِ﴾. ولكن مما يثبتك حينئذ على الاستمرار في الدعوة تذكر المصير الأخروي، وأن الله ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ ، وأن العاقبة للدعوة والهلاك لأعدائها.

القاعدة السادسة

لابد من متابعة المدعوين وعدم تركهم بعد دعوتهم لانشغالك عنهم بما تظن أنه من المستحبات ولاستعجالك إياها، فعليك الالتزام بالخطة الإلهية في المتابعة ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ . تابعهم ولا تتركهم! فقد تؤثِّر عليهم أدنى شبهة فينقلبوا على أعقابهم كما قال بنو إسرائيل عن العجل بعد مفارقة موسى عليه السلام لهم ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ .

القاعدة السابعة

احذر المندسين في الدعوة وهم المنافقون لئلا يحدثوا انقلاباً كاندساس السامري في قوم موسى عليه السلام، فكن صارماً معهم ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ .

القاعدة الثامنة

اعلم بأن منزلتك عند الله يوم القيامة على قدر عنايتك بالدعوة إلى الله تعالى في الدنيا والعكس بالعكس، فإذا أرضيت ربك بتوحيده في الدنيا والدعوة إلى توحيده دعيت يوم القيامة إلى مقام الرضا بين يدي الله تعالى، وسيرضيك الله تعالى يوم القيامة، وتقبل شفاعتك عنده ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ .

القاعدة التاسعة

لا تحمل هم من أعرض عن الاستجابة لدعوة التوحيد، دعه لنا فنحن سنتكفل بعقوبته ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ .

القاعدة العاشرة

استعن بالتأني في كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله، وعدم العجلة في قطف الثمرة فأنت مأمور بعدم العجلة في أداء الطاعات ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ .

القاعدة الحادية عشرة

أيها الداعي إلى الله تعالى! استعن بالعلم، فلا تدع إلى شيء إلا بعلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ ، فالعلم جنة الدنيا. ولا تكن إمعة مقلداً، ولا تطع كل من ادعى العلم أو غرك مدعياً النصح ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ

شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ وإلا شقيت وخرجت من النعيم الإلهي ومقام القربى والعيش الطيب، وحشرت أعمى كما كنت في الدنيا إمعة مقلداً أعمى ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ .

القاعدة الثانية عشرة

كن ذا عزم وذا همة عالية، واحذر من أن تضعفها نزغات الشيطان وغروره فإن دأب الشيطان إضعاف عزيمة ذوي العزائم والهمم العالية، كما في قصة آدم عليه السلام وزوجه مع إبليس.

القاعدة الثالثة عشر

استعن بالصبر على الدعوة والصبر على الطاعة. ومما يعين على الصبر الإكثار من النوافل كالتسبيح والحمد، والإكثار من الصلاة ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ **وهذه هي القاعدة الرابعة عشر.**

القاعدة الخامسة عشر

ازهد فيما في أيدي الناس من زهرة الدنيا الفاتنة، وإلا فإنك إما أن تنافسهم فيها فيبغضوك، أو تصبح مفتقراً إلى دنياهم ذليلاً، فتمسي أنت والدعوة يسوقكما أهل الدينا كيفما شاؤوا لتخدم مصالحهم فتكون خادماً لهم في تحقيق مآربهم على حساب الدعوة ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ

عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ .

القاعدة السادسة عشر

ابدأ أولاً بدعوة أهلك ثم القريب ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ .

القاعدة السابعة عشر

توكل على الله تعالى وفوض الأمر إليه وانتظر النتائج والعاقبة ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ ، وأمهلهم ولا تستعجل هلاكهم وانظر إلى ثمرة الدعوة بعدها ستجدها طيبة يانعة ﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ .

هذا مقصد سورة طه: معرفة طرق الدعوة والقواعد الصحيحة لها.

سورة الأنبياء

وحتى تكتمل قواعد الدعوة إلى الله تعالى لابد وأن تتضح القاعدتان الثانية والعاشرة وهما: **الدعوة بعلم، وكيفية صياغة الحجج صياغة محكمة عند عرضها على المدعو.**

على سبيل المثال موضوع «البعث»:

كيف تقنع الناس بالإيمان بالبعث؟

وكيف تصيغ الحجج فيه صياغة محكمة؟

وذلك بعرض الموضوع على المدعويين كما يلي:

أولاً

هل يُعقل أن يخلق الله الناس ثم يتركهم في غفلة ولعب ولهو ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ دون حساب؟

هل يُعقل أن يَدَع الله الناس يظلم بعضهم بعضاً دون أن يحاسبهم فيقتص للمظلوم من الظالم؟ لاسيما إذا كان المظلوم أشرف البشر

وخيرهم؟ ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ .

هل يُعقل أن يرسل الله الرسل وينزل الكتب ثم يترك الناس دون أن يحاسبهم على مدى استجابتهم للرسل؟ ودون أن يحاسبهم على تعنتهم واتهامهم للرسل وافترائهم عليهم؟ ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ .

هل يعقل أن يخلق الله العباد دون أن يحاسبهم على مدى تحقيقهم للهدف والأصل الذي خلقوا لأجله، وهو عبادة الله وحده؟ لاسيما مع تتابع الرسل فيهم والدعاة لبيان عظم شأن التوحيد، ومع توالي الإنذارات في التحذير من تركه وضرب الأمثال بعقوبات الأمم المكذبة ليفيق العبد من غفلته ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ ، ومع قيام الأدلة الجلية الواضحة والبراهين الساطعة والحجج العقلية الصريحة لإثبات صحة هذا الأصل ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ . فلا بد من البعث لمحاسبتهم عليه وعلى التفريط فيه، فالتفريط فيه أظلم الظلم.

ثانياً

إن القادر على خلق هذا الكون بعدما كان رتقاً ففتقه فخلق

السموات والأرض وما فيهما من أجرام ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ فنظمه على هذا النظام البديع وقام عليه بالحفظ والكلاءة ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قادر على إعادته. لكنهم قابلوه بالتحدي والاستهزاء بالبعث.

ثالثاً

إن التمتع بهذه الحياة وبهذا الكون له ثمن وهو الاجتياز في الاختبار في عبادة الله وحده، فلا بد من البعث من أجل مجازاة من نجح في هذا الاختبار والابتلاء ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ .

رابعاً

التخويف والإنذار. من ذلك التخويف بالموت لتنبيه الغافل لمراجعة النفس ومراجعة الأدلة في حقيقة البعث ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ ، والإنذار بالعقوبات الدنيوية التي حلت على من قبله ممن كذب بالبعث، والإنذار بالحوادث المستقبلية التي سيراها ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ وبالعقوبات الأخروية ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ والإنذار بمنع الرزق ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وبالحوادث اليومية التي يراها أمامه ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ .

وتنبيهه بمعايشة البعث وتصوره لأن هذا التصور يجعله يعيش فيه ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ﴾ . ثم التخويف بمجازاة كل نفس على كل صغيرة وكبيرة اقترفتها لكمال عدل الله تعالى الذي يضع الموازين القسط ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ فيقتص للمظلوم من الظالم ليأخذ حقه كاملاً.

جميع هذه الحجج أدلة واضحة وفرقان تضيء الطريق للمسترشد وتُذكِّره، حينئذ ترتفع عن بصره غشاوة الشهوة الدنيوية ويعود العبد إلى رشده فينظر إلى موضوع البعث نظرة صحيحة رشيدة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ .

خامساً

هذا القرآن المعجز الذي يدل بإعجازه على أنه من عند الله تعالى ولا تستطيع قلوبكم أن تنكره يخبركم عن وقوع البعث وتحققه ويذكركم به ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ؟

سادساً

إن الأصول التي منها خلقت جميع المخلوقات المكلفة ستة: النار التي هي أصل الجن، والماء والتراب والهواء والروح والمادة الوراثية

التي هي أصل الإنس، جميعها تحت قهر الله تعالى.

فالنار مؤتمرة بأمر الله تعالى كما في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ ، والماء مؤتمر بأمره تعالى كما في قصة قوم نوح عليه السلام ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ، والتراب مسخر بأمره كما ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ﴾، والهواء العاصف الذي لا يمكن تسخيره والذي جفف الماء المخلوط بالتراب تحت قهره سبحانه ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ .

أما الروح فإنها لا تخرج من الجسد إلا بأمر الله تعالى، فهي مؤتمرة بأمر الله تعالى، حتى لو أصيب العبد بمرض مميت سنوات عدة إذا لم نأمرها بالخروج فإنها لا تخرج كما في قصة أيوب عليه السلام ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ ، بل حتى لو حكم عليه بالإعدام والموت ولم يكتب الله عليه الموت فإنه لا يموت ولا تخرج منه الروح كما في قصة إسماعيل وإدريس وذا الكفل. ولو ألقي في بطن حيوان مفترس ولم يأذن الله للروح بالخروج فإنها لا تخرج إلا بإذنه كما في قصة يونس عليه السلام، هذا تفصيل في خروج الروح، فلا تخرج الروح إلا بإذن الله تعالى، فهي مؤتمرة بأمره.

وإذا كانت النطفة ميتة فإن الله تعالى قادر على أن يبعث فيها الروح فيحييها كما في قصة زكريا عليه السلام وزوجه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ ، بل حتى ولو كانت نطفة واحدة ليس لها نطفة لاقحة فإذا شاء الله تعالى أن يخلق الإنسان منها فإنه يبعث فيها الروح ليخلقه منها كما في نبي الله عيسى عليه السلام ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ ، هذا في دخول الروح.

بل حتى لو كانت مادة الوراثة لا تقبل ذلك فإن الله تعالى إذا أمرها فإنها تأمر بأمره كما في ولادة مريم الأنثى «xx» للنبي عيسى عليه السلام الذكر «xy»، الذي قهر قوانين الوراثة، فمن أين أتت النطفة «y»؟ ﴿وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ .

فأصول المخلوقات الستة: النار والماء والتراب والهواء المجفِّف والروح والمادة الوراثية جميعها تحت قهر الله تعالى، مؤتمرة بأمره، فكيف يستبعد الإنسان قدرة الله تعالى على إعادة الخلق وبعثهم من هذه الأصول المقهورة له؟

سابعاً

من طرق إثبات البعث ذكر التفصيل الدقيق لما سيحدث عند البعث بثقة تامة ابتداء بالعلامات الكبرى لقيام الساعة ونهاية العالم التي منها خروج يأجوج ومأجوج ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ إلى انقسام الناس إلى أقسام بعد البعث ومصير كل قسم.

بل وذكر تفصيل آخر أدق وهي آخر لحظة من ساعات الدنيا قبل قيام الساعة وهو أن تطوى السماء على بعضها كما تطوى الأوراق على بعضها في السجل لتعود رتقاً كما بدأت أولاً، فالقادر على الخلق الأول قادر على إعادته من باب أولى ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ .

هذا مقصد سورة الأنبياء: كيف تصاغ الحجج المبنية على العلم الصحيح لتدعو إلى الله تعالى، والدعوة إلى البعث مثال له ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ .

سورة الحج

إن الأمة المصطفاة المجتباة هي التي تتميز بتقوى الله تعالى وخشيته وعبادته وحده، وتحمل على عاتقها دعوة الناس إلى ذلك، وتجعله نصب عينيها، وتؤمن بيوم البعث يوماً للمحاسبة على مدى الالتزام بهذا الميثاق الإلهي العظيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ . ويتجلى اصطفاؤها يوم يأمر الله تعالى آدم عليه السلام بإخراج من كل ألفٍ من أبنائه تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار من غير هذه الأمة وواحدٍ منها إلى الجنة، حينئذٍ ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ فتفوز هذه الأمة بشطر أهل الجنة.

إن ميزان الاصطفاء والاجتباء عند الله تعالى هو عبادة الله وحده، فهذا الأمر عظيم والخطب فيه جلل والحساب عليه عسير وموعده قريب. بالرغم من ذلك **تجد الناس معرضين عنه أوزاعاً متفرقين.**

فمنهم المجادل بغير علم المقلد الجاهل جهلاً مركباً المعاند، يتبع كل

ناعق مَرِيد، كغوغاء مشركي قريش ومشركي العرب الكافرين بالبعث ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾ ، ويجادل في البعث الذي قامت عليه الحجج الواضحة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ .

ومنهم رؤوس ال كفر فيهم الذين يجادلون بغير علم ﴿وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ .

ومنهم الرأس المتبوع المجادل بالرغم من إيمانه بالبعث ونزول الهدي والكتاب المنير إليه إلا أنه يتكبر عن متابعة الحق ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ كاليهود.

ومنهم المتعبد الضال المشرك المجادل سريع الافتتان بالرغم من نزول الكتاب إليه لكنه ﴿يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ كالنصارى.

ومنهم المتاجر بدينه ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ .

ومنهم المؤمن بالله وحده، العابد المهتدى المستنير بالآيات البينات، فهو منصور في الآخرة بالجنات ومنصور في الدنيا وهو الصنف المصطفى المجتبى، فالله تعالى سيفصل بين جميع هذه الفئات

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ .

إن أكرم الأمم على الله تعالى هي الأمم المؤمنة، وأكرمها هذه الأمة. إن من **وجوه اختصاصها** أن خصها الله تعالى بأظهر صور التقرب إليه وذلك بالسجود له، فمن لم يكرم بالسجود فهو البعيد المهان ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ، وتظهر كرامة السجود الذي كرمت به حين يظهر الهوان الحقيقي لخصومها يوم القيامة ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ ، بينما تظهر كرامة الأمة المؤمنة ويظهر اجتباؤها حين ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ . ولكل درجات، وتتفاوت درجة كل منهما على قدر تفاوت أقواله وأفعاله ونواياه تجاه التوحيد وتجاه طاعة الله تعالى، وعلى قدر حرمة المكان والزمان الذي عصى الله فيه أو أطاعه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾ ، فميزان الاصطفاء دقيق.

ومن وجوه اصطفاء هذه الأمة اختصاصها بأفضل بقعة على وجه الأرض وأعظمها حرمة لذا ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾، وخصها بأفضل بيت بني على الأرض والذي يتميز بالطواف وبمضاعفة أجر الصلاة والركوع والسجود فيه ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ

وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

ومنها اختصاصها بنسك نبي الله إبراهيم ﷺ، نسك الحج الذي هو أفضل العبادات، إذ اجتمعت فيه عبادات عظيمة ومنافع جليلة من قيام وركوع وسجود وذكر واعتكاف وذبح ونحر وإطعام وألفة وتآخٍ وتراحم بين المسلمين وتعاطف، وما حواه من وفاء نذر وطواف بالبيت العتيق وتعظيم لحرمات الله وشعائره وتحنف وتقوى، بل الحج شعار هذه الأمة ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ ، فهو شعار التوحيد وشعار التقوى.

ومن وجوه اصطفائها أن الله يدافع عنها إذا دافعت عن توحيده وسعت في نشره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وينصرها، ويهلك أعداءها. فمن مات في هذه المجاهدة من أهل الإيمان ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ومن هلك من أعدائها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ .

ومنها أن الله تعالى تكفل بحفظ كتابها من تلاعب شياطين الإنس والجن سواءً بالشبهات أو بالتحريف ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ . وفي ذلك فوائد عدة لأهل الإيمان إذا قاموا بدورهم في دحض هذه الشبهات وبيان التحريف: من هذه الفوائد الإثراء العلمي، ومعرفة حِكَم الشريعة وأسرار القرآن، ودرره وفي

ذلك زيادة في العلم واليقين والهداية ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ، ومنها تمييزهم عن أهل الشقاق، وهذا وجه آخر من وجوه الاصطفاء. بينما لا يزداد أهل الشقاق بذلك إلا مرضاً وقسوة وشقاقاً وتخبطاً ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى أن يلقى كل من الفريقين مصيره، فينعم أهل الإيمان بالمنافع الجليلة والكرائم الإلهية ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، ويزداد أهل الشقاق هواناً ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ .

ومن وجوه اصطفائها أن من هُجِّر من أتباعها أو قتل أو مات فإن الله تعالى متكفل برزقه ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ، ومن بقي منهم ثم بغى عليه ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ لتصبح الأرض مهيأة لعقبهم ومن سار على نهجهم ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾.

ومنها أن الله تعالى اختصها بثروات الأرض وكنوز الاقتصاد العالمي والموارد السماوية والأرضية فأغناها ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

ومنها أن الله تعالى رأف بها ورحمها. فكما أنه سبحانه حفظ السماء والأرض ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾

وهو المتكفل بحفظ حياة الخلق وإعادة الحياة إليهم بعد موتهم فقد تكفل الله بحفظ هذه الأمة من أن تستباح بيضتها على يد أعدائها، وتكفل بحفظ دينها ومناسكها مهما نوزعت ما دامت سائرة على منهاج النبوة ومهتدية بهديه ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ .

ومنها أن الله أكرمها بقوة الحجة والبيان وبسلطان العلم وضعف حجة أعدائها ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ، وذهول أعدائها أمام الحجج الإلهية والأمثال المضروبة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟﴾ .

ومنها أن الله أكرمها بالكنوز العلمية الخفية في النصوص الشرعية التي تؤكدها الاكتشافات العلمية الحديثة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ .

وكما أن الله تعالى يصطفي من يشاء من الملائكة ومن الناس فيجعلهم رسلاً فكذا يصطفي من يشاء من الأمم لتكون أكرم الأمم على الله تعالى وأعبدها وأزكاها، فكلما ازدادت عبوديتها لله تعالى ازدادت كرامتها عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟

﴿رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ . فلما ازدادت عبودية هذه الأمة لله تعالى زادها كرامات عدة فرفع عنها الحرج، وجعلها ترث ملة

إبراهيم ﷺ، وسماها الأمة المسلمة، وأكرمها بأفضل الرسل وسيدهم ليكون شهيداً عليهم يوم القيامة، وجعلها الأمة الثقة عند الله تعالى التي تشهد على جميع الأمم يوم القيامة ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۢ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ ، فهذه وجوه عدة من الاختصاصات تضاف إلى الوجوه السابقة.

هذا مقصد سورة الحج: اصطفاء الله تعالى للأمة التي تدعو إلى توحيده وإكرامها. لذا سورة الحج هي السورة الوحيدة التي وردت فيها سجدتان، فالسجود لله تعالى وحده أعظم كرامة واجتباء يكرم به العبد ويجتبى.

سورة المؤمنون

إن المصطفى المجتبى ذا الكرامة هو الذي **يحدد هدفه في الحياة، ويخطط له، ثم يسعى لتحقيقه،** ويجعل هدفه السعي للفوز بأعلى درجات الفلاح وأسمى مراتب السعادة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ ، بل الفوز بالفردوس الأعلى.

إن تحديد الهدف يتطلب عدة أمور:

أولاً

يحدد الذوات وأصحاب الحقوق الذين سيتعامل معهم: أجلّهم الله تعالى، ثم الناس ثم سائر الكائنات.

ثانياً

يحدد أسس التعامل معهم ووسائلها: أعلاها ما يحقق التوقير لهم، وثانيها التعامل معهم بما يتناسب مع الأخلاق، وثالثها ما يحقق التواصل الدائم معهم.

فتجده يتصف بمعالي الأخلاق مع الله ومع الناس، فكل عضو منه تعبق منه رائحة زكية: قلب خاشع في صلاته، لسان عفيف، يد ندية مبسوطة بالكرم، نفس زكية، جوارحه تطاوعه للقيام بأعمال زاكية، عفيف الفرج، أمين، حافظ للعهد وراع له، محافظ على الفرائض والنوافل ليفوز بالفلاح ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ ، وجعلنا الله منهم.

ثالثاً

يجعل هدفه دائماً أسمى الأهداف وأعلاها، فيجعل هدفه الفوز بمرضاة الله تعالى الذي يدخله الفردوس الأعلى ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ . فنفسه سماوية علوية تتطلع للطواف حول العرش الذي هو سقف الفردوس، ولا ترضى أن تقبع في الدرجة الدنيا، بل تترقى إلى أعلى المراتب كما ترقى الإنسان في خلقه من نطفة مهينة إلى أحسن تقويم وأتم خلق، وتبحث روحه عن الطرق العليا الشريفة الموصلة إلى غايتها ومرامها عند العرش ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ ، فتستقي من شريعته ماءً زلالاً، ومن حبه لبناً خالصاً يسكن به فؤاده، ويثمر في قلبه جنات وارفة الظلال من نخيل وأعناب.

ولا يتوقف عزمه حتى تنبت في قلبه شجرة الزيتون المباركة ليفوز

بالأنوار الإلهية فيستنير بها، وينير للناس طريقهم، ويغذي أرواحهم، ويحملهم معه في سفينة النجاة كما حمل نوح المؤمنين معه ففازوا بالفلاح ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ، وهذا رابعاً وهو أن يتضمن هدفه تحقيق أكبر قدر من المصالح لنفسه وللناس.

خامساً

يوقن أنّ أصل طريق الفلاح قائم على توحيد الله تعالى. فيوحده في ربوبيته وصفاته، فهو الخالق المحسن الذي أحسن إلى العبد منذ أن خلقه من طين ثم نطفة ورعاه واعتنى به إلى أن أنشأه خلقاً آخر ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، وهو المحيي المميت، القوي، المدبر لشؤون خلقه، العالم بأحوالهم، المنعم على عباده بالرزق والماء والنبات والأنعام والطعام والفلك. وذلك يقتضي عبادته وحده لا شريك له، وهذه هي دعوة جميع الرسل وأولهم نوح عليه السلام ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ ، ثم تتابعت الرسل على منهجه. ثم الإيمان بالبعث ولقاء الآخرة ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾، والإيمان بجميع الرسل، ومتابعة الرسول، والاستجابة للحجج والبينات التي جاء بها، والإيمان بالكتب المنزلة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ، والإيمان بمعجزاتهم كمعجزة عيسى عليه السلام وأمه. وهذا سادساً وهو قراءة

سيرة العظماء لاسيما الرسل، ومعرفة أهدافهم لينتفع بها في تحديد هدفه.

سابعاً

يتعرف على الطرق التي سلكها هؤلاء العظماء والوسائل التي اتبعوها لتحقيق أهدافهم. فمأكلهم طيب، ومشربهم طيب، ويتميزون بالمواظبة على الأعمال الصالحة يبتغون بها وجه الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ .

ومن ذلك أنهم متآخون، يد واحدة في الدعوة إلى الله تعالى، ويتميزون بالخشية من الله، يرون في كل شيء آية تدل على توحيد الله تعالى، ولديهم حاسة سادسة تجاه الشرك، ولا يُعْجَبون بأعمالهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ .

ثامناً

قراءة سيرة الهلكى ليتجنب أهدافهم والوسائل التي سلكوها. من ذلك أعداء الرسل الظالمون من كل أمة، الهلكى، الغرقى، النادمون، الغثاء، البعداء ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، الذين هم

مادة حديث الأمم، وعبرة لمن يعتبر. فيرى أن الله تعالى لايمنحهم منيحة على كفرهم إلا استدراجاً ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ؟

ويرى كيف أنهم مختلفون فيما بينهم أشد الاختلاف، في غمرة، غافلون عن اللذة الحقيقية للقلب، قلوبهم فاسدة، أهدافهم الأعمال الدونية ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ . يتقلبون في غفلة الترف حتى يفاجؤوا بالعقوبات الإلهية لتجدهم في غاية العويل. خطواتهم دائماً في نكوص، ويرجعون القهقرى. يسمرون بالهذيان وقبيح الألفاظ، بليدون، لا يتدبرون القرآن البليغ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ ؟

إنهم ضعيفو الحجة ولا يعترفون بالحقائق، أهل بهتان، متبعون للهوى، متصفون بالبخل، يتنكبون عن الصراط الواضح ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ، طاغون، متصفون بعمى البصيرة، لا يعتبرون بالمصائب، يصرون على القبائح، سريعو اليأس في المصائب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ ، لا يشكرون ولا يعقلون، معجبون بأنفسهم، سليطو اللسان.

إنهم لا يتذكرون ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ ، ولا يتقون، ويصابون بالإغلاق عند الخصام ويحارون كأنهم مسحورون.

إنهم كاذبون إذ تعدوا على أعلى الذوات بادعاء الولد والشريك له ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾ ، هم أهل الظلم الحقيقي ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ ، بينما أهل الفلاح ما فتئوا يدعونهم إلى طريق الفلاح.

تاسعاً

لتحديد الهدف لابد من معرفة ميول فؤادك وقدراتك وإمكانياتك حتى تبدع في تحقيق هدفك ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

فدع ما سبق من المتطلبات تتجمع في عقلك وقلبك، ثم انظر إلى قدراتك وميولك واجعلها تتبلور، ولا تدع أحداً يملي عليك هدفك الأسمى قبل النظر في المتطلبات السابقة.

عاشراً

استعن بالله تعالى، وسله التسديد والتوفيق. فلا بد من الاستعانة

بالله تعالى على ذلك والالتصاق بالجناب الإلهي والتسلح بالدعاء في كل حين ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ ، متوكلاً على الله تعالى طالباً العصمة، مستعيذاً بالله تعالى من الشياطين ووساوسهم وأذاهم ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ ، متجنباً حضور المجالس الشيطانية والمجالس ذات الأهداف الدونية، مستعيناً بالوسائل التي تزيد من بصيرتك في معرفة الأهداف السامية وتحديدها، من ذلك مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ حتى يصفو الذهن ولا ينشغل بالاساءات وهذا الحادي عشر.

الثاني عشر

لتحدد هدفك في الحياة تذكر لحظة الوفاة وأنك تحتضر، فما هي الإنجازات التي تود لو أنك حققتها في حياتك وتود لو أنك خلدت فيها؟ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ . فالمفلح الفائز هو الذي يبادر بالعمل لتحقيق هذه الإنجازات في حياته فيجعلها هدفاً له قبل حضور منيته.

بينما الخاسر يظل غافلاً، ولا تتبين له حقيقة الفلاح إلا عند الوفاة ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ حين لا ينفعه الندم، فوراءه حياة برزخية مليئة بالعذاب، فإذا بعث وأراد أن

يعتذر قوبل بالقول له: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ، قد غلبت عليه الشقوة.

إنه أضاع حياته عبثاً ولم يستعد ليوم الحساب ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ، هذا الأمر الثالث عشر وهو تحديد الوقت النهائي ليتم الانتهاء من تحديد الهدف وتحقيقه وعدم التسويف.

الرابع عشر

استغلال الوقت وتقسيمه بما يتناسب مع الأهداف المرحلية وعَدُّ الوقت عدّاً ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ حتى يفوز بهدفه.

فمن سعى في هذا الطريق فإن الله تعالى قد تكفل له بحفظه وحفظ أهدافه وتحقيقها له، وحفظه من عقوبته إذا حلت بالظالمين، وحفظه من الشياطين وعند الاحتضار وفي البرزخ وعند البعث والحساب، وحفظ مكانه في الجنة. من سلك هذا الطريق فقد ارتقت روحه إلى السماء تسرح حول العرش الكريم، سائلة الله تعالى مغفرته ورحمته ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ .

هذا مقصد سورة المؤمنين: كيف تحدد هدفك في الحياة؟

سورة النور

إن أسمى الأهداف الفوز باكبر قدر من النور الإلهي، **وإن أبرز الطرق بعد الإيمان بالله تعالى للفوز بالنور الإلهي الحفاظ على العفة،** هذه العفة التي مَن فقدها خَفَتَ نور قلبه وذهب نور وجهه، بل تجد الظلمة قد علت على وجهه.

إن أعظم خارم للعفة هو الزنا، فلن يفوز العبد بالنور الإلهي إلا إذا اجتنب الزنا، واجتنب كل الطرق المؤدية إليه، وسلك طريق العفة. فجاءت سورة النور ببيان تلك الطرق، فاستهلت السورة بتحريم الزنا وبيان عقوبته ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ﴾ .

ومن طرق شيوع الزنا التي يجب اجتنابها كثرة الحديث عنه وعن رواده، وأعظمها قذف العفيفات به وإطلاق اللسان في انتهاك أعراضهن، فحرمه الشارع وعاقبه بحد القذف ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ . فالقذف يؤدي إلى شيوع الاتهامات وإثارة الغرائز، فتنتهك الأعراض بالظنون، ويتطرق الشك إلى الأنساب والأبضاع،

وتصبح العفيفة بغيّاً بالألسنة، فتتحقق مقاصد الزنا. وإن أشنع القذف قذف أمهات المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ .

ومن الذرائع التي تؤدي إلى الزنا دخول البيوت بلا استئذان مما يفضي إلى الاطلاع على العورات، فتثار الغرائز وتقع الفاحشة ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾. ومنها إطلاق بصر الرجال نحو النساء، وكذا نظر النساء إلى الرجال، فالنظر بريد الزنا والعين بريد القلب ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ .

ومما يثير الغرائز التبرج وخروج المرأة سافرة ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ، وضرب النساء أرجلهن لإبداء صوت الخلاخل والكعب. ومن ذرائعه العزوبة، لذا ينبغي السعي في تزويج الفتيان والفتيات ليستعفوا ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ ، وكذا الحرص على عفاف الإماء.

إذا تحقق ما سبق فإن العفة تتحقق بإذن الله تعالى، وسيمنح الله تعالى نوره لعبده ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ . وإذا ما أراد العبد أن يشع وجهه نوراً ويحافظ على النور الإلهي فعليه بملازمة المساجد والتعلق بها والتردد عليها مصلياً ذاكراً

فيها اسم الله تعالى الذي هو أصل النور لا سيما بالغدو والآصال ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ .

أما إذا لهث وراء شهوته سعياً للزنا، عاشقاً للنساء عشقاً محرماً، ظاناً أنه سيروي ظمأ شهوته ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ فليعلم أنه لن يرتوي، وأنه يلهث خلف سراب، وسيتقلب في العذاب والظمأ حتى يلقى الله تعالى وهو يلهث ليوفيه حسابه. بل ستكون الدنيا في وجهه سوداءً مظلمة يتكبكب في ظلماتها وفي قعرها يظلم معها وجهه ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ . أين هذا ممن علا كعبه وعلت بصيرته، يرى الأمور على حقيقتها كالطائر يرى كل شيء تحته ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ﴾ ، قد علا النور وجهه حتى كاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ .

وكما أن الماء مادة حياة الأجساد ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ﴾ فكذا النور الإلهي مادة حياة القلوب .**ولتحصل على هذا النور** الإلهي عليك أن تنصاع للضوابط والأحكام الشرعية المذكورة سابقاً وإن تعارضت مع هواك، فلا تنتق منها ما يوافقك وتعرض عما خالف هواك، فصاحب الهوى يقبل لنفسه أن يزني بنساء الآخرين ويتغزل

بهن، بينما لا يقبل أن يفعل هذا بنسائه، ويسعى عند القضاء سعياً حثيثاً ليقتص له حقه﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ . فإن استجبت لله تعالى ولم تستجب لهواك في خوارم العفة فأبشر بالفوز والتمكين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ .

ومن رحمة الله تعالى أن **عفا عن بعض الأمور** التي تتعلق بالعفة وطرقها رفعاً للحرج. منها أنه أذن للمماليك ومن لم يبلغ الحلم الدخول على النساء جميع اليوم إلا في ثلاثة أوقات ﴿لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ ، وأباح للكبيرة في السن التي لا ترجو نكاحاً أن تلقي شيئاً من ثيابها أمام الأجانب غير متبرجة بزينة، وعفا عما يتكرر من ظهور عورة الأعمى والأعرج والمريض بلا قصد، وأباح الأكل من بيوت المحارم والصديق بلا إذن، ولا بأس من الاجتماع معهم على مائدة واحدة ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ﴾ .

إن أعظم وسيلة لحفظ عرضك وعرض أهلك في غيابك أن تقبل على الله تعالى لاسيما في المحافل العظمى كالحج والجهاد وصلاة الجماعة، فلا تتخلف عنها وعن الطاعات بحجة حفظ الأهل وحفظ عوراتهم، فإن الله تعالى متكفل بحفظها. فإذا حفظت الله تعالى حفظ

عوراتك وحفظ أهلك في غيبتك ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ ، بينما من لم يحفظ الله لم يحفظ الله أهله ولم يحفظ عوراته.

هذا مقصد سورة النور: إذا أردت أن تجلل بالنور الإلهي فعليك أن تجلل طاعاتك بالعفة وطرقها.

سورة الفرقان

من أكرم بنور الوحي الإلهي والشريعة الإلهية استطاع أن يفرق بين الحق والباطل، والنافع والضار، والمصالح والمفاسد ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ .

بينما من لم يكرم به فهو في غاية العمى من عدة أوجه:

أولاً

إنه في عمى عن معرفة طريق السعادة والشقاء.

ثانياً

هو في غاية العمي عن معرفة عيوب المنهج الذي يسير فيه لاسيما عجز آلهته الباطلة ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ .

ثالثاً

في عمى عن رؤية طريق النجاة الواضح الذي ظهرت عظمته. لذا لما نزل القرآن الذي بهر العقول بجلاله وأخذ القلوب بفصاحته وبلاغته وعظمته قالوا بأنه إفك.

رابعاً

إنه في عمى عن رؤية الأمور على حقيقتها والاستدلال عليها لذا لما ظهرت دلائل النبوة في النبي ﷺ جلية قالوا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾.

خامساً

تجده متناقضاً في أقواله واستدلالاته، فتارة يقول عن القرآن «إفك» وأخرى «أساطير الأولين» وثالثة «سحر»، وتارة يتهم النبي ﷺ بالافتراء وأخرى ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ وثالثة ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ .

سادساً

تجده يتميز بالتفكير السطحي الضحل، تفكير الغر، لا يغوص في

الأعماق ليميز النفيس من الرديء، فميزانه وطرق التقييم عنده هو المظهر والزينة، فيرى بأن الصادق والأحق بالمتابعة هو الذي يتكبر ولا يخالط الناس ولا يمشي في الأسواق، بل ولا يمشى إلا ومعه حماية من الجنود وتُلقى إليه الكنوز ويملك الجنات. لذا حكم بعدم صحة الرسالة النبوية لأن النبي ﷺ ﴿... يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ .

سابعاً

تجده عاجزاً عن مجابهة الحجج، ويقابلها بالاتهامات كما قابلوا الحجج الإلهية والبراهين النبوية باتهام النبي ﷺ بالافتراء والتلقي من بني إسرائيل والسحر.

إنه لو كان يؤمن باليوم الذي يدان فيه العباد ويحاسبون لأعاد تقييم طريقه ومنهجه، وإلّا فليتحمل نتيجة تعاميه ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ . بينما من آمن بالوحي الإلهي آمن باليوم الآخر فعمل له فأكرم بالفرقان، فله كمال النعيم ﴿جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ، وإن الله تعالى إله العالمين أول من يوفيهم وعده ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ ، بينما أول من يتبرأ من العميان آلهتهم.

ثامناً

تجده أعمى القلب، يتلفظ بألفاظ عظيمة وأقوال شنيعة لا يزنها ولا يحسن تقدير مآلها وقالوا ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ . فستنزل عليه الملائكة وسيراها رؤية لا تسره ولا بشرى له فيها، ويتجرع منها أشد ألوان العذاب سواء عند الممات أو عند البعث أو عند الحساب ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ .

تاسعاً

إنه أعمى حتى في اختيار الصديق، فلا يخالل العاقل الرزين ذا النور والفرقان، إنما يخالل الشيطان الخاذل الذي يخذله في أحلك الأحوال ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨)﴾ .

عاشراً

إنه عديم الفطنة، ولا يعرف المقاصد والحكم لاسيما المتعلقة بالأمور العظيمة والخطوب الجليلة، من ذلك فيما يتعلق بنزول القرآن ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ ، ولا ينتفع بالكنوز التي بين يديه ﴿إِنَّ قَوْمِى

﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ لأنه أعمى القلب. فأحواله دائماً منتكسة مضطربة، لذا يحشر يوم القيامة منتكساً ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ . إنه لا يتعظ بغيره ولا بمن حوله، فبالرغم من رؤيته للعقوبات العظيمة التي حلت بمن حوله من الأمم إلا أنه لا يتعظ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ .

الحادي عشر

إنه لا يحسن التفرس في الناس ولو كانت السيما واضحة جلية، فهو في عمي عن رؤية نور النبوة في قسمات وجه النبي ﷺ، وفي عمى عن رؤية الصدق والطهارة في محياه وفي أحواله. أخلاقه سيئة وألفاظه بذيئة، يستهزئ بالعظماء ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ ، قائدة هواه، لا يسمع ولا يعقل ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، وهذا **الوجه الثاني عشر.**

الثالث عشر

إنه لا يعيش إلا في الظل، ويخشى نور الشمس الذي به يرى طريق النجاة وبه يفرق بين الحق والباطل. فأنت يا رسول الله شمس ونور، وبشروق نبوتك تبين أن الكفار ما هم إلا ظل لا حقيقة له، وبشروقها

كشف الله تعالى جهلهم وأظهر عوارهم وفسادهم المنتشر في الأرض الممتد امتداد الظل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ . وكلما ظهرت نبوتك وظهر الحق على يديك تقلص فسادهم وانقبض كانقباض الظل، واندحرت شبهم ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ ، والعكس بالعكس.

الرابع عشر

إنه في طريق كله تلبيس، وينقطع بسالكه، ولا يوصل إلى المقصود كالليل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ . بينما أنت يا رسول الله شمس العالمين، وما أتيت به غيث فيه نَشْرٌ للنفوس وبعث لها وبشرى ورحمة وطهارة، وبرسالتك تحيا الأرواح وتُسقى النفوس الظمأى ﴿... وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ .

يا رسول الله! إن رسالتك مبنية على قواعد صحيحة متينة في البحث والنظر وفي كيفية تمييز الحق من الباطل، فهي شمس تنير للإنسان طريقه وتدله عليه، وتجعل له فرقانا، وتجعله بصيراً فطناً.

من هذه القواعد تعليق النتائج بأسبابها والمآلات بعلاماتها كالرياح المبشرات بنزول الغيث ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ

رَحْمَتِهِۦٓ﴾ ، وكالغيث الذي هو سبب الحياة في الأرض وسقيا للخلق.

ومنها التميز بين المختلفين وعدم الجمع بينهما وإن تشابها في وجه من الوجوه، كما يميز بين الماء العذب والأجاج فيرى فيهما حكماً باهرة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ .

ومنها أنها تدعو إلى البحث عن التناسب بين الأشياء المتشابهة ظاهراً وإلى التمييز بينهما بوجه من وجوه الاختلاف وإن دق وخفي فتجعل لها أحكاماً تجتمع فيها، وأحكاماً تختلف فيها، كالمشابهة والمفارقة بين النسب والمصاهرة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ .

إنها رسالة تدعو إلى النظر فيما وراء الأسباب، والتمايز بين المخلوقات، والتفرس، والبحث في الحكم والعلل والمقاصد، والبحث في الأدلة والحجج، فهي قائمة على قواعد راسخة وأصول ثابتة في البحث والنظر.

فمن نظر إلى هذه القواعد بعين الفرقان تأكد عنده أن الله تعالى هو الرب الخالق المتصرف بالكون والمدبر لأحواله على أحكم الوجوه فهو الذي خلق الظل والشمس والليل والنوم والنهار وتصرف فيها ويرسل

الرياح وينزل الغيث ويحيي ويسقي ويصرف وخلق البحار والبشر والأنساب والأصهار وصرفها ودبرها، **هذا أولاً ويسمى بتوحيد الربوبية.**

حينئذ يتوصل إلى أنه لا يستحق أن يحب كمال الحب إلا هو ولا يذل إلا له، فلا يستحق أن يعبد إلا هو سبحانه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ ، **وهذا ثانيها ويسمى بتوحيد الألوهية.**

وإذا نظر في المخلوقات بعين التفرس والبصيرة تبين له أن خالقها له صفات الكمال على أكمل وجه، وأنه منزه عن جميع النقائص ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ ، ويرى أن رحمته قد غلبت غضبه ﴿... ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ **وهذا ثالثها ويسمى بتوحيد الصفات،** وهذه الأقسام الثلاثة من التوحيد تشملها كلمة «لا إله إلا الله».

ثم إذا نظر إليك وإلى أحوالك وما تدعو إليه ونظر إلى الحجج التي أوردتها توصل إلى أنك رسول الله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾، هذه النتائج هي أصل النور الذي به يتحقق الفرقان والفوز والفلاح ملخصها «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

فما عليك إلا التوكل على الله تعالى ودعوة الناس إلى هذا الفرقان

وقواعده وأصوله وبذل الأسباب في دعوتهم وتفويض النتائج إلى الله تعالى فإنه لا يقدِّر إلا ما فيه كمال الرحمة. فأنت يا رسول الله السراج المنير في السماء الذي يهتدي به ويفرق به الحق والباطل، والعلماء أقمار منيرة فيها، والدعاة بروجها وزينة لها ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ . أما تعاور الانتصارات والانتكاسات بين دول الإيمان التي تميزت بالسراج والأقمار والبروج وبين دول الكفر العمياء فما هو إلا كتعاور الليل والنهار ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ .

إن أهم الأمور العملية المعينة على هذا الفرقان التام عبادة الله تعالى وحده والفخر بالانتساب إليه ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ، ثم الرحمة بالخلق والتواضع والحلم، والتهجد آخر الليل، ودوام الخوف من الله تعالى ومن عقابه، والإنفاق والتوسط فيه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ .

ومن الأمور المعينة على الفرقان اجتناب الكبائر والمعاصي وعلى رأسها الشرك، فإن وقع في شيء منها بادر إلى التوبة النصوح. ثم عدم شهود الزور وترك الملهيات، وترك فضول الكلام ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ ، وعدم العناد، فإذا ما قارف شيئاً منها وذكّر تذكر ورجع

وأناب ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ .

ومن الأمور المعينة على الفرقان السعي الدائم للتآلف العائلي ليستقر ذهنه، والهمة العالية لتحقيق التقوى وسؤال الله الإمامة في ذلك ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ، ودوام الصبر.

إن جميع الأمور المذكورة تؤدي إلى الاستقرار الذهني والاستقرار الاجتماعي والتوسط بين الإفراط والتفريط ليمكنه حينئذ النظر بعين البصيرة والفرقان فيفوز بأعلى الجنان ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥)﴾ ، بينما من لم يكرم بالفرقان ولم يسع إليه فلا يعبأ الله به ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ .

هذا مقصد سورة الفرقان: كيف الحصول على الفرقان؟ وما هي صور الفرقان؟ وما هي تبعات من لم يكرم بالفرقان؟

سورة الشعراء

من سعى للحصول على الفرقان فأكرم به كان له قدر عظيم عند الله تعالى، **بينما من لم يسع إليه فلم يكرم به فلا قدر له ولا مكانة، ولا يعبأ الله تعالى به،** فلا تعبأ به يا رسول الله ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ .

فلا يعبأ الله تعالى بمن أعرض عن طريق الفرقان وإن تميز بمميزات وتفرد بخصائص تشرئب لها أعناق أهل الدنيا .**فلا يعبأ الله بالكافر** مهما بلغ من الملك مبلغه كملك فرعون، أو اكتملت له الرفاهية والنعيم ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾، أو بلغ القمة في الكيد والحذاقة كحذاقة السحرة وكيدهم ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾، أو كانت العلاقة أوثق العلاقات سواءً في النسب والقرابة كقرابة آزر للخليل إبراهيم ﷺ، أو الصداقة الحميمة ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ .

ولا يعبأ الله بالكافر ولو بلغ الغاية في الحسب والجاه والشرف الدنيوي كطبقة الإقطاعيين في قوم نوح ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ ،

أو كانت له السيادة في الأرض كدولة عاد والتي كانت الدولة العظمى والأولى في العالم ولها قواعد عسكرية في كل بلد ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨﴾ ، أو كان يضرب بهم المثل في الحضارة والتقنيات والصناعة كقوم ثمود ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ۝١٤٩﴾، أو كانوا هم أهل الأصالة بينما المصلح غريب آتٍ من الخارج كقوم لوط ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ۝١٦٧﴾ ، أو بلغ الغاية في الاقتصاد العالمي كقوم شعيب، فجميعهم أهلكهم الله تعالى في طرفة عين ولم يعبأ بهم لما كفروا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٧٥﴾ .

إنما يعبأ الله تعالى بالقلب السليم الذي آمن بالقرآن الذي ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ، فيعبأ بقلبك وبك أنت يارسول الله ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨﴾، ويعبأ بمن آمن بك واتبعك وقلَّب لسانه بالصلاة عليك حال صلاته وسجوده ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ ، فاخفض جناحك له فهو أهل لذلك.

وهذا تحذير لقريش والعرب الذين علا كعبهم في البلاغة والفصاحة لاسيما في الشعر الذي تهاوى أمام فصاحة القرآن، فلا **يعبأ الله تعالى بأشعر الشعراء** ولا بأهل البلاغة والفصاحة مهما بلغت بلاغتهم وفصاحتهم ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤﴾ ،

وليحذروا من أن يكون مصيرهم كمصير أولئك الأقوام.

هذا مقصد سورة الشعراء: أن الله تعالى لا يعبأ إلا بمن تمسك بهذا التوحيد ولا يعبأ بمن سواه مهما علا كعبه في الأرض.

سورة النمل

وإذا أردت أن يعبأ الله بك وتستمر عناية الله بك فعليك **أن تعتني بكلام الله تعالى وهو القرآن وتتأدب معه،** لقد ملئ هداية وبشرى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾، وملئ حكمة وعلماً.

فمن صور الأدب مع كلام الله تعالى والعناية به أن تقبل عليه مبتغياً نوره كإقبال موسى عليه السلام عليه ومجيئه لكلامه، وليكن أنيسك ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ وقبساً لك تستنير به في طريقك، وتنهل منه العلم والأخبار، وتصطلي به متدفئاً متدبراً إياه ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ لتغشاك البركة وتنال العزة وترزق الحكمة، وتذهب عنك المخاوف والآفات ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ .

فاهتبل هذه الكرامة، وهي إكرام الله العباد بإنزال كلامه إليهم وكرامة تيسير فهمه، فإن تيسير فهم كلام رب العالمين من أعظم الكرامات. أليس من العجب أن يفهم نبي الله سليمان عليه السلام كلام الطير الذي ليس من جنس الإنس؟ إنه أمر عظيم، والأعجب منه والأعظم أن يكرم الله البشر وييسر لهم فهم كلام الله وتدبره.

ومن صور الأدب معه أن تعظّم كلام الله وكتابه أشد من تعظيم كتاب أعظم ملوك الأرض، وأشد من تعظيم بلقيس لكتاب الملك نبي الله سليمان عليه السلام ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ . فمن عظم كلام الله تعالى وتعلمه وتدبره تحققت له كرامات لا تتحقق لعفاريت الجن، كالعالم الذي تفوق على العفريت ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ ، ومن عظّم كلام الله تعالى دانت له الملوك والممالك كما دانت الملكة بلقيس ومملكة سبأ لسليمان عليه السلام ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ .

إن تعظيم كلام الله تعالى يتحقق بتعظيم قسميه الشرعي والقدري.

أما كلامه الشرعي فهو يشمل جميع ما شرعه في كتابه من وجوب الاستسلام له وعبادته وطاعته ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ واجتناب معصيته ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ ، فتنصاع له ولا تخاصم فيه ولا تعرض عنه، وتتفاءل به ولا تتطير كما تطيرت ثمود برسالة نبي الله صالح عليه السلام ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ .

وكذا تعظم كلامه القدري الذي ورد فيه وهو ما قدر وقوعه وهو المكتوب في اللوح المحفوظ فلا تعترض عليه، وترى في تقاديره كمال الحكمة والعدل والرحمة والإحسان لتكون من أهل الاصطفاء، فترى في تقديره إهلاك قوم ثمود لما تطيروا بنبيهم ومكروا به وأفسدوا وظلموا

وفي تقديره إهلاك قوم لوط لما أسرفوا في الفاحشة وأرجفوا بنبيهم وعزموا على إخراجه لطهارته لاسيما امرأة لوط التي كانت رأساً ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ترى في تقديره كمال حكمته وعدله، فتعظم كلامه القدري فهذه صورة أخرى من صور الأدب مع كلامه سبحانه.

واحذر من أن تسيء الأدب مع كلام الله تعالى. فمن صور سوء الأدب مع كلام الله تعالى التآمر على قتل حامله وحامل رسالته ومبلّغ كلامه كحال ثمود مع نبيهم صالح عليه السلام ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ ، أو التآمر على إخراجه كقوم لوط مع نبي الله لوط عليه السلام ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ . فإنه لا يقدم على إساءة الأدب مع حامل كلام الملوك إلا الفاحش المتفحش، عديم الحياء، عديم الطهارة، فاقد أصول الأدب بتجاهله إياه، فهو أقل حياء من قوم لوط وأشد فحشاً منهم.

بينما من أقبل على كلام الله تعالى بكمال التعبد والتأله ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وكمال الطهارة ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ، مع قصد نهل العلم منه وطرد الجهل عن نفسه نجّاه الله تعالى ودمر أعداءه أجمعين ولم يستثن منهم أحداً وإن بلغوا من الشرف مبلغه وبلغ كيدهم غايته.

إن الجزاء من جنس العمل، فمن قابل كلام الله بالتطير لحقه طائره، ومن استقبله بالمكر مكر به، ومن استقبله بعدم الطهارة واستخف به عذب بماء سيء غير طهور لا ترجى منه حياة ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ . بينما من أقبل عليه بصفاء وسلامة صدر واستسلام قلب اصطفاه الله تعالى ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ .

كيف لا يُقبل على كلام الله تعالى ولا يُعظَّم وقد تميز بالحجج الواضحة والبراهين الجلية ﴿... ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ والتي تم عرضها ببلاغة تأخذ القلوب وفصاحة تأخذ الأسماع؟

كيف لا يقبل عليه وقد ملئ بالغيوب المستقبلية ومن أشرفها علوم الآخرة ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ، وتميز بالوعود الصادقة؟ فآمن بها ولا تكذب بها تكذيب الجاحدين ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ولا تستعجلها.

كيف لا يقبل على كلام الله تعالى وقد تميز بأحسن القصص وأنفعها وأصوبها وأرشدها؟ كيف لا يقبل عليه وقد تميز بالحلول الناجعة والقضاء المحكم في الخلافات الشديدة التي قطعت الأمة الواحدة فضلاً عن الأمم المتفرقة، ليجمعها على قلب واحد ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ؟

كيف لا يقبل عليه وقد ملئ هدى ورحمة وحكمة وعلماً وعزة وحقاً وبياناً ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ ؟

إن هذا القرآن أهل لأن يقبل عليه ويعظم ويتأدب معه. ولكن لا يجد ذلك موتى القلب لأنهم لا شعور لهم، ولا يسمعه الصم المعرضون، ولا يراه عمي القلب ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ .

فعظموا شأن القرآن فإنه كنز عظيم كلمكم الله تعالى فيه بلغتكم، **وتأدبوا معه قبل أن يتحقق وعد القرآن** القدري بخراب العالم. فإنه إذا بلغ الأمر الإعراض التام عن كلام الله تعالى وإساءة الأدب في التعامل معه والتكذيب به وبآياته حينئذ يرفع القرآن فترفع معه البركة والكرامة الإلهية لبني آدم، فيصبح الناس وقد رفع القرآن من صدور الرجال وأعرضوا هم عن الإيمان فيقع عليهم قول الله القدري ووعده، وتقوم الساعة التي من أشراطها وعلاماتها العظمى خروج دابة تكلم الناس بلغتهم ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ . أتعجبون من كلام الدابة التي ستخرج لتكلم الناس بلغتهم وتخبرهم عما سيحدث وتعظمونه وتنبهرون به؟ لقد جاءكم ما هو أعجب منه وأعظم وهو كلام الله تعالى الذي تكلم فيه بلغتكم وأخبركم عن

غيوب مستقبلية مفصلة، فهلا عظمتموه؟!

بل **وسيتحقق** قول الله ووعده الآخر حين ينفخ في الصور نفخة الفزع ليبعث الناس ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ، فيرون بأم أعينهم كيف يتحقق كلامه ووعده الشرعي بالثواب بالحسنات المضاعفة والأمن من الفزع لمن أطاعه وبالعقوبة لمن عصاه ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ .

فتمسكوا بكلام الله تعالى وما يدعو إليه من عبادة الله وحده ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ ، وعظموه وتأدبوا معه، واتلوه آناء الليل وأطراف النهار ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ ، فإنكم سترون آيات القرآن الشرعية والقدرية لا محالة. واعلموا أن الله تعالى غير غافل عمن تأدب مع كلامه أو أساء الأدب معه ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ .

وهذا مقصد سورة النمل: التأدب مع القرآن كلام الله تعالى وتعظيمه.

سورة القصص

من تمسك بكلام الله تعالى وعبد الله وحده ودعا الناس إلى ذلك ولجأ إليه واستجار به وأطاعه فاز بالتمكين ووراثة الأرض وإمامتها والاستقرار وإن كان أضعف أهل الأرض، ومن أعرض عن كلامه وعصى الله تعالى وعلا في الأرض وأفسد وتجبر بسلطان الملك أو بسلطان العلم والمال عوقب بالهزيمة والاندحار والذل والهلاك وإن كان ظاهره الاستقرار والتمكين ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ .

أولاً

إن التمكين عند أهل الأرض يتحقق إما بالتسلط بالملك والجبروت والذي يتضمن القيادة السياسية والعسكرية، أو بالمال والذي يسمى بالقيادة الاقتصادية.

ثانياً

أما التسلط بالملك والجبروت فأمثل مثال له فرعون الذي تأيد بأقوى مستشار وهو هامان، فحكم قومه بالسياسة والبطش والقتل والإذلال ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ .

فكانت نهايته على يد رضيع آمنت أمه بالله تعالى وعبدته وحده وآمنت بكلام الله تعالى ووعده ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ، فلما خافت على رضيعها من القتل لم تضمه إلى صدرها كسائر الأمهات إنما ألقته إلى جوار الله تعالى، فرددناه إليها سريعاً بعدما صار بين يدي فرعون وأحبه، وتربى في بيت عدوه فرعون معززاً مكرماً مرموقاً رعاه كل أهل مصر ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ .

وحصلت له عدة حوادث كلها تقول أنه لن يعود إلى مصر ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ﴾ ، فألقى بنفسه إلى جوار الله تعالى مفتقراً إليه مستمراً في نصرة الضعفاء، فأمنه الله تعالى وأكرمه بالاستقرار والتمكين المرحلي على يد صاحب مدين ﴿لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، بل أُكرِم باستقرار

يفوق ما كان يرجوه.

وفي طريق عودته إلى مصر ألقى بنفسه إلى جوار الله تعالى عند الطور آنساً متدفئاً بجواره فأمّنه ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾ ، وأرسله إلى أعتى جبار في الأرض، وشد عضده بأخيه، وجعل له سلطاناً وبشره ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ . فرجع إلى مصر رسولاً، فتحقق وعد الله تعالى فيه، فكان هلاك فرعون وذهاب ملكه على يد الطفل الرضيع، مُلكه الذي ورثه من آبائه منذ قرون وسعى هو في تشييده ما يزيد على خمسين سنة تلاشى في لحظة ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ ، فلا استقرار له ولا تمكين ولا بقاء.

هذه تفاصيل دقيقة لقصة موسى عليه السلام لم تشهدها يارسول الله ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ ، قصصناها عليك لنؤمنّك وتطمئن بأنك على حق، وليصاحبك الأمان عند خروجك من مكة ملقياً بنفسك إلى جوار الله تعالى، ونقضي لك في مهاجرك ﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾ قرينة مدين كما قضينا لموسى عليه السلام في مهاجره ﴿مَدْيَنَ﴾ من الأمان والاستقرار والتمكين، حتى تعود إلى مكة منتصراً نصراً مؤزراً متمكناً إماماً، وتحل العقوبة على أعدائك الذين

علوا في الأرض وأفسدوا كما حدث لأعداء موسى عليه السلام.

ثالثاً

فإذا تساءلت لِمَ لم يعاجلهم الله بالعقوبة فيمكن لأهل الإيمان كما مكن لبني إسرائيل؟

ذلك لعدة حِكم، أولها: رحمة من ربك أن أخر عقوبتهم ولم يعاجلهم بها، ولأنهم لم يأتهم نذير من قبلك فكان هذا شيئاً جديداً عليهم ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ، ولتتوالى عليهم الحوادث فيشهدوا عظمة الرسول ﷺ فلعلهم يؤمنون، ولتتوالى عليهم الآيات والمعجزات لئلا يتحججوا بقولهم ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ ، ولتظهر حجة الحق فيروه واضحاً جلياً.

ومن الحكم في عدم معاجلتهم بالعقوبة أن الله تعالى يحب إمهال عباده إلى أن تقوم عليهم الحجة مراراً، وحتى يوردوا جميع حججهم وتساؤلاتهم فنمهلهم حتى ندحضها ويظهر تعنتهم بتعللهم بأي علة لرد الحق كتعللهم بالعلل المذكورة آنفاً، وكقولهم ﴿لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ فنتأنى بهم حتى تأتيهم الإجابة وأظهرها إيمان مخلصي أهل الكتاب ليتيقنوا أنه ﷺ أوتي مثلما أوتي موسى عليه السلام،

وكتعللهم المتهافت وهو خوفهم من مهاجمة القبائل لهم وتخطفهم وذهاب جاههم وسيادتهم عند العرب إذا آمنوا ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ﴾ فتأتيهم الإجابة بأنا أكرمناهم بالحرم والأمان والرزق على كفرهم أما نكرمهم بعد إيمانهم ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ .

وآخر الحِكَم في عدم معاجلتهم بالعقوبة أن الله تعالى يحب التأني حتى يظهر بطرهم ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ ، وحتى يستحكم ظلمهم، فإذا نزلت عليهم العقوبة حينئذ كانت عادلة حكيمة.

رابعاً

أما إذا تساءلت: ما هي قواعد التمكين والإمامة للمؤمنين المستضعفين؟

أولها: أن التسلط بالملك والجاه والمال والزينة لا يركن إليه، فهو متاع زائل لا بقاء له. ومنها أن الوعد الإلهي الحسن بالتمكين للمستضعفين من المؤمنين متحقق ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ ، وأنه أبقى وأثبت ولا يزول ماداموا على المنهج الإلهي، وأنه خير من ذاك المتداول بين الكفار أضعافاً مضاعفة وخير مما يرجوه المؤمنون، وما ادخره الله لهم في الآخرة خير من جميع ذلك.

ومنها أن عاقبة التسلط بالملك والمال أليمة وخيمة أعظمها يوم القيامة حيث الذل، والتبرؤ بين المتسلطين والأتباع والشركاء، والعذاب ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ ، وكذا في الدنيا. ومنها أن المؤمن يجب أن تكون الآخرة همه لئلا يستعجل قطف الثمرة.

ومنها أن الوعد الإلهي بالتمكين والفلاح معلق ببذل الأسباب الشرعية، فالمؤمن لا تغريه الأسباب المحرمة ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ . ومنها أن لا يتعلق القلب بالأسباب وإنما يتعلق بالله تعالى، وأن البشر ليس لهم أدنى مشاركة مع الله تعالى في تحقيق النتيجة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ ، وأن صفاء النفوس وإخلاصها وحسن القصد وعدم التحايل على الشرع في الأسباب المبذولة له أثر كبير في تبدل الأحوال إلى التمكين والإمامة ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ، وكذا حسن الظن بالله تعالى بأنه سيحقق مقصدك.

ومنها التسليم بما سيقدره الله قبل نزول القضاء، والارتياح والرضا بعد نزوله، وأن تعتقد أن هذا القضاء سواءً وافق المطلوب أم لم يوافقه فيه خير كثير وكنوز وافرة ثمينة خبأها الله لك خلف ستار المصائب ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ . وأن الله تعالى هو المتصرف

بالكون والممالك والأموال، فهو قادر على قلب النظام الكوني فيجعل الليل سرمداً أو النهار سرمداً إلى يوم القيامة، فمن ﴿إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ سيمنعه أو يرد قضاءه؟

ومنها أن يعلم العبد أن تعاور الممالك والأموال بين أهل الإيمان وأهل الكفر فيه خير كثير، فلم يجعلها بيد الكفار ليشيع الكفر فتكون على المؤمنين ليلاً سرمداً، ولم يجعلها بيد المؤمنين نهاراً سرمداً حتى يطغى المؤمنون، وإنما تتعاور رحمةً من الله تعالى لمراجعة النفس ولمعرفة نعمة الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

ومنها أن الله تعالى جعل الخوف والاضطراب ملازماً لأمة الكفر وأهله وأهل الفسوق، حيث يخشون زوال ملكهم والخوف من تقلباته، لذا تكررت ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ ثلاثاً عند بداية هذا المحور وانتهت بـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ ، ليزداد اضطرابهم، فبناؤهم متهافت، سريع السقوط، غير قائم على أساس صحيح ولا قواعد متينة.

خامساً

والنوع الآخر للطغيان هو **الطغيان الاقتصادي**، الطغيان بالمال، كقصة قارون ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ . فهو مثال للأمة التي تبغي وتستطيل بجبروت المال وتفتن

الناس بمالها واقتصادها وتقنيتها، ويسعى فيها المؤمنون ببذل شتى الأسباب الشرعية والوسائل الإصلاحية ولكنهم يعجزون عن الوقوف أمام هذا البغي والفساد، ويتمخض الشر ويزداد الفساد والظلم ويطغى فرح البطر، ويستمر افتتان الناس به وتتهافت القلوب عليه وتتهاوى الأفئدة إليه ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ ، حينئذ تتدخل يد الله سافرة لتخسف به ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ ، فابتلعته الأرض وابتعلت داره لتحطم الغرور والكبرياء، فذهب خاسئاً ملعوناً عاجزاً لا ينصره أحد.

سادساً

لقد ضربت لنا قصتا فرعون وقارون مثلاً عالياً في أن البوار للمفسدين مهما علوا ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ، وتقعِّد لنا قاعدة عظيمة في أنه من اتقى الله وأصلح وبذل الأسباب الشرعية للإصلاح ومحاربة الفساد وإن كانت وسائله ضعيفة قليلة فإن الله سيبارك فيها ويضاعفها فتسمو لتغير الأحوال ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ﴾ ، وأن هلاك المفسدين المتجبرين من كمال العدل لا ظلم فيه ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ .

سابعاً

خلاصة ما سبق:

إن القرآن هو منهج الحياة، وهو مصدر القيم، وبه تتحقق الانتصارات والتمكين والإمامة ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ .

وإن المصائب التي تعترض طريق المصلحين ما هي إلا أحد أجزاء طريق التمكين. فما خروجك من مكة مهاجراً إلا أحد أسباب التمكين كخروج موسى عليه السلام من مصر فرجع إليها ليكون هلاك فرعون وجنوده على يديه ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ .

وإن التمكين والإمامة المرتقبين أعظم مما ترجوه، بل لا يخطر في الأذهان كما نزلت عليك الرسالة ولم تكن ترجوها ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ .

وأن **الاختيار** والتمكين كله بيد الله وحده وفي شرعه فلا تتعلق بالكفار لما ترى من علوهم في الأرض وتجبرهم ولا تستجْد منهم نصرة، ولا تظنن أن مناصرتك للكافرين المتعالين طريقاً للتمكين، ولا يصدوك عن الطريق الإلهي بترغيبهم إياك بما عندهم من

خيرات إذا تابعتهم وترهيبك إذا خالفتهم، بل استمر في طريق الدعوة إلى الله تعالى ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ .

وتجنب طريق الشرك بجميع صوره الأصغر والأكبر سواء بالتعلق بالأسباب والتوكل عليها، أو ببذل الأسباب المحرمة، أو بالتشبه بالمشركين في تأصيلهم لطرق التمكين مخالفاً للمنهج الرباني لتضيع صبغتك الإلهية، إذ الاتفاق في المظهر ينتهي إلى الاتفاق القلبي ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ .

واعلم أن **كل سبب** لا يرضاه الله تعالى فهو هالك ساقط، وأن الأسباب الشرعية التي ابتغي بها وجه الله تعالى أسباب مباركة ونتائجها مباركة وتؤدي في نهايتها إلى هلاك سلطان التجبر بالملك والمال ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ ، وأن كل عمل قصد به غير الله تعالى فهو هالك، فالله جل في علاه هو الذي يحكم العالم ويديره ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ .

هذا مقصد سورة القصص: أن من عبد الله وحده ودعا الناس إليه واستجار به مكنه الله تعالى وورثه الأرض وإن كان أضعف الخلق، بينما من أشرك به وعصاه وأفسد وتجبر عوقب بالذل والاندحار والهلاك وإن كان تجبر بسلطان الملك والمال.

سورة العنكبوت

إن طريق التمكين غير مفروش بالورود، فلا بد للعبد المؤمن من التعرض للفتن والابتلاءات من قبل أعداء التوحيد ليلتحق بالشرك ويعصي الله تعالى ويدع طريق الهدى والإيمان ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ ، فالابتلاءات والفتن سنة الله تعالى في أوليائه فلا بد من مجاهدتها ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ .

من هذه الفتن فتنة الوالدين والأحباب، إنهم يهتفون به ليسالم ويستسلم للشرك ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ﴾ . ومنها فتنة إيذاء أهل الباطل وتعذيبهم له ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ . ومنها فتنة الإغواء والمغريات من قِبلهم والحياء منهم فيقولون له ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ . ومنها إطالة مدة الفتنة والإيذاء كحال نبي الله نوح عليه السلام ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ .

ومنها فتنة الغربة والوحشة في الطريق وإرجاف الأعداء به ﴿قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ ، فلا يجد فئة تسانده وتعينه كإبراهيم عليه السلام، لاسيما إذا كانت الأمة بأكملها غارقة في الرذيلة وفي الفساد الأخلاقي كقوم لوط ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، أو أمة يظن العالم أن بيدها زمام الاقتصاد العالمي وهي غارقة في أكل أموال الناس بالباطل والفساد الاقتصادي كأصحاب مدين ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ، أو أمة راقية متحضرة تفتن الناس برقيها وتهتف لها الدنيا وهي معاندة لله تعالى كأمة قارون وفرعون وهامان ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

وإن غرتك تلك الأحوال وهاتيك الضغوطات فلا تستجب لها ما دامت قائمة على الشرك فمآلها الهلاك والبوار، والاستجابة لها يوقعك في شباك أعدى أعدائك وفي تعقيدات شائكة، فهي مصائد الشياطين كبيت العنكبوت، بينما القضاء عليها سهل ميسر كسهولة القضاء على بيت العنكبوت إذا توكلت على الله تعالى. فإذا توكلت على الله ولهجت بذكره والتصقت بجنابه ولم تقطع الصلة به وجعلت هدفك الأسمى عبادته وحده أُعِنْتَ على تخطي الفتن ومجاهدتها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ .

إن من أشد الفتن تعنت أهل الكتاب ومجادلتهم إياكم، فهم أصحاب الكتب السماوية وهم من أعلم الناس بالأنبياء وبالدعوة الإلهية، مما قد يوقع المؤمن في الحرج وقد يوقع بعضهم في الشك في دينه ويكون سبباً في انصراف الناس عن دعوتكم، فأحسنوا مجادلتهم لعل الله تعالى يهدي فئة منهم ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ﴾ .

ومما يوقع المؤمن في الحرج ويكون فتنة له تعنت الكفار وكثرة مطالبهم وعدم الاستجابة الإلهية لهم كطلبهم مزيداً من الآيات ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أو تأخر الوعد الإلهي عند استعجالهم العذاب ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ .

ومن الفتن التي تدعو المؤمن إلى الالتحاق بالشرك والتخلي عن التوحيد فتنة الإخراج والتهجير من البلد.

ولكن لماذا تخشون التهجير؟

أتخشون الهلاك؟

أتخشون عدم وجود الرزق في المهجر؟

أما الموت فإن ﴿كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ ، فلن تموتوا قبل

ميعادكم، وإذا متم فسنكون نحن في استقبالكم وننقلكم إلى أطيب عيش ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾ مع ما ندخر لكم في الآخرة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ . أما الرزق فتيقنوا بأن الله تعالى سيجعل لكم في الهجرة سعة ورزقاً، فهو الذي يرزق جميع الكائنات وبيده خزائن الكون ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ فتصبروا، **هذا أولاً.**

ثانياً

اعلموا أيها المهاجرون إلى الله بأن هذه الحياة فانية زائلة وما هي ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ .

ثالثاً

اعلموا بأن الله تعالى ينجي من الكفار من إذا أحاطت بهم الأمور أخلصوا لله تعالى ووحدوه، فكيف لا ينجي المؤمنين المخلصين الذين جاهدوا فيه، وأنه سبحانه إذا حفظ الموضع الذي فيه رمز العبودية له وهو الحرم وحفظ أهله ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ فكيف لا يحفظ عباده الذين جعلوا قلوبهم مأوىً لتوحيده وجاهدوا فيه، **هذا رابعاً.**

فكونوا على يقين أن ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ

ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ هذا مقصد سورة العنكبوت أن طريق التمكين تتخطفه الفتن والابتلاءات فلابد من المجاهدة.

سورة الروم

إن وعد الله تعالى بانتصار المؤمنين وتمكينهم متحقق ولابد ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ .

أولاً

لقد أعلن الله تعالى للعالم أن الروم ستنتصر بعد هزيمتها النكراء على يد الفرس خلال تسع سنين. كيف إيمانكم بهذا الوعد؟

فكما أعلن الله للعالم أنه ناصر الروم خلال بضع سنين كذلك أعلن للعالم أنه ناصركم على قريش ومهلك أعدائكم، وفي وقت متزامن مع نصر الروم ﴿... وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ .

ثانياً

إن تحقق وعد الله بتمكين المؤمنين دعاة التوحيد ونصرهم سنة كونية ثابتة **مضت صورها** في جميع الأمم السابقة ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ ، إذ ما خلق الله

السموات والأرض وما بينهما إلا لأجل التوحيد وتمكين التوحيد في الأرض.

ثالثاً

لقد أخبركم الله تعالى بالبعث وبقيام الساعة ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ ، وأقام الأدلة الكثيرة عليه من إخراجه الحي من الميت وإحيائه الأرض بعد موتها وخلقكم من تراب وموتكم الموتة الصغرى بالليل والنهار وإحيائكم بعدها وأن بعثكم وإعادة خلقكم أهون عليه من بدء الخلق، وتوعد من كفر به.

كيف إيمانكم بتحقق وعد الله بقيام الساعة؟ كما وعدكم بقيام الساعة كذا وعدكم بنصركم وتمكينكم، فهو متحقق ولا بد، بل هو أهون عليه.

رابعاً

إن الله تعالى بيده مقاليد السموات والأرض، فهو الذي يدبر الكون كله ويدبر شئون العباد وشئون جميع الخلق، وجميعها يسير وفق سنن كونية إلهية، **وما الوعد بنصر المؤمنين الموحدين إلا سنة كونية كسائر السنن الكونية** الإلهية الثابتة، فهو الذي قدرها

وأمضاها .**فهي كسنة** تعاقب المساء والصباح، وسنة مرور الأوقات من عشي وظهر، وكسنة الحياة والموت ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ ، وكسائر السنن الكونية والمعيشية من تكاثر البشر والنكاح، واختلاف الألسن والألوان، والمنام في الليل والابتغاء من فضل الله في النهار، وإحياء الأرض بالماء بعد موتها ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ ، فهو سبحانه المتصرف المدبر لجميع ذلك.

كيف إيمانكم بحدوث هذه السنن الكونية؟ فكذلك وعد الله تعالى بنصركم سنة كونية متحققة.

خامساً

إن وعد الله قائم بأمره كقيام السماء والأرض، فإذا جاء أمره تحقق وعده ومراده وقضاؤه، كيف لا ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ، وله القدرة العظمى والقوة الكبرى فهو ﴿ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ . فتحقق وعد الله فرع من فروع قدرة الله تعالى.

سادساً

إن الكون كله قائم على توحيد الله وعبادته وحده وعدم الشرك به وهو الذي دلت عليه الحجج العقلية والمعيشية، ومعاملات الناس فيما بينهم في أملاكهم تدل عليه ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ، والفطرة كذلك تدل عليه ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ ، فكيف يتخلف وعد الله بنصر أهل التوحيد أهل الحق وينصر أهل الباطل عليهم؟

إن جميع ما سبق ذكره من المثبتات تجعل الداعي إلى الله تعالى يطمئن إلى أن وعد الله متحقق ولابد.

سابعاً

ولكن ليتحقق وعد الله تعالى **لابد من بذل أسبابه. فأعلاها** تقوى الله وتوحيده، ثم دوام الاتصال بالله تعالى، ومتابعة النبي ﷺ وعدم مخالفته وعدم الابتداع في الدين، والبراءة من المشركين وعدم الانصياع لهم وعدم مشابهتهم، فإن عدم الالتزام بتلك الأمور سبب للتفرق ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ﴾ .

ولا بد من الثبات على الطريق وعدم التذبذب والاضطراب عند تقلب الأحوال ونزول المصائب والشدائد ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ، وعدم البطر عند نزول النعمة، ولا القنوط عند حلول النقمة.

ولا بد من التضحية بشيء من المال لنشر الدعوة وليتآلف أفراد الأمة من ذوي القربى والمساكين وابن السبيل وغيرهم، فإن الله سيبارك في المال أضعافاً مضاعفة ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ .

ولا بد من اجتناب المعاصي لاسيما الربا، فإن من أكبر أسباب تأخر النصر وفساد البر والبحر مقارفة المعاصي ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ .

ثامناً

فإذا التزمتم بما سبق فسترون حينئذٍ مبشرات النصر تلوح في الأفق كما ترون الرياح المرسلة مبشرة بنزول الغيث ومبشرة بالمنافع الكثيرة المترتبة عليها ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ، وما وجود الرسل بين أظهركم والعلماء والدعاة إلى التوحيد بينكم إلا بشارات تبشر بنصر المؤمنين، فوجودهم رحمة للأمة.

تاسعاً

ولكن كما تمر الرياح بمراحل لإنزال الغيث وقد تسبقها أمور مقلقة يستبطيء بها العباد نزول الغيث ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فكذا يمر النصر والتمكين بمراحل تسبقه مصائب يستبطئ بها الرسل وأتباعهم النصر الموعود حتى تأتي رحمة الله ويأتي الفتح ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ .

في تحقق وعد الله تعالى **كونوا دوماً متفائلين** بالأحداث وتصاريف القدر وإن كانت مكروهة، فلا تنظروا إليها نظر تشاؤم كحال الكفار يتشاءمون من كل مكروه فتراهم إذا ما رأوا ريحاً مصفراً ﴿لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ . فاعلموا أن الله تعالى يقلب الشيء إلى ضده، فيجعل الدول القوية المستعلية دولاً ذليلة ضعيفة، والدول الضعيفة المؤمنة دولاً قوية كحال الإنسان ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ .

عاشراً

فما هي إلا أيام قلائل حتى ترى موعود الله تعالى ماثلاً أمامك، حينئذٍ يفاجأ المجرمون الذين عربدوا عقوداً بل قروناً طيلة فترة علوهم وتسلطهم فتراهم يقسمون ما لبثوا في دنياهم إلا ساعة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ

ﭐلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ ! سواءً عند قيام الوعد الأعظم وهي الساعة العامة لجميع الخلق أو قيام ساعتهم الخاصة بنزول العقوبة الإلهية التي هي أهون عليه. فإذا كان المجرم يرى عمره قصيراً والفترة الزمنية التي عاشها ماهي إلا ساعة قصيرة فليعلم المؤمن أن الفترة الزمنية ما بين بداية دعوة التوحيد إلى حين انتصارها فترة قصيرة في تاريخ الأمم مهما طالت في نظر المؤمن.

فعليكم بالصبر فإن وعد الله بالنصر والتمكين متحقق ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾ ، **وهذا مقصد سورة الروم.**

سورة لقمان

لقد وعد الله عباده المؤمنين بالتمكين، ولكن هذا الوعد لا يأتي سريعاً إنما جعل الله له موعداً لحكمة يراها **.فكلامه سبحانه بجميع أنواعه من وعد وأخبار وأحكام وأوامر ونواهٍ كله حكمة وهداية ورحمة** ﴿... تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ ، بعكس كلام غيره المناقض له فإنه كله لهو وعبث، فيه استخفاف بكلام العظماء ومرصع بالسخرية، كلام باطل لا منفعة فيه، مملوء بالضلال والتلبيس، ومبني على جهل مركب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ، والجاهل جهلاً مركباً يجهل أنه جاهل ويظن أنه عالم، لذا تجده دائماً متعالماً مستكبراً يصم أذنيه عن سماع درر غيره ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ .

أين كلام هؤلاء من **كلام الله تعالى** الحق الثابت الذي لا اضطراب فيه ولا خلل، ملئ عدلاً وعزة وحكمة وبشرى، يقضي بالعدل للمسيء وبالفضل للمحسن.

إنه بحر العلوم والحِكَم، والمرصد الذي به تعرف المصالح والمفاسد بإحكام، وبه تعرف حقوق الآخرين وواجباتهم وحقوق النفس وواجباتها، وعلى رأس هذه الحقوق حق الله تعالى. فالكلام الحكيم هو الذي يتضمن دراستها على أكمل وجه وكيفية أداء هذه الحقوق والواجبات بإحكام وعلى أحسن وجه ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ .

إنه منجم الحِكَم والحقائق وكنز الدقائق، لايستخرج درره وجواهره إلا من أقبل عليه وآمن به فإنه يتقلب في بساتينه وجناته ويقطف من أزهاره ويتطهر من مشارف أنهاره، وسيجازى يوم القيامة من جنس عمله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ . فمن الحِكَم في كلام الله تعالى أن قارئه يتعلم منه النظر إلى ما وراءه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ . ومن كنوز الحِكَم فيه أنه يتضمن دورات تدريبية في البحث عن الحكم والعلل والغايات والمقاصد، فعلى سبيل المثال: المقصد من وجود الجبال ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ ، ويتضمن دورات في البحث في الأسباب وعلاقتها بالنتائج، فعلى سبيل المثال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ، وفي كيفية صياغة الحجج والأدلة وإتقانها وكيفية عرضها، فكما أنه سبحانه وتعالى أحكم

خلقه ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ فكذا أحكم كلامه.

ومن حكمة كلام الله تعالى أنه **يتضمن منافع عظيمة** وفوائد جليلة وعلوماً حديثة ودعوة للبحث فيها واستخراجها ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ ، وفيه بيان لحكمة وجود المخلوقات وفوائدها، سيق الجميع بأحكم سياق، فهو جدير بأن يوصف بأنه النهر الذي تنهل منه الحكمة دررها وجواهرها.

ومن الحِكَم في كلام الله تعالى أنه **يتضمن دعوة** الإنسان لأن ينتفع من تجارب الآخرين سواء في تعاملهم مع الله تعالى ومع سائر الخلق، كتجربة لقمان في حياته وفي وصاياه الحكيمة لابنه وما تضمنته من الحكم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ ، فلا حكيم إلا ذو تجربة.

لقد تضمن كلامه الحكيم الدعوة إلى التعرف على الله تعالى وعلى حقوقه وأدائها بإحكام على أحسن وجه: منها ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ ، ومنها ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ . وتضمن الدعوة إلى التعرف على حقوق الخلق وعلى رأسهم الوالدان ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ ، ومعرفة حدودها ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ .

وتضمن كلامه معرفة واجبات النفس ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ ، ومعرفة حقوقها من التأني ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ ، والتحلي بمكارم الأخلاق وتزكيتها ، وتجنيبها الآفات التي تزري بها من الفخر والاختيال ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ ، والطيش والانفعال ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ . هذه الوصايا لا تخرج إلا من حكيم، ولا يتصف بها إلا حكيم.

أعَجبت لحكمة لقمان الذي ضرب به المثل في درر الحِكَم التي وصى بها ابنه؟ فالله تعالى هو الذي علّمه الحكمة، فكيف بكلام الله تعالى؟ لقد أنزل الله إليكم كلامه ومنحكم ما فيه من الحِكَم البديعة بلا مقابل ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ .

فمن إحكام كلام الله سبحانه أنه مليء بالحجج والبراهين بأحكم بيان وأتقن سياق وأوجز عبارة وأوفى معنى وأظهر حجة، قرر فيها المسائل الكبرى والقضايا العظمى التي فيها سعادة الدنيا الآخرة وعلى رأسها مسألة توحيد الله تعالى والنبوة والبعث، وفند فيها ما يخالف المنهج الحق وزَّيف باطله.

قارنه بكلام مخالفيه وحججهم تجده مبنياً على جهل وعلى قواعد

ساقطة متهافتة متناقضة ﴿يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ ، إنه مبنى على تقليد الآباء وتزيين الشياطين.

من إحكام حججه بياناً وبلاغة أنه يقرر أولاً القواعد المسلمات التي يسلّم بها الطرف الآخر ليبني عليها الحجة في إثبات القول الحق في المسألة التي يخالفه الطرف الآخر فيها.

على سبيل المثال: إثبات توحيد الله تعالى في ألوهيته.

فقد قرر أولاً أنه هو المنعم، فإذا كان كذلك فهو أولى بالحب من غيره ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ ، فمهد لإثبات وحدانية الله تعالى في ألوهيته.

ثم قرر القاعدة الثانية وهي أنه لا يجوز القول على الله تعالى بغير علم ولا دليل ولا كتاب سماوي، لقد سَدَّ عليهم الطريق الفاسد الذي منه يدخل سيل الشرك ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ٨﴾ .

ثم ذكر وهاء حجتهم في الشرك وعبادة الآلهة الأخرى وزّيفها وبيّن أنها أوهى الحجج، إذ حجتهم الكبرى أنهم عبدوها تقليداً لآبائهم ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ ، فهذه القواعد كافية لإسلام القلب للرب

وحده وتوحيده بالعبادة.

ثم رغب في عبادته وحده وبين محاسنها، ورهب من الكفر بذلك ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ ، فالتحلية بعد التخلية.

ثم استدرج عقولهم للإقرار بتوحيد ربوبية الله تعالى التي يقر بها الكفار وبُرمجت للموافقة ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ ، فإقرارهم هذا وحده حجة عليهم في أنه وحده المستحق للحب والذل له والخضوع لعظمته. فكيف يحبون معه غيره ويذلون له كحبهم الله تعالى وذلهم له؟! ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

ثم أكد صحة إقرارهم بتوحيد الربوبية وزاده بياناً أنه يملك كل شيء حتى آلهتهم، وأنه غني عن خلقه مما يقتضي غناه عن الصاحبة والولد﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ . وفي هذا إظهار لتناقضهم في دعواهم، إذ كيف يقرون بأن الله سبحانه هو وحده المنعم الخالق للكون المالك له ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الغني عن خلقه، ثم يدّعون حاجته إلى خلقه من ولد وصاحبة، فإقرارهم بربوبية الله تعالى وملكه للكون يغني عن التعليق على بطلان آلهتهم وشركهم ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

فانظر إلى كلامه سبحانه المحكم البيان والغني بالحكم والفوائد والحجج، يحمده كل من تدبره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ . وما أنزل الله إليكم من كلامه المتضمن للحجج والحكم والفوائد ما هو إلا شيء قليل من كلامه الذي ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

بالإضافة إلى قوة الحجة تضمن كلامه الحكيم الموعظة في ذلك وهو أن الله تعالى سيحاسبكم على هذا التوحيد الذي لأجله نزل القرآن ولأجله خلق الخلق، وأن مرجعكم إليه قريب يسير ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ، فكل شيء في هذا العالم المشاهد له نهاية وأجل مسمى يبدأ بعده الحساب والقضاء والجزاء الأوفى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ . وجميع ذلك من خلق وبعث وقوة وقدرة وتدبير الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر على أكمل الوجوه مؤتمر بأمر الله تعالى لا يحيد قيد أنمله عما قدره الله وكتبه والأجل المسمى الذي حدّه، وهذا يؤكد وحدانيته واستحقاقه التفرد في الألوهية.

بل كلامه الحكيم لم يغفل بيان أحوالهم التي تؤكد يقينهم بوحدانيته في الألوهية، من ذلك أنهم يشهدون بوحدانية الله ويعبدونه وحده حال تكالب المصائب عليهم، لاسيما إذا ركبوا في البحر و﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ

كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

هكذا يحكم الله حججه وبراهينه في تقرير المسائل في كلامه الحكيم، فاهتدوا به، وزنوا أحوالكم وعقائدكم به، وبناء على ذلك حاسبوا أنفسكم على تقصيركم قبل أن يأتي اليوم الذي ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ﴾ ، فالنفس لا تدري بأي أرض تموت ولا أي ساعة تهلك، فأنتم مساقون إلى موعود الله تعالى فسارعوا إلى التوبة.

أقبلوا على كلام الله الحكيم، وانهلوا من علومه الكثيرة النافعة وحِكَمِه النفيسة، وآمنوا بما ورد فيه من وعوده الصادقة، واتعظوا بمواعظه الجليلة، فكلامه صدر عن علم قطعي وحقائق لا على ظنون، وفيه علوم دقيقة، فهو مستقى من علم الله تعالى الذي يعلم كل شيء ويعلم الغيب المطلق، فلا يعلم مفاتح الغيب إلا هو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ، ولا حكمة إلا بعلم.

هذا مقصد سورة لقمان أن كلام الله تعالى ووعده الحق ملئ علماً وحكمة وعزة.

سورة السجدة

من حكمة الله تعالى أنه سبحانه يتعامل مع عباده بالحلم والتأني، لاسيما في نصره لأوليائه وعقوبته لأعدائه. فكما تدرج سبحانه وتأنى في إنزال الخير عليك وهو القرآن ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فكذا سيتدرج ويتأنى في إنزال نصره لأوليائه وحلول العقوبات بأعدائه، **ففي الحلم والتأني فوائد عدة.**

فعليك بالحلم مع الكفار ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ **وهذه من فوائد الأناة،** لاسيما وقد فوجئوا بشيء جديد ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ ، فالله تعالى يحب أن يقيم الأعذار والحجج على العباد، وهذه فائدة أخرى للأناة.

ومن فوائد التخلق بالأناة التأسي بحلم الله تعالى لحبه للأناة. فقد خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام من أيام الله تعالى والذي كل واحد منها يعدل عندكم ألف سنة، مع قدرته على خلقها في يوم واحد من أيامكم، ولكنه يحب الأناة. ومما يدل على قدرته على ذلك أن الله تعالى ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي

يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ لكنه جعله يتحقق فقط في يوم واحد بحسابكم وهو ما بين الفجر إلى المغرب.

ومن فوائد الأناة أن الله تعالى يحب أن يرحمهم بالهداية وعدم تعجيل العقوبة لكمال رحمته فهو ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

تخلقوا بالأناة، **فالله تعالى خلق الإنسان** من مادة الأناة وهي الطين، ثم جعل الإنسان في تخلقه يمر في أطوار ليكتمل خلقه في أحسن صورة ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾﴾ ، **وهذه من فوائد الأناة** أن يأتي وعد الله تعالى ووعيده شيئاً فشيئاً إلى أن يتحقق في أفضل صورة.

انظروا إلى حلم الله تعالى كيف تأنى بمن كفر بالله تعالى ولم يشكره على نعمه، وكيف تأنى بمن استهزأ بالبعث بالرغم من كونه رأى الآيات أمامه ورأى قدرة الله على خلق الإنسان الكامل من الطين ومن الماء المهين ثم كفر بقدرة الله تعالى على إعادة بعثه، وتأنى بمن كفر بلقائه فلم يعاجلهم العقوبة الكبرى، بل صبر عليهم إلى أن يتوفاهم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ ليلاقوا أشد ألوان العقوبة، **وهذه من فوائد الأناة.**

ومن فوائد التأني أن يستفحل عنادهم وتناسيهم وفسقهم وتكذيبهم بعد إقامة الحجة ليكون نزول العقوبة عليهم على أعدل وجه ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٤﴾ .

ومنها أن في تأخر العقوبة مدعاة لأن يشتد لجوء المؤمنين إلى الله تعالى ويكثروا من الطاعات ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ حتى يفوزوا بما لا يخطر على قلب بشر. فاستعينوا بطاعة الله تعالى، وتدبر آياته، وبالصلاة والتقرب إليه بكثرة السجود والتمرغ بين يدي عظمة الله تعالى، والإكثار من الذكر والتسبيح والحمد، والحرص على التهجد وقيام الليل، وبالإنفاق في سبيله حتى ينصركم الله تعالى ويعاقب أعداءكم وتفوزوا بما ادخره لكم.

لذا من فوائد التأني أنه يدرب المؤمن على أن يجعل همه ما ادخره الله تعالى له من قرة العين في الآخرة مما لم يخطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ ، بعكس ما ادخره للفساق المكذبين من العقوبة الأليمة، وهذه فائدة أخرى للتأني أن لا يكون هَم المؤمن الحظ العاجل. إن التركيز على الهمّ الأخروي يخفف من شدة الحزن والهم وحدّة التوتر لتأخر استجابة الكفار ويقلل من استعجال العقوبة ويعين على التأني.

ومن فوائد التأني أن تعلموا أن عقوبة الكفار الموعودة ليست هي المقصد الأسمى، وإنما المقصد الأعلى هدايتهم وتذكيرهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الله تعالى، لذا فإنا سنذيقهم بعض العقوبات غير المهلكة لعلهم يثوبون ويرجعون إلى الله تعالى. فلا يكن همكم عقوبتهم واستعجالها، ولكن ليكن همكم دخولهم في ركب المؤمنين.

ومنها أن الصبر والأناة في الدعوة إلى الله مع اليقين بتحقق وعد الله تعالى هو طريق الإمامة. فإن بني إسرائيل وقعوا في أفظع من ذلك فلم نعاجلهم العقوبة، إذ صبر عليهم أنبياؤهم ومصلحوهم، فجعلناهم أئمة لأناتهم وصبرهم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ .

ولكنهم إذا لم يؤمنوا بعد هذه الأناة فإن عقوبة الله إذا جاءت ستكون مضرباً للأمثال. فدعوا الله تعالى بحكمته وتأنّيه وحلمه يحكم فيهم ويفصل في أمرهم في الدنيا والآخرة متى شاء كما فصل في الأمم السابقة ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ .

ألم تروا إلى الزرع كيف يأخذ من الوقت شيئاً فشيئاً لينبت ويخرج بعده زرع نافع ينتفع به الخلق؟ فكذا دعوة الناس إلى التوحيد تتطلب

زمناً، **فتأنوا بهم.**

تَأَنَّ بهم، **ولا يستثرك الكفار** باستعجالهم للعقوبة ولا باستخفافهم لتأخر وعد الله تعالى، فما عليك إلا الإعراض عن استثارتهم لك واستخفافهم ثم الانتظار والصبر ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ﴾.

هذا مقصد سورة السجدة: الدعوة إلى التأني والصبر إلى أن يتحقق وعد الله تعالى.

سورة الأحزاب

كيف لا يتحقق وعد الله لكم وأنتم أمة المصطفى **محمد** ﷺ **الذي صانه الله تعالى وزكاه وطهره وشرفه وحفظه ونقاه من كل أذى.** فهو إمام المتقين، وسيد الموحى إليهم، وعَلَم المتوكلين ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ ، لم يخاطبه الله إلا بـ (يا أيها النبي، يا أيها الرسول) فهو خليل الله تعالى.

كما أن صدر الرجل لا يسع إلا لقلب واحد **فكذا قلب النبي** ﷺ **لم يكن يسع خلة إلا لخليل واحد وهو الله تعالى،** لا يشاركه فيه أحد من الخلق مهما بلغ من المكانة **﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ﴾**، كما أن الزوجات لا يشاركن الأم في أمومتها مهما بلغن من المكانة. فليست خلته لله تعالى دعوى مزيفة لا حقيقة لها كالدعي الذي لا حقيقة له في البنوة ولا كالزوجة المظاهرة التي لا حقيقة لها في الأمومة **﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ** أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ﴾ .

ولكمال شرفه عند الله تعالى جعله الله تعالى أباً للمؤمنين، وجعل

أزواجه أمهات المؤمنين. لقد عقد الله تعالى له ميثاق النبوة، وقدَّمه على أولي العزم من الرسل ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ ، فجعله سيد الأنبياء.

لقد صانه الله تعالى من كيد جموع القبائل الكافرة حين تحزبت وتمالأت عليه من شمال المدينة ومن جنوبها وحين غدرت به يهود المدينة وانسحب المنافقون من باطن الجموع الإسلامية ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ ، فصانه الله تعالى وحفظه وحقق له موعوده لاسيما في اليهود ﴿وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧﴾ .

وصان الله أزواجه وطهرهن من الركون إلى الحياة الدنيا وزينتها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ ، ليمتلئ بيت النبوة بالتقوى وتكتمل طهارته ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ ليكون مركزاً يشع منه نور النبوة للأمة فتنطلق منه آيات الله تعالى والسنة النبوية ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ ، ولتكتمل حينئذ خلة الله تعالى للنبي ﷺ.

لقد نشأ النبي ﷺ يتيم الوالدين، وسيستمر معه اليتم من جهة أولاده الذكور فلايبقى له ولد ذكر لا بالتبني ولا من صلبه ليبقى اسمه رسول الله ودرة الأنبياء، وبه ختمت النبوة ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ، **فهو يتيم الله تعالى** في سيادة البشر، فالله هو وليه وكفيله، وجعله خاتم النبيين .

ولكن **احذروا** من أن يخطر في قلوبكم في حق النبي ﷺ ما خطر في قلوب النصارى في بنوة عيسى عليه السلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ ، ومع ذلك احفظوا مكانة نبي الله الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ ، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

إنه لا ينقص من قدر النبي ﷺ أن ينكح زوجة من تبناه سابقاً فلا حرج عليه، ولا حرج عليه لو طلق امرأة لم يبن بها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ ، فهذا ليس أمراً عظيماً ولا شيئاً إدًّا.

ولعظم قدر النبي ﷺ عند الله تعالى أن جعل له خصائص لم يمنحها لغيره سواءً في مسائل النكاح أو في غيرها من المسائل. فتأدبوا معه ولا تؤذوه في أي أمر من الأمور سواءً في دخول بيته،

أو في رؤية نسائه، أو في نكاحهن بعد وفاته، أو في التلفظ بألفاظ مؤذية له ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ ، فإن الله تعالى من فوق سبع سموات يصلي عليه وكذا ملائكته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ .

واعلموا أن من آذاه فاللعنة ستلحقه في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ وسيتحسر حينئذ صائحاً يهتف ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ .

فإياكم وإيذاءه كما آذى أصحاب موسى نبيهم موسى عليه السلام، وتأدبوا معه ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ﴾ ، فهو أمانة الله تعالى بينكم فاحفظوا أمانته، فمن حفظها تاب الله عليه، ومن لم يحفظها عذبه الله تعالى ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾ .

وهذا مقصد سورة الأحزاب: صيانة النبي ﷺ وتطهيره وتشريفه وحفظه وتنقيته من كل أذى. فكيف لا يحقق الله تعالى موعوده له ولأمته، وكيف يتخلى الله تعالى عنه.

سورة سبأ

لله تعالى وحده كمال الحمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ، **وهو المتفرد بمنح الحمد والشرف والمجد لمن يشاء، والمتفرد بالعلم بمواطن الشرف، ويعلم من يستحقه ومن هم أهله، ويعلم كيف يناله العبد وكيف يحافظ عليه**، وهو الذي يرحم العبد فيستر عيوبه ويظهر جمائله ليكتمل شرفه ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ ، إذ الجميع ينشد الحمد والشرف، فمن الله الحمد والشرف وإليه ينتهي الحمد والشرف.

إن أولى الخلق بمقام الشرف والحمد والمجد هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ، فهم الذين ينالونه ويترقون في درجاته، بينما أولاهم بالخزي والعار﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ .

وإذا أراد العبد أن ينال الشرف ويحافظ عليه فعليه بما يلي:

أن يقبل على العلم بالله تعالى وبشريعته ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ ، بينما إذا غاص في بحار الجهل بالله تعالى وبشريعته والكفر به وبرسوله غرق في محيط الخزي والهوان

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ .

وأن يداوم على شكر الله تعالى قولاً وعملاً ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ ليتحقق له فوق ما يأمل، ويسخر الله تعالى له من الخلق ما يتفوق به عليهم فيشرفه عليهم كما سخر لنبيه داود عليه السلام الجبال والطير تؤوب معه وألان له الحديد وعلمه صنعةً تميز بها، وكما سخر لنبيه سليمان عليه السلام الريح بل وسخر له الشياطين المردة ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ فانتفع من تقنياتها المتطورة إلى أن توفي وهي مسخرة لأوامره ومستمرة ولم تعلم بموته، ليبين الله تعالى للجن ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ . بينما من لم يشكر الله تعالى سلبنا منه ذاك الشرف والحمد كبلدة سبأ ذات الجنات لما لم تشكر ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

وأن يطلب الشرف ممن يملكه وممن بيده زمامه ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ ، لا أن يطلبه من مملوك مخلوق ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ .

وأن يدعو كافة الناس إلى ذلك فلا يخص بالدعوة صنفاً دون آخر، فلا يخص الأشراف وذوي الجاه ويدع الضعفاء والفقراء ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ

إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ، فشرفك في تواضعك. وأن يحاور الجميع في ذلك ويحسن محاورتهم ويتأدب بأدب الحوار ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ ، فمن دعا إلى الله تعالى شرفه الله.

ومن أراد أن ينال الشرف **فعليه أن يقتدي** بأهل الشرف ويتابعهم، فأعلاهم شرفاً وأولاهم بالاقتداء سيدهم رسول الله ﷺ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ، لا أولئك المترفين المستكبرين الذين يكفرون بالله ويجعلون له أنداداً.

ومنها أن يجعل أشرف الكلام وهو القرآن نوراً له يستبصر به وينهل منه الحِكَم وطرق الشرف، لا أن يتحداه ويحذر الناس منه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾ .

ومنها أن يسخر أمواله وأولاده في خدمة دعوة التوحيد ويعلمهم الطريق الصحيح لنيل الشرف ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ ، فهو مخلوف مضاعف ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ .

إن مقام الشرف والحمد والمجد الحقيقي لا ينال بالانتساب إلى الأشراف والوجهاء **ولا ينال بكثرة** الأموال والأولاد والترف، وإن

كان كثير من الناس يظن ذلك، إنما ينال بالطريق المذكور سابقاً الذي جاء به النبي ﷺ. يظهر ذلك جلياً يوم يحشرهم الله تعالى فيجتمع كل الخلق، ويتهاوى ملك الجميع وكلٌّ يخسر أمواله وأولاده إلا من آمن، ويتلاشى الشرف المزيف ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ، وتتساقط الدعاوى والاتهامات لاسيما في حق القرآن وفي حق النبي ﷺ، فيعلمون حينئذٍ أن حقيقة الشرف فيهما.

ولعل الواقع الدنيوي يشهد بذلك ويعطي صورة مصغرة له، هاهي الممالك ذات الشرف والمجد الظاهر وبعضهم أرسلت فيهم الرسل وأنزلت إليهم الكتب والتي لم تبلغ قريش والعرب عشرها لا في الملك ولا في إرسال الرسل وإنزال الكتب لما لم تسلك ذاك الطريق كيف ﴿كَانَ نَكِيرِ﴾ ؟ **وكيف تهاوى شرفها ومجدها؟**

وفي الخاتمة هذه دعوة لمراجعة النفس، وللتباحث مع الآخرين لإعادة النظر والتفكر في الحصول على هذا المجد التليد والشرف العظيم الذي أكرمكم الله به ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾ .

واعلموا أن خيل الله تعالى قد انطلقت وجيش الحق قد ظهر

سلطانه ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ ، فسارعوا لنيل مقام الشرف الحقيقي قبل أن يفاجئكم الحق وجيشه وأنتم في غمرة الغفلة وغياهب الكفر فلا ينفعكم حينئذ الإيمان ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ ، ويتهاوى شرفكم الزائف وتتزلقوا في أوحال الخزي والعار فيحال حينئذ ﴿بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ .

هذا مقصد سورة سبأ أن الشرف والحمد بيد الله تعالى، فمن رامه فليسلك الطريق المرسوم له في هذه السورة.

سورة فاطر

من عدل الله ورحمته أن جعل الشرف والحمد والمجد مراتب، والخزي والعار مراتب. فقد خلق الله تعالى الخلق على صنفين: صنف علوي وآخر سفلي، وجعل لكلٍّ مراتب ودرجات، فكما خلق الله السموات وجعلها درجات، وكذا الأرض درجات، فكذا جعل أهل الشرف والحمد والمجد درجات فالملائكة درجات، والرسل درجات ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ ، وكذا أهل الخزي والعار جعلهم درجات. وهذه الدرجات على قدر قربهم وبعدهم عن الله تعالى وعن عبادته وحده.

فما هي قواعد الترقي في درجات الشرف والحمد، وقواعد السفول في درجات الخزي والعار؟

القاعدة الأولى

إن مقاليد الحمد والشرف والترقي بيد الله تعالى وحده ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ .

القاعدة الثانية

إن أصل الترقي مبني على توحيدك لله تعالى في ربوبيته وعبادته وعلى متابعتك للرسل ﴿... لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ . فالله تعالى أرسل الرسل لإحياء القلوب الميتة ولترتقي بها في مراتب العزة فتطيب فيها أقوالها فتصعد وتصلح فيها أعمالها فترفع ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ .

القاعدة الثالثة

إن أصل السفول هو الشرك بالله تعالى في ربوبيته وإلهيته ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ، والتكذيب بالرسل، وعدم التصديق بوعد الله، والاغترار بالدنيا، ومتابعة الشيطان، وتجاهل العقوبات الإلهية، وتزيين العمل السيئ والمكر السيئ ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ .

القاعدة الرابعة

إن الله تعالى لم يظلم العباد في ترقّيهم وسفولهم، إنما علم في الأزل

علماً مفصلاً دقيقاً ما سيصدر من كل منهم قبل خلقه، فكتبه في كتاب، ثم خلقهم ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾ .

القاعدة الخامسة

من بديع تقدير الله عز وجل وحكمته في خلقه أن جعل المجالات التي يرتقي فيها العبد لا تقتصر على جانب واحد، فإذا لم يتوفر له جانب ما فإن لديه جوانب أخرى متوفرة يمكنه أن يتفوق فيها، وإذا لم يفلح في جانب فإنه يفلح في جوانب أخرى يتفوق فيها على المنافسين الآخرين. يتبين ذلك في خلقه للبحر العذب والمالح، فإذا لم يكن الماء عذباً وكان مالحاً لا يقتضي أن لا ينتفع منه، بل له منافع أخرى تضاهي منافع الماء العذب ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ﴾ .

القاعدة السادسة

ومن بديع تقديره أن جعل في كل صفة من صفات العبد وفعل من أفعاله من المرونة ما يمكنه الترقي في جوانبه الإيجابية على حساب جوانبه السلبية، والعكس كذلك. كحال النهار مع الليل، فكما أن الليل يطول في الشتاء على حساب النهار فإن النهار يطول في الصيف على

حساب الليل ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ .

القاعدة السابعة

ومن بديع تقديره أن قَدَّرَ تأثير المخلوقات بعضها في بعض في الترقي، سواء الموافِقة والمخالِفة، سلباً وإيجاباً بما لا يخطر على القلوب. فعلى سبيل المثال في الموافقة والتأثير الإيجابي تأثير الشمس على القمر في الإنارة، إذ يستنير القمر بنور الشمس ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ . ومثال آخر في المخالفة والتأثير الإيجابي كذلك تأثير الكافر على الإسلام: فبينما هو يسعى لتحقيق هدفه ومقصده الأعلى إذا به يؤثر سلباً أو إيجاباً بما لا يخطر على قلبي الطرفين، فقد يكون الكافر سبباً في انتصار الدين، وقد يخرج من ذريته من يحمل لواء التوحيد ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ فلله في تقاديره شؤون.

القاعدة الثامنة

إن الله تعالى جعل الذروة في سلم الترقي الافتقار إلى الله تعالى على أكمل وجه والاستغناء به عما سواه بعبادته وحده لا شريك له، والإيمان بأنه الرب الأوحد والإله الواحد ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ ، وأنه الغني بصفاته وله كمال الحمد إذ كملت جميع صفاته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ

هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ .

القاعدة التاسعة

إن المترقي لا تتأثر مرتبته بوزر غيره ولا يحمل ثقل غيره إذا سعى في طريق توحيد الله تعالى والدعوة إليه وسعى في تزكية نفسه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .

القاعدة العاشرة

إن التفاوت كما يجري بين الأصناف المتضادة والأنواع المتقابلة كالعمى يقابله البصر والظلام يقابله النور ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ فكذا يجري التفاوت في الصنف الواحد والنوع الواحد، فالبصر درجات وكذا العمى، والنور درجات وكذا الظلام. وهكذا عمى القلب متفاوت وبصره متفاوت، وكذا ظلمته ونوره، وبرودته وحرارته، وسمعه وصممه، وفهمه وبلادته، واستجابته للحجج والبراهين والكتاب الإلهي وعناده، وحياته وموته ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ ، فكل منها متفاوت ودرجات ومراتب.

القاعدة الحادية عشرة

بل حتى النفوس خلقها الله تعالى متفاوتة ومتنوعة في طبائعها وأصولها وخلقتها ومروءاتها كتنوع الأشجار وثمارها، وتفاوت الجبال بألوانها. لذا ينبغي أن يؤخذ هذا بعين الاعتبار في طرق ارتقاء النفوس وفي طرق دعوتها إليه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ .

القاعدة الثانية عشرة

إن علو الدرجة في مقام الشرف والمجد والحمد يتوقف على أمور عملية يقوم بها العبد. فهو تتوقف على قدر نهله وتشبعه من الوحي -كتاب الله تعالى- وتعلمه، وخشيته لله تعالى، وتلاوته كتاب الله تعالى، وعلى قدر مكانة الصلاة في قلبه والإنفاق في سبيل الله تعالى ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ ، أي باختصار على قدر مسابقته بالخيرات.

القاعدة الثالثة عشر

لذا فإن أهل الشرف والاصطفاء عند الله تعالى ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول هو الظالم لنفسه، وهم المؤمنون ناقصو الإيمان، وهم عصاة المسلمين. والثاني هم المقتصدون، وهم المؤدون للواجبات التاركون للمعاصي وهم أصحاب الدرجة الوسطى. والثالث هم السابقون بالخيرات، وهم يزيدون على المقتصدين بالإكثار من المستحبات والنوافل وترك المكروهات، وهم الذين ينالون أعلى درجات الجنة ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ .

القاعدة الرابعة عشر

وفي المقابل تكون درجة السفول والعذاب في نار جهنم ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ على قدر كفر العبيد وإعراضهم عما سبق، وعلى قدر نواياهم ومقاصدهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾ . فيزداد مقت الله لهم وتزداد خسارتهم على قدر إعراضهم عن التذكر بالنذر والموت ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ ، وعلى قدر إعراضهم عن شكر النعم، وعلى قدر إعراضهم عن الحجج والبراهين الدالة على وحدانيته، وعلى قدر اغترارهم بالدنيا وانصياعهم لوعود بعضهم

بعضاً الكاذبة، وعلى قدر غدرهم ونقضهم لعهودهم مع الله تعالى، وعلى قدر زيادة نفورهم واستكبارهم ومكرهم وغفلتهم عن عقوبات الأمم المكذبة ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ .

القاعدة الخامسة عشر

إن الله تعالى أقام الأعذار على جميع العباد على أعدل الوجوه في ترقيتهم وانحطاطهم. فالله تعالى لم يظلمهم بل رحمهم بأنواع من الرحمات، فقد عمّرهم في الدنيا فما تذكروا، وأرسل إليهم النذر فما تذكروا، ثم جعلهم خلائف في الأرض فما ازدادوا إلا كفراً، وطلب منهم أن يأتوا بدليل واحد وحجة صحيحة لشركهم ليعذرهم فما جاؤوا بشيء من ذلك، بل ما ازدادوا إلا كفراً وعناداً، وكل منهم يغر الآخر بالوعود الكاذبة.

ثم رحمهم بأن لم يجعل السماء تنطبق عليهم لكفرهم، ولم يجعل الأرض تزول وترجف بهم وتخسف بهم خلال فترة الدعوة، ولمّا ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ استجاب الله لهم وجاء النذير، فلما ﴿جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ، وأراهم آياته في الأمم الأخرى وهي أقوى منهم وأشد

وأراهم كيف كان عاقبتها، وأعلمهم أن هذه سنته في جميع الأمم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ .

القاعدة السادسة عشر

وهي خاتمة القواعد أن رحمة الله تعالى وسعت المؤمن والكافر والطائع والعاصي في درجات الترقي والسفول، فرحم كل فرد منهم في كسبه للصغيرة والكبيرة، سواءً كان الذنب ظلماً أو خطأً أو نسياناً أو مخالفة للأوامر، أو كان ذنباً خاصاً أو عاماً، أو مجاهرة أو سراً، فلم يؤاخذهم بجميع ما كسبوا ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ .

هذا مقصد سورة فاطر: وهو بيان قواعد الترقي في درجات الشرف والحمد والمجد وقواعد السفول في درجات الخزي والعار ليختار العبد عاقبته ودرجته التي يصبو إليها، وليعلم العبد أن الله تعالى لم يظلم أحداً وإنما تعامل مع الجميع بكمال العدل.

سورة يس

لقد أتقن القرآن عرضه للمسائل وأدلتها بأفضل الطرق وأبهر الحجج وأحكمها ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ ، ومن قوتها وإتقانها أنها أحاطت بالكافر من جميع الجهات وضيقت عليه الخناق فلم يحر جواباً حتى شعر بالاختناق، وكادت تقطع عنقه لشدة وضوحها ودحرها لعقيدته الفاسدة وعقيدة آبائه ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ ، لقد سدت عليه جميع المنافذ الباطلة.

من المسائل التي عرضها القرآن وأتقنها -كما أتقن غيرها- بالأدلة القاطعة والحجج الباهرة **مسألة البعث** ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ .

فالبعث أمر قد **ظهرت حجته على أيدي** الرسل وبانت كالشمس في رابعة النهار. ومما يدل على ذلك أن رجلاً من أطراف المدينة لما سمع بما دعوا إليه ولم يكن واجه الرسل ولا جالسهم جاء يجري مصدقاً لبداهة ما دعوا إليه ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ .

ومما يدل على إمكانية البعث وقوع ما يماثله من النظير الأرضي. فهذه ﴿ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾ بالثمار والحبوب والجنات، وكذا موت النهار بغروب الشمس أحييناه بشروقها، وكذا القمر ينتقل في منازله من الهلال إلى البدر إلى الهلال إلى أن يموت بالمحاق ثم يهل الهلال مرة أخرى، فكما يموت القمر ويحيى ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ فكذا الأجساد تموت وتحيا.

ومما هو متعارف عليه عند العقلاء أن الفكرة الأولى والإبداع الأول هو الأصعب، فإذا ظهر إلى الوجود وتداوله الناس سَهُل الإتيان بمثله أو ما يشبهه لاسيما من قبل نفس المبدع والصانع. ها هي السفينة التي لم تخطر فكرتها على قلب أحد من الناس أوحى الله تعالى فكرتها وكيفية صناعتها إلى نوح عليه السلام، ثم أصبحت متداولة، سهلة الصنع ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ٤٢﴾ ، فكذا إعادة بعث الخلق أهون من ابتداء خلقه أول مرة. ولكن القلوب التي لا تقوى فيها قاسية لا تلين للحق، بل لا تلين حتى للمساكين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ ؟

ومن وسائل الإقناع أن تجعل الخصم يتصور الموضوع الذي تحاوره فيه ويتخيله ويعيش فيه، وتجعله يعايش خطورة هذا الموضوع وآلامه

وأحزانه وشدته وكربه ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ ، فيعيش نعيمه وعذابه.

ثم أيحسن بالخالق أن يخلق عباده ثم يتركهم يقعون في الجرائم دون أن يقتص منهم؟ ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ .

أيحسن بالخالق أن يوكِّلهم بالتصرف بالنعم والأنعام دون أن يحاسبهم كيف تصرفوا فيها؟ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ .

أيحسن بالخالق أن يخلقهم لتحقيق مقصد وهدف وهو عبادة الله وحده دون أن يحاسبهم عليه؟ ويعلنون خصومتهم لله تعالى دون حساب؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ ، فلابد من يوم للحساب.

ألا يرون الإحياء اليومي للمخلوقات، وتوالد الأنعام لأفراد جدد لم يكن لهم وجود؟ ألا يرون أجساد الأجنة الميتة وهي في بطون الأرحام كيف تنفخ فيها الأرواح فتخرج حية؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ .

ألا يرون قدرة الله العظيمة التي لا حدّ لها في خلق الأنعام

وتذليلها للإنسان، فهي قدرة مطلقة تشمل القدرة على البعث؟!

أليست قدرة الله على خلق الإنسان أول مرة دليلاً على قدرته على إعادة خلقه؟ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ .

من المعلوم أن النار تطفأ بالماء. أليست قدرة الله تعالى على إخراج النار من الأغصان الخضراء الممتلئة ماءً دليلاً على قدرة الله على إخراج الشيء من ضده؟ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ، مما يدل على قدرته على إخراج الحي من الميت والعكس.

أليست قدرة الله تعالى على الشيء العظيم الكبير تقتضي قدرته على ما دونه ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ ؟

إن **صفة** «الخلق» سواء ابتداءً أو إعادةً هي إحدى صفات الله تعالى، والاتصاف بهذه الصفة يستلزم الاتصاف بمجموعة من الصفات: وهي العلم بالشيء، ثم التصور له، ثم القدرة ونفاذ أمره، ثم الإرادة الجازمة للشيء، ثم الملك. والله تعالى متصف بجميع هذه الصفات على أتم الوجوه ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ

أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ .

جميع ما سبق عرض محكم تجلَّت فيها الأدلة على البعث ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ، فهل يشك أحد بعد هذا على **إتقان القرآن في عرض المسائل وعرض أدلتها بأقوى الحجج وأبينها وأكملها؟! فهذا مقصد سورة «يس».**

سورة الصافات

أهل الدرجات العلى هم أولياء الله تعالى، أكرمهم الله تعالى بالعزة، **فالعزة لله تعالى ولأوليائه، بينما الذل والصغار لأعدائه.**

فأولياء الله تعالى وهم المؤمنون المحسنون المخلصون **أهل لأن يقسم الله تعالى بهم** لاسيما حال اصطفافهم لعبادته واصطفافهم للجهاد في سبيله ولتلاوة ذكره مسبحين له موحدين ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾ . بهم تشرق الدنيا، وهم زينة السماء، وبهم يحفظ الدين ﴿مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ ، وحججهم ومواعظهم شهب تدحر شياطين الإنس والجن.

أما أعداء الله ففي غاية السفالة، مجالسهم يغلب عليها الغفلة والعبث والسخرية ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ۝١٢﴾ ، ويغلب عليها الكبر والبهتان. وسيذوقون مرارتها حين يبعثون في أرض المحشر في غاية الصغار وهم داخرون مستسلمون، يتبرأ كل منهم من الآخر، لاسيما حين يؤمر بهم ليساقوا في غاية الذل إلى صراط الجحيم، وهم يرون أولياء الله تعالى المخلصين يتقلبون في كرامة الله تعالى في أرض

المحشر متفكهين، وأرزاقهم تجري عليهم إلى أن يستقروا ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ يتزاورون فيها. بينما أولئك يتكبكبون في سواء الجحيم، يأكلون من شجرةٍ منبتها قاع الجحيم، تسقى من صديد أهل النار وغسالات بطونهم وهو شرابهم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ ، هذا جزاء من أفنى حياته في المجالس السافلة.

أما أولياء الله تعالى المحسنون المؤمنون المخلصون فقد شغلوا مجالسهم بذكر الله تعالى، وأفنوا حياتهم في الدعوة إلى توحيد الله تعالى مهما طالت أعمارهم وعمروا ما عمر نوح عليه السلام، وأقاموا الحجة في تفرد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وصفاته إلى أن ظهرت حجتهم ظهوراً جلياً كظهور حجة إبراهيم عليه السلام، وهاجروا في سبيل الله، وسخّروا ذريتهم لما يرضي الله تعالى ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ، فسلام عليهم في الدنيا والآخرة.

فأولياء الله تعالى عزتهم في الدنيا ظاهرة عند الله تعالى، ودعوتهم مجابة ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ، ونجاتهم من العقوبات الإلهية مضمونة، وذكرهم محفوظ، وذريتهم في حفظ الله تعالى مصانة كما حفظ ذرية نوح عليه السلام، وتتوالى عليهم البشارات في خضم الفتن لاسيما إذا تحلوا بالحلم، وسيجعل الله لهم من كل ضيق مخرجاً ومن

كل كرب فرجاً كما فرج الله عن إبراهيم الخليل ﷺ ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ ، وكروبهم دوماً مصحوبة بالبشارات والبركات الإلهية، وهم دوماً محفوفون بمنن الله ونصره وهدايته ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ ، وبسلام الله وإحسانه ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ . بينما أعداؤهم عاقبتهم الهلاك، وكيدهم في سفال، هذا في أحوال الصنفين.

أما فيما يتعلق باعتقاد الصنفين:

فأعداء الله لا تتجاوز اعتقاداتهم الفَرْج، فمنهم من يعبد إلهاً من أجل فحولته وذكوريته كمن عبد بعلاً ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ ، وقد يتنافسون فيما بينهم من هو أشد فحولة من الآخر فيستأنث الذكور كقوم لوط. بينما الميزان عندنا ليس بالذكورة أو الأنوثة، إنما الميزان عندنا بتقوى الله تعالى وكمال الاستسلام له. فقد يلام عندنا العبد التقي النقي ولو كان ذكراً إذا وقع فيما وقع فيه كحال يونس عليه السلام ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ .

إن أعداء الله لا هَّم لهم إلا الفرج، وحول الفحولة يدندنون، لذا نسبوا البنات إلى الله سبحانه ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ ، وزعموا أن الملائكة إناثاً، وزعموا أنهم نتاج زواجه من

سروات الجن ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فعقيدتهم تنصب في التثليث: الأب والصاحبة والولد.

أما أولياء الله تعالى فقد رجحت عقولهم، وسلم اعتقادهم في الله تعالى، لا يصفونه إلا بأكمل الصفات، وينزهونه عن النقص بجميع صوره، فهم مخلصون لله تعالى ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ ، مسبحون له، مصطفُّون بأدب جم بين يدي عظمته. فالنصر حليفهم، والعز رفيقهم، والغلبة لهم ولو بعد حين، كيف لا وهم أولياء رب العزة ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ .

هذا مقصد سورة الصافات: بيان شرف أولياء الله تعالى، وطهارة أحوالهم واعتقادهم، ومآلهم. بعكس أعداء الله تعالى.

سورة ص

ولكن هذه المكانة المرموقة والعزة الموعودة لأهل التوحيد تحتاج إلى صبر على التوحيد وعلى دعوة الناس إليه. فإذا كان الكفار أهل الباطل يتواصون بالصبر على شركهم وباطلهم ﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ ويتعززون به ويشاقون لأجله فأصحاب الحق الموحدون أولى بالتمسك بتوحيدهم والتعزز به **والتحلي بالصبر بأنواعه السبعة الآتية**:

أولها الصبر على أذى الكفار من تكذيبٍ واتهاماتٍ وسخرية، وإن عاقبة هذا النوع من الصبر تسخير الناس لكم. ألا ترون كيف سخر الله تعالى الجبال الراسية القاسية الثقيلة لداود عليه السلام، وكذا سخر له الطيور الخفيفة التي يصعب تسخيرها، فأخذ الجميع يسبح معه بالعشي والإشراق ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ ؟ ألا يقدر الله تعالى على تسخير الناس وهم دون الجبال في القسوة وأوقر من الطيور؟ بلى، ولكن عليكم بالصبر.

ومنها الصبر على التراجع عن الخطأ إذا تبين، ولو أحرجتم أمام

الناس، كما حصل لداود عليه السلام مع الخصمين ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾ .

ومنها الصبر على بذل المحاب لوجه الله تعالى، لاسيما أحب الأشياء إلى القلب، فتتقرب بها إلى الله تعالى. كما فعل سليمان عليه السلام عندما طفق ضرباً بسيقان الجياد الصافنات ونحراً لها تقرباً إلى الله تعالى لما ألهته عن صلاة العصر، فأكرم بملك عظيم لم يخطر على قلبه ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ .

ومنها إطالة مدة الصبر كصبر أيوب عليه السلام ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ الذي استغرق ثماني عشرة سنة. حينئذ يدخل الصابر في زمرة الأخيار ممن أخلصهم الله تعالى ﴿بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ ، أخلصهم بدوام ذكرٍ وعلو مقام في الدنيا وحسن مآبٍ في جنة عدن في الآخرة وخلود فيها، فأين ثماني عشرة سنة من الدوام والخلود؟!

بينما أعداؤهم يتقلبون في خصومات شديدة في الدنيا والآخرة، تغلي بطونهم بحميم النار، وشرابهم غساق أسود، وهم غارقون في

غسق جنهم وظلامها جزاء لما أذاقوا المؤمنين في الدنيا من الويلات وألوان العذاب فأروهم سواد الليل في رابعة النهار وأحرقوا قلوبهم ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ .

فدعوة التوحيد أمرها عظيم ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ ، تستحق أن يتحمل لأجلها جميع أنواع الصبر، وعاقبتها السيادة على البشر، وهذه السيادة اللاحقة تحتاج إلى صبر بعدها من نوع آخر وهو عدم الطغيان كما طغى إبليس لما جعله الله تعالى في صفوف الملائكة ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ، وعدم حسد من أكرمه الله بنعمة من عنده كما حسد إبليس آدم لما خلقه بيديه وأمر الملائكة بالسجود له تكريماً.

وكذا عند السيادة غالباً ما يتكلف ذوو الشرف ويتنطعون، لذا يحتاج الدعاة **إلى الصبر عن التكلف والتنطع** عند سيادة التوحيد، لاسيما إذا ما أصبحوا قدوة يقتدى بهم ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ .

إذا تحلى الدعاة بهذه الأنواع من الصبر فليبشروا بحسن الذكر والعاقبة ولو بعد حين ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ

حِينِۭ ﴿٨٨﴾ ﴾.

هذا مقصد سورة ﴿صٓ﴾ : دعوة للتحلي بجميع أنواع الصبر لتنال العزة.

سورة الزمر

المحبة الخالصة لله تعالى ليست مجرد دعوى، إنما **لها علامات وصور ولوازم، ولها محظورات يجب اجتنابها**، ليتميز المخلص من الدّعي، والصادق من الكاذب.

فالجميع يدعي أنه يحب الله عز وجل محبة خالصة ﴿... فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ ، بل حتى الكفار يزعمون أنهم يحبون الله تعالى محبة خالصة، وما هؤلاء الشركاء إلا وسطاء وزلفى يتقربون بهم إلى الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ .

كيف حكموا على الله تعالى بأن هؤلاء الشركاء يقربونهم إلى الله تعالى؟ ومن الذي جعلهم وسطاء بين الله وبين خلقه؟ فالله تعالى هو الذي يحكم ولا يحكم عليه سواءً في نسبة الولد إليه أو الشريك أو الوسيط، أو في ابتداع طرق التقرب وطرق الزلفى إليه. فهو الذي قهر الكون وخلقه ودبر شؤونه وشؤون الناس وشؤون باقي المخلوقات، فهو الملك الحاكم على الخلق، وهو الواحد القهار، لا شريك له ﴿ذَٰلِكُمُ

ﵟٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖﵞ ، فكيف يحكم عليه؟

لذا من **علامات المحبة الخالصة** قنوت العبد لله تعالى آناء الليل خائفاً راجياً، ذليلاً خاضعاً ﵟأَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗﵞ ، لا حاكماً على الله تعالى، بل سائلاً الله تعالى الاستزادة من العلوم التي تقربه إليه، متقياً، محسناً، مهاجراً إليه، صابراً ﵟلِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖﵞ ، من أوائل المستسلمين لله تعالى، دوماً في مقدمة صفوف العابدين، لديه حاسة سادسة تجاه الشرك، متبعاً لأحسن القول. إن هذا الصنف يستحق أعلى الجنان ﵟلَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖﵞ .

تجد القرآن يجري في عروقه، يرى فيه مادة الحياة لقلبه كما أن الماء مادة الحياة للكائنات ﵟأَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِﵞ ، ويلهج لسانه بذكر الله تعالى، وينشرح صدره لذكره، ويقشعر جلده لكلامه، ويجد راحته في استسلام قلبه لله تعالى. أين هذا من الظالم المكذب بكتاب الله تعالى المشرك في محبته لله تعالى ﵟفَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚﵞ .

تجد المحب المخلص في شوق دائم إلى الله تعالى، يرى في الموت لقاء

الله تعالى. ترى فيه نور الصدق لا يفارق ظله، يتلهف لكل ما جاء من الله تعالى فيتلقاه بالتصديق، ويسارع إلى أن يكون صدِّيقاً ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ، متوكلاً على الله تعالى، يرى أن الله هو حسبه وكافيه. يملأ المجالس بذكره والدعوة إلى توحيده ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ، ويرى أن شرفه في الانتساب إلى توحيده، ويتألم لما يرى من إعراض الناس عن دعوة التوحيد. يسعد في نومه ووفاته ويرى فيهما السكينة لما يرى فيهما من التصاق الروح بجنب الله تعالى، يبث إليه همومه وشكواه ليحكم له فيهما ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ سواءً هموم الخلاف مع الناس أو هموم الرزق.

أين هذا المخلص من ذاك الظالم المكذب بكتاب الله تعالى ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ، المشرك المفتري على الله تعالى، الذي يزعم الإخلاص فيتخذ الشفعاء من دون الله تعالى، ويشمئز قلبه عند ذكر الله وحده، ويستبشر إذا ذكر الذين من دونه، إنه نكّار للجميل ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾. **هذه خوارم للمحبة الخالصة، فليحذرها المؤمن.**

وليحذر المحب المخلص سائر خوارم المحبة الخالصة ومحظوراتها **.فإن من خوارمها** ومحظوراتها الإسراف في الذنوب ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ ، والإصرار عليها، والقنوط من رحمة الله تعالى، والتفريط في جنبه، والتسويف في التوبة منها إلى يوم الحسرة. وأشد منها التكذيب والاستكبار عن عبادة الله وحده، والكفر به، والكذب عليه، والكذب في ادعاء المحبة. فهذا عقوبته التحسر يوم البعث، واسوداد الوجه ﴿تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ ، والخسران التام، وحبوط أعماله، ويساق بتمام الذل إلى جهنم للخلود فيها، وعند وصوله إليها تفتح أبوابها في وجهه فجأة ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ .

أما ثواب المحبين المخلصين لله تعالى فهو إشراق القلب والوجه بالنظر إلى وجه الله تعالى كما تشرق الأرض يوم القيامة بنور ربها ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ ، ويستقبلون استقبال الملوك، ويحشرون مع النبيين والشهداء، ويساقون سوق إكرام، وقد فتحت لهم أبواب الجنة قبل مجيئهم كما تفتح للملوك قبل مجيئهم، ويتلقون السلام من كل ناحية، يرثون أرض الجنة وأفئدتهم تطوف حول العرش، ولسانهم ولسان الكون كله يلهج بالتسبيح والحمد مع الملائكة قائلين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ .

هذا مقصد سورة الزمر: بيان صور المحبة الخالصة التي يجب التحلي بها، وبيان محظوراتها، وثوابها.

سورة غافر

إن المحبة الخالصة لله تعالى تقتضي صفاء القلب وطراوته، ويمكن المحافظة عليهما بالإقبال على كتاب الله تعالى وتعلمه وبكثرة الاستغفار من الذنوب وبالمسارعة إلى التوبة والانتفاع بالعقوبة الإلهية في تذكير النفس إذا ما زلت ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ . بينما يُذهب هذا الصفاء وهذه الطراوة مقسيات القلوب. من هذه المقسيات مقارفة الذنوب والإصرار عليها وتأخير التوبة وكثرة الجدال، وأعظمها وأفجرها التكبر، لاسيما التكبر عن عبادة الله وحده.

إن من أظهر صور الاستكبار عن عبادة الله وحده المخاصمة والجدال فيه بالباطل. إذ كيف يجادل العبد في دين الله تعالى بعدما تبين له الحق بالأدلة والآيات البينات ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ .

ومن أظهر صور الكبر رد الحق، والكفر، وتكذيب الرسل والاستخفاف بهم، ونشر الفساد، وسفك دماء أهل الحق لاسيما

دماء سادة البشر كحال فرعون وهامان وقارون مع نبي الله موسى عليه السلام وبني إسرائيل ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ .

لذا هم يستحقون أشد أنواع العقوبات في الدنيا، وكذا في القبر، وهم أصحاب النار في الآخرة ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾ ، ومآل فرعون وهامان وقارون ليس عن الأذهان ببعيد فضلاً عن فوت الخير الكثير من دعاء الملائكة واستغفارهم لهم ولأهليهم، ثم مقت الله تعالى لهم، والفضيحة يوم القيامة، مع ما يصاحبها من شدة الخوف وتخلي الخلان والشفعاء عنهم وفي أحلك الظروف والأحوال ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ . هذا مع ما سبقتها من العقوبات الدنيوية ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يعتبروا بها كبراً.

بينما متبعو الحق الخاضعون له الذين يوقنون أن الله تعالى هو العلي الكبير، وأن الكبرياء لله تعالى، وأنه رفيع الدرجات ذو العرش، وأن الأمر يرجع إليه أولاً وآخراً، فهؤلاء تصلي عليهم الملائكة قائلة: ﴿... فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ .

انظر إلى المفارقة: هذا الإنسان الضعيف المخلوق من ماء مهين يتكبر على الأوامر الإلهية بينما الملائكة العظام لاسيما حملة العرش وهم من أشرف الملائكة خاضعون لله تعالى مسبحون له يؤمنون أن العظمة والكبرياء لله وحده ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ .

ومن صور الكبر عدم النظر في أدلة الخصم أثناء الحوار وردها، وإيذاء الخصم، وبالمسارعة في اتهامه وتهديده ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ ، وتحذيره من إظهار أدلته، وسوء الخلق في الحوار، والشقشقة والتشدق في الكلام، والكذب في الحوار، والإسراف في جميع ما سبق، ومقاطعة الخصم، والعُجْب وإلزام العباد برأيه ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ ، وظلم الخصم، والحماقة والسفاهة فيه ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ . فعقوبة هذا النوع أنهم دائماً في خصام حتى في نار جهنم التي يصلونها، يتخاصمون فيما بينهم ويتجادلون بنفس المنهج السيء في الحوار الذي كانوا عليه في الدنيا، ولا ينظر أحد منهم إلى حجة الآخر، فهؤلاء لا تستجيب الملائكة لندائهم بل وتخصمهم ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ .

لا يعني ذلك أن يجتنب المؤمن الجدال بجميع صوره، بل المؤمن يجادل ولكن بالحسنى، **وله أسلوب خاص في الجدال** كما في قصة مؤمن آل فرعون. فتجده يتسلح بالحجج البينة مستعيناً بالله تعالى ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ، ويتميز بكمال الأدب وحسن الخلق في الحوار، وإظهار حرصه على الطرف الآخر ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ . ويتخلل حواره المواعظ، وعدم المقاطعة، والتواضع، وضرب الأمثلة والأمثال لتتضح حجته، والرفق واللطف، ثم في نهاية حواره يفوض الأمر إلى الله تعالى ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ، ثم يحسن الظن بالله تعالى بأنه سينصره باللسان والسنان ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ . وتجده يتحلى بالصبر ولا يستعجل في قطف الثمرة، ويكثر من الاستغفار والتسبيح والحمد حتى يفتح الله له باب الحجة ويُظهرها ويعينه على نفسه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ .

إن أنجع علاج للكبر سلوك طريق الوقاية منه بالتمسك بالوصايا الواردة في الكتاب الإلهي والهدي النبوي ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾﴾ ، وقراءة سير الأنبياء والصالحين في التواضع، والصبر على الأذى فهو من علامات التواضع، ويوقن بأنه غير معصوم من الوقوع في الذنب والخطأ

وبأنه غير كامل وأن الكمال لله وحده وله كمال التنزيه، فيسارع إلى الإكثار من الاستغفار والتسبيح والحمد. ويتجنب العُجْب ويعلم أنه لن يبلغ العظمة التي زورتها نفسه له، ويستعيذ بالله من شر نفسه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ . ويتحقق ذلك إذا ما قارن بين تكوينه الخلقي وعظمة السموات والأرض ليعلم كم هو صغير.

ومن سبل الوقاية والعلاج للكبر أن يذكر نفسه بالساعة ويوم القيامة والحساب ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ ، ويكثر من دعاء الله تعالى لاسيما آخر الليل ليجنبه الكبر والعجب، ولا يأمن مكر الله تعالى بسبب ذنوبه فتنقلب أحواله ويؤفك، وينظر إلى ما أنعم الله عليه فيعزو النعمة إلى المنعم ويداوم على شكر الله تعالى على ما أكرمه ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ ، ويرى أن الفضل كله راجع إلى الله تعالى بينما هو ليس له من الأمر شيء.

ومن سبل الوقاية والعلاج للكبر أن يدرب نفسه على الاستجابة السريعة للحق والاستسلام للبينات التي تأتيه من ربه ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٦﴾ ، ويتفكر في أصل خلقه ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ ثم مآله إلى الوفاة ليعلم كم هو ضعيف، ويوقن أنه

بين يدي أمر الله تعالى لا يستطيع رد المصائب ولا القضاء الإلهي إذا نـزل ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

ومنها أن يتفكر في المصير الأخروي للمتكبرين المجادلين في آيات الله ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ . ومنها أن يستعمل كل وسائل النقل ثم يسير في الأرض ليرى المصير الدنيوي للمتكبرين الفرحين بما عندهم فرَحَ كبرٍ وطغيان ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ فيوقن أنهم في غاية الخسران ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ .

هذا مقصد سورة غافر: تصفية القلب من الكبر ليصفو قلبه خالصاً لله تعالى.

سورة فصلت

من صفا قلبه لله تعالى أكرمه الله بنور في القلب يتدبر به كتاب الله تعالى، **ليستلهم منه أصول العلوم الجامعة لمتطلبات الاستقرار والسعادة والسيادة والقيادة في الدارين.** فيرى أن القرآن قد فصل هذه الأصول بإحكام وفصاحة بالغة ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ . ويرى في تلك الأصول الجامعة المفصلة جوامع الخير وطرقه، وجوامع العلوم التي تشبع احتياجاته النفسية والفكرية والعقدية والروحية والبدنية بما يروي الغليل ويشفي العليل. ويراها تشتمل على التحذير من الأصول الجامعة لأنواع الشر وطرقه، والتحذير من الأصول الجامعة للأمراض الحسية والمعنوية. هذا التدبر قد عمي عنه المشركون، إذ بينهم وبينه حجاب عريض ﴿بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ .

لقد تضمن القرآن الإشباع السمعي في البلاغة والفصاحة ولكن أعداءه ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ .

وتضمن القرآن مواد الإشباع النفسي فيما يتعلق بأصل السعادة وأساس الحياة الذي قام عليه الكون، وهي ثلاثة أصول: توحيد الله

تعالى، والاستقامة بمتابعة النبي ﷺ، وتزكية النفس ﴿... أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ . وفصَّل وسائل التفوق في الحوار مع الخصوم، وبين بأن الأصل الجامع للنجاح الدائم هو حسن التعامل مع الله، ثم مع من حولك، ومع المستقبل، مع توقع المصائب وأخذها بالحسبان.

وتضمن القرآن الإشباع المعرفي العلمي المتعلق بمعرفة العجائب والأسرار العلمية، وعلى سبيل المثال نشأة الكون ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ .

إن القرآن فصّل مصادر الشقاء البدني والنفسي الذي يصيبه، وأن ذلك نتيجة الإعراض عنه، سواءً كان مصدر الشقاء من قبل بيئته المحيطة به كالعقوبات التي أصابت قوم عاد وثمود، أو من قبل أعضائه لاسيما الشقاء الذي يصيبه في الآخرة ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم﴾ ، أو من قبل أخص الناس به وهم أصحابه وقرناؤه من الجن والإنس الذين كانوا سبباً في ضلاله ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾، أو من قبل أخص الموكلين به وهم الملائكة سواء في الدنيا عند نزولهم بالعقوبات الإلهية أو بعد بعثه حين يدفعونه دفعاً إلى جهنم أو ساعة الاحتضار حين لا يوفق في خاتمته.

إن القرآن هدى وشفاء لأكبر المشكلات وأعظم الملمات والمسائل الكبار التي تحار فيها عقول الأذكياء .**من ذلك ساعة الاحتضار** التي يفر منها جميع الخلق والتي بذلت فيها الجهود وصرفت فيها الأموال وقضيت فيها الأوقات وعليها قامت أنواع شتى من العلوم والدراسات والبحوث لتأخيرها ساعات أو أياما، فبين القرآن كيف تعمل لتفوز لحظتها بالبشارات والولاية وتوفق لحسن الخاتمة بل ولا ترجو تأخيرها إذا حلت ونزلت، بل ترجو لقاء الله فيها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ .

ومنها الخصومات التي أفسدت العلاقات البشرية والأسرية والأممية فقطعتها وسفكت لأجلها الدماء وانتهكت لأجلها الأموال والأعراض، فبين القرآن قواعد التعامل معها لتحول الخصومة إلى ولاية حميمة كقاعدة ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ .

ومنها سلطان الشهوة لاسيما الذي يثيره الشياطين، الذي أفسد القلوب والجوارح والألسنة، وبه انتهكت الأعراض وسلبت الأموال وسفكت الدماء ووقعت المظالم، وبه قامت العداوات والحروب وأفسد الأمم بأكملها، فبيّن القرآن كيف تتعامل معه.

ومن عظائم الأمور التي عمت بها البلوى وعالجها القرآن **هو تسلط الجن** عليه بالوساوس والتخييل والإغواء، وبإثارة النفوس بشتى الإثارات، وبسوء الظن بالجميع وسرعة الغضب، والتي تكفي كل واحدة منها لشل قدرات الإنسان والقضاء عليه ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ .

ومنها الشكوك والشبهات التي طالت كثيراً من النظار وعلماء المنطق والمتكلمين وأذكياء العالم، لاسيما في مسائل التوحيد فبينها القرآن أحسن بيان وأوضحه وأيسره ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ ، ومسائل البعث والقدر ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ ، ومسائل النبوة. لقد عالجها القرآن بأيسر الطرق وأنقاها وأصفاها. فإذا لم تسلك الأمة الطريقة القرآنية في ذلك وسلكت طريق المتكلمين والفلاسفة فإن هذه الأمة ستختلف فيما بينها وتتفرق كما تفرقت بنو إسرائيل ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ﴾ .

فكيف يُعزف عن هذا العلم الإلهي المفصل في القرآن الذي جاء من الله تعالى الذي أحاط علماً بمتولدات النفوس ومكنوناتها ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ٤٩﴾ ، وأحاط

علماً باحتياجاتها وأدق أحوالها، وفصل الأصول الجامعة لمتطلبات السيادة والسعادة؟ وكيف يُستهدى بهدي الشياطين والأمم الضالة والمظنونات العقلية؟

ولكن ستبدي لهم الأيام أن **الشفاء ومقومات السعادة في القرآن** ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ .

هذا مقصد سورة فصلت أن القرآن تضمن أصول العلوم الجامعة لمتطلبات السعادة في الدارين.

سورة الشورى

تمسكوا بهذا القرآن وهذه الشريعة المباركة التي تضمنَّها فإنها **أعظم شريعة** وأعظم ما أُكرم به أهل الأرض.

إذ تعرف عظمة الشريعة بعظم المشرِّع وعظم الأحوال المصاحبة لها. فهذه الشريعة مصدرها العلي العظيم، نزلت بأفضل كلام، وأفضل لغة، وأفضل تشريع بأفضل عرض وصياغة وفصاحة وبيان، على أفضل البشر وسيدهم ليستلم القيادة، واختار الله لها أفضل أمة، وأفضل بلد ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ . فالعقوبة العظمى لمن أعرض عنها، والثواب الجزيل لمن أقبل عليها، فأقبلوا عليها وتحاكموا إليها ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ .

لقد تميزت هذه الشريعة بأفضل المميزات إذ قامت على أصول السعادة للبشرية جمعاء أولها توحيد الله تعالى في عبادته وربوبيته وأسمائه وصفاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ . وثانيها متابعة شريعة النبي ﷺ ذات الجذور العريقة التي ابتدأت من

نوح عليه السلام وانتهت به ﷺ. وثالث أصولها التي قامت عليها هو التحلي بمعالي الأخلاق لتتآلف عليها القلوب ولا تتفرق ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ .

ومن مميزاتها الحبك والمتانة والكمال حيث لا تماثلها شريعة ولا تضاهيها ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ .

ومنها أنها جاءت بمقومات التآلف وقواعده كالاستقامة على الطريقة النبوية، وعدم مخالفتها، وعدم الابتداع، وعدم اتباع الأهواء، والإيمان بكل ما جاء في القرآن دون تحريف أو تأويل ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ ، والعدل بين الناس، والحوار بالحسنى وعدم المماراة ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ . فإن الأمة لا تتآلف إلا على هذه القواعد، وإلا تقطعت وتمزقت.

ومنها القواعد الجليلة التي قامت عليها كقاعدة الأمور بمقاصدها، وأن اليقين لا يزول بالشك، وقيامها على ميزان العدل ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ ، وقامت على قواعد اللطف ورفع الحرج، وميزان جلب المصالح ودرء المفاسد في جميع مجالات الحياة ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ .

إن مما يُفَعِّل تعظيمها والتمسك بها التعرف على تفاهة الشرائع الأخرى التي قامت على الهوى والظلم والحجج الواهية الهشة ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ، وقامت على الشكوك والكذب. إن الشرائع غير السماوية تتميز بعدم ثباتها، واضطراب قواعدها وأحكامها، فانتهت بأصحابها إلى الضلال والحيرة ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ .

ومما يفعِّل العمل بهذه الشريعة المباركة الترهيب من الإعراض عنها، وتخويفهم بالعقوبة العاجلة والآجلة ﴿... وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمْۗ﴾ .

ومما يفعل العمل بها بيان أحوال أصحاب الشرائع الأخرى من دناءة الهدف والغاية وهو اللهث نحو حرث الدنيا وحطامها، والغفلة عن الساعة ويوم الحساب، وأنهم ليس لهم أصل يقومون عليه ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ .

ومما يفعل العمل بالشريعة المباركة الترغيب فيها وفي بركاتها الدنيوية والأخروية ﴿فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ﴾ ، والتأكيد على انتصارها وهزيمة الباطل ومحوه ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ .

أما إذا اعترضوا عليكم: كيف تكون هذه الشريعة أعظم شريعة نزلت على أكرم أمة على الله تعالى وقد تسلطت عليها الأمم الكافرة، وتأخر نصرها، وعظمت المصائب الواقعة عليها؟

أما تأخر النصر فبسبب ذنوبها، فلو توالت انتصاراتها وهي غارقة في ذنوبها لبغت في الأرض، ثم النصر والغيث الإلهي يأتي بقدر محدد وعلى مراحل كنزول الرزق والغيث على مراحل ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ .

أما المصائب فبسبب ذنوبها كذلك، فإن أنابت إلى ربها رفع عنها المصائب ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ . ولا يغرنك إمساك الأمم الكافرة بأسباب القوة والغلبة، فحالهم كحال السفن العظيمة التي قد يكون عظمها في البحر سبباً في وبوقها وارتكاسها فيه. فانتصارهم المؤقت وظهورهم ما هو إلا متاع زائف دنيّ، وزواله قريب ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ .

إن هذه الأمة حاملة لواء هذه الشريعة المباركة لتتولين قيادة العالم، ولكن **قيادة العالم تتطلب التمسك بالوصايا الجامعة الورادة في هذه الشريعة.** على رأس هذه الوصايا الإيمان بالله تعالى والتوكل عليه ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ، واجتناب

كبائر الإثم والفواحش، والتمسك بالشريعة الإلهية وقواعدها، والتمسك بالشورى، وتوطين النفوس على الحلم والصفح ونبذ الخصومات، والتراحم بين أفراد الأمة بالإنفاق والهبات، والعفو عن بعضهم بعضاً، والمصالحة ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، وإقامة العدل والإحسان والصبر على ذلك.

أما من أعرض عن هذه الشريعة فقد باء بالخسران المبين سواءً بالعقوبة العاجلة في الدنيا أو يوم القيامة إذا ما بعثوا وعرضوا على النار، يوم يخسرون أهليهم ويتبرأ منهم خلاّنهم ﴿... إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ﴾.

إن الناس يتفاوتون في الأخذ بهذه الشريعة، فمنهم من يغلب عليه جانب الشدة، ومنهم من يغلب عليه جانب الرحمة، ومنهم من يجمع بين الاثنين فيكون وسطاً وهم أكملهم، ومنهم من لا يأخذ منها شيئاً. كحال من يرزق بالذكور الذين يتميزون بالشدة والقوة أو يرزق بالإناث اللاتي يتميزن بالرحمة أو لا يرزق بشيء أو يرزق بالصنفين.

وعلى رأس الكُمَّل الأنبياء الذين جمعوا بين القوة والرحمة، وهم كذلك يتفاوتون ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾ . وإن سيدهم وقائدهم أنت يا رسول الله ﷺ، فقد أوحينا إليك أفضل الشرائع وروحها ونورها ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ .

هذا مقصد سورة الشورى: بيان عظمة هذا الوحي وعظمة هذه الشريعة العلية الحكيمة.

سورة الزخرف

إذا تبين عظمة الشريعة المحمدية وعلو مقامها ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ **وجب متابعتها ووجب تجنب جميع الأسباب المؤدية إلى الضلال عنها**، ليكون لكم ذكر عند الله تعالى ويعلو قدركم وتسودوا جميع الأمم، وإلا ضرب الله عنكم صفحاً ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ .

إن **من أسباب الضلال** معارضة الفطرة السليمة التي توجب عبادة الله وحده خالق السموات والأرض، إذ فطرتهم وألسنتهم تشهد بأن الله تعالى هو خالق السموات والأرض ولكنهم يعبدون غيره ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ .

ومن أسباب الضلال نكران أيادي الله تعالى على العباد إذ هو الذي سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ ، ثم تكفر نعمته بنسبة الولد إليه سبحانه وعبادة غيره ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾.

ومن أسباب الضلال عدم اتزان العقول وانتكاسها، كتلك العقول

التي لا تقبل أن تنسب لنفسها الإناث بينما تنسب الإناث إلى الله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

ومنها الاعتماد على الظنون والأوهام والخرص في الاعتقاد في الله تعالى والشرك به ونسبة الإناث إليه دون دليل وبرهان ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ .

ومنها التقليد الأعمى للآباء ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ . فإذا كان لابد منه فلماذا لا يقلدون جدهم الأكبر إبراهيم الخليل ﷺ ويهتدون بهديه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ .

ومن أسباب الضلال الحسد كما حسدت قريش وثقيف النبي ﷺ فقالتا : ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ .**ومنها** مرض الكبر وحب المفاخرة والتعلق بزخارف الدنيا وزينتها ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ .**ومنها** قرناء السوء من شياطين الإنس والجن ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ .**ومنها** السخرية والاستهزاء بالدعوة قبل النظر فيها وعدم التعامل معها بِجِدّ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ .

ومن أسباب الضلال الحرص على الملك والجاه كفرعون الذي صده ملكه وجاهه عن الإيمان بموسى عليه السلام .**ومنها** حب الجدل والمخاصمة ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ . **ومنها** الخلاف المذموم وهو الخلاف المبني على الرأي المجرد دون أدلة والذي لم ينضبط بضوابط الأدب ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ .

إن الجزاء من جنس العمل، فمن اجتنب تلك الأسباب حاز قصب السبق ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ، ومن قارفها تهاوى في جهنم ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ .

فاستمروا في دعوتهم إلى الله تعالى ومقارعتهم بالحجج، فإذا استمروا في مقارفة أسباب الضلال بعدما بانت لهم وأعرضوا عن تذكيرك لهم ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ .

هذا مقصد سورة الزخرف: بيان أسباب الضلال، والدعوة إلى تجنبها.

سورة الدخان

إذا لم يستمعوا لهذا التذكير واستمرأوا الضلوع في أسباب الضلال فليبشروا بشدة **الانتقام الإلهي**.

إن الانتقام الإلهي ينزل تقديره من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في الليلة المباركة من كل عام وهي ليلة القدر التي نزل فيها هذا القرآن العظيم، ففي تلك الليلة تحدد المقادير بدقة في السماء الدنيا ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ . فيحدد فيها زمن الانتقام، ونوعه، وحجمه، وآثاره، وموضعه، بتمام الحكمة مع تمام الرحمة ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ .

والسبب الأصيل للانتقام الإلهي هو تضييع أصل توحيد الله تعالى ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ . فهذا الأصل عليه قامت قواعد الكون، فإذا اختل هذا الأصل اضطرب الكون بأكمله، وتوالت العقوبات، حتى ترجع راية التوحيد مرة أخرى خفاقة على الأرض ليتزن النظام الكوني مرة أخرى.

ولكن العقوبة الإلهية لا تأتي دفعة واحدة فجأة وإنما على مراحل. فإذا بُلِّغَت الرسالة وقامت الحجة وظهرت وقابلت الأمة دعوة التوحيد

بالشك واللعب والتولي والاستهزاء بالأنبياء والدعاة فإنا سنعاقبهم بعقوبات صغرى على فترات ثم نكشفها عنهم، فإن عادوا بطشنا بهم البطشة الكبرى وانتقمنا منهم ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ ، ولا يمتنع عن الانتقام الإلهي شيء من هذا العالم المشاهد.

إن **شدة الانتقام الإلهي تتفاوت،** وتفاوت شدة الانتقام الإلهي يتوقف على أمور. من هذه الأمور مقام الداعي وكرامته على الله تعالى ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ ، ومنها إخلاصه وأمانته، ومنها وضوح الحجة والبينة للأمة المعاندة ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ، ومنها شدة إجرامهم واستهزاؤهم وتعاليهم على الدعاة والدعوة ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ . فكلما كان الداعي إلى الله تعالى أكرم وحجته أوضح وكان التعالي عليه أعظم والإعراض عنه أشد كانت العقوبة أشد وأوقع، كحال فرعون مع رسول الله موسى عليه السلام، وهذا عام يجري على جميع الأمم.

والانتقام الإلهي لا يأتي عبثاً أوانتقاماً فقط، وإنما تترتب عليه مصالح عظمى وحكم باهرة. منها نجاة المستضعفين، ووراثتهم الأرض، وتمكين أهل التوحيد، وشفاء صدورهم. ومنها ضرب الأمثال والعبر ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ . ومن المصالح العظمي للانتقام الإلهي من أهل الشرك استقرار النظام الكوني على التوحيد وشيوعه في الأرض ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ . ومنها إظهار عظمة الله تعالى، وأن الأمر كله بيده لا ينازعه أحد فله كمال العزة، هذا فيما يتعلق بالانتقام الإلهي الدنيوي.

أما الانتقام الإلهي الأعظم فهو يوم الفصل ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـًٔا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ ، فمصير أعداء الله تعالى في سواء الجحيم يتجرعون من شجرة الزقوم، بينما الموحدون المؤمنون فمنعّمون ﴿... فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ ، فارتقب هذا الانتقام الإلهي ﴿إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ .

هذا مقصد سورة الدخان: بيان الانتقام الإلهي، وتحديده، ومراحله، وأنواعه، والمصالح المترتبة عليه.

سورة الجاثية

إن الله تعالى لم ينس ولم يغفل عن **بيان الآيات ونصب الطرق والوسائل التي توصل العبد إلى توحيد الله تعالى** إنذاراً وإعذاراً قبل حلول الانتقام الإلهي.

من هذه الطرق أن الله تعالى أنزل هذا القرآن متدرجاً ليكون أكثر قبولاً وأكثر ثباتاً في القلوب وتثبيتاً لأصحابه، ولعدة فوائد أخرى عظيمة .**ومنها** نصب الدلائل السمعية من بلاغة القرآن وفصاحته وإعجازه وما صح من الأحاديث النبوية مما يوصل العبد إلى توحيد الله تعالى في عبادته ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ .

ومنها نصب الدلائل البصرية والكونية المشاهدة كخلق السموات والأرض ونزول الماء من السماء وإحياء الأرض وتصريف الرياح وغير ذلك مما تقرر به العقيدة والتوحيد ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ .

ومنها الوحدة في القوانين الكونية المُحْكمة التي يسير عليها العالم العلوي والسفلي بلا خلل ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن

رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ .

ومن تلك الدلائل والطرق الموصلة إلى توحيد الله تعالى إسباغ النعم وتسخير الآيات الكونية لبني آدم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

ومنها أيام الله، وهي العقوبات الإلهية السابقة التي حلّت على من أعرض عن دعوة التوحيد لتكون عبرة لغيرهم ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ .

ومنها إرسال الأنبياء وإنزال الكتب لأجل ذلك، ومجئ الشرائع التي تقيم العدل بعد ما عم الفساد والظلم في الأمم ليتوصل الناس إلى أن شريعة التوحيد هي الشريعة التي يجب أن تتبع ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ . ومنها ظهور المعجزات الموصلة إلى التوحيد كما حصل لبني إسرائيل ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ .

ومنها السعادة الروحية والقلبية التي يتقلب فيها الموحدون دون أهل الشرك والكفر ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ .

ومن تلك الوسائل خلق وسائل الإدراك والفهم للعبد كالسمع

والبصر والقلب ليتوصل بها إلى توحيد الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾ .

ومنها الترغيب لمن سلك طريق التوحيد، والترهيب لمن لم ينتفع بتلك الوسائل ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ .

فمن انتفع بتلك الطرق وتوصل بها إلى توحيد الله تعالى وعبده وحده أكرم ونُعِّم ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ . وأما من لم ينتفع بها فأعرض وتولى فسنذيقه أشد ألوان العذاب، بل يوم القيامة سنقيم عليه الدلائل وننصب له الحجج ونهيئ له من الوسائل والطرق ما يتبين له بها صحة ما كتبته ملائكتنا ونسخته من سوء عمله، لنحاسبه عليها أشد الحساب ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ .

فلله تعالى الحمد **الذي نصب الطرق والوسائل الموصلة إلى الحق وأحكمها وأحكم بيانها في الدارين** ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ ، **هذا مقصد سورة الجاثية.**

سورة الأحقاف

بالرغم من نصبنا للطرق والوسائل الموصلة إلى توحيدنا والتي قامت بها الحجج ونهضت بها البراهين إلا **أنهم أعرضوا أشد الإعراض** بشتى أنواع الإعراض ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعۡرِضُونَ﴾ .

إذ أعرضوا عن الإتيان بدليل واحد على صحة شركهم ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِى بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ .

ثم أعرضوا عن الرد على الحجج المعارضة لهم الداحضة لشركهم والتي فيها بيان عجز الآلهة في نفسها، فهي إما أموات أو حجارة غافلة عن عابديها عاجزة ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ . فما كان جوابهم إلا أن قالوا: هذا سحر وإفك مفترى.

وأعرضوا عن الأخذ بشهادة أصدق الشهود على صحة التوحيد وأجلّهم شهادة وهو الله تعالى ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِى وَبَيۡنَكُمۡۖ﴾ ، ثم شهادة الرسل، وشهادة علماء بني إسرائيل الصادقين، وشهادة الكتب الإلهية

السابقة، وشهادة القرآن المعجز ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ .

وأعرضوا عن التحلي بالمروءات التي تقتضيها النفوس الطيبة والعقول السليمة والسجايا الفطرية، وعلى رأسها ذكر جميل من أحسن وشكره.

ألا تستحسن النفوس ذكر جميل الوالدين؟ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ .

ألا تستقبح النفوس أشد الاستقباح من أنكر جميلهما، وجحد صنيعهما، وتأفف منهما ومن أقوالهما كما يتأفف من رائحة الأقذار؟

فكيف بمن أعرض عن شكر جمائل الله تعالى وأياديه عليه ونعمه السابغة، وقابلها بالجحود والكفر والشرك؟ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ .

ومنها الإعراض عن توقير ذي الشرف والحسب الصادق الأمين وعن النظر في الحجج التي أتى بها على توحيد الله تعالى حتى تجاهلوا اسمه، كحال قوم عاد مع نبيهم هود عليه السلام ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ ، وتحدوه بقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ .

جميع هذه الأنواع المنوعة من الإعراض تستحق عقوبة شديدة ﴿...

رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ .

إن ما سبق من الدلائل والحجج الواضحة لا تستحق الإعراض عنها ، بل **تستدعي سجود القلب لله وحده** والإقبال عليه وعلى توحيده والاستجابة له وإن كان بلد المدعو بعيداً عن مركز الدعوة ولم تباشره الدعوة، ولو كان من جنس آخر. كما استجابت جن نصيبين للدعوة النبوية وهي في أقصى الشمال العراقي بينما النبي ﷺ في مكة ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ .

فمن أعرض عن هذه الحجج والدلائل فإنه يؤتى به جبراً يوم القيامة ليعرض على النار فيقر حينئذٍ بصحة دعوة التوحيد ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ .

هذا مقصد سورة الأحقاف: بيان أنواع الإعراض التي قابل بها الكفار دعوة التوحيد.

سورة محمد

لكن هذا التنوع في الإعراض عن عبادة الله وحده والذي يعقبه الصد عن سبيل الله تعالى **سيعقبه ألوان من الذل والخذلان** كتبه الله تعالى على من أعرض عن دعوة التوحيد.

أولها

بطلان أعمال الكفار الدينية ومعاملاتهم الدنيوية وضياعها، وذهاب بركتها، وانهيار بنيانها الشامخ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾﴾ . بعكس من أقبل على الله تعالى بالإيمان به وعبادته وحده فإن أعماله الدينية والدنيوية مباركة ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ .

ثانيها

إذلالهم على أيدي المؤمنين بالقتل والأسر والشقاء والتعاسة ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ . بينما من قتل من المؤمنين سيحظى بالحفاوة الإلهية في الدنيا والآخرة ويحظى بحفظ

عمله وذريته، ومن بقي منهم على قيد الحياة فالنصر حليفهم ولو بعد حين ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ .

ثالثها

العقوبات الإلهية المهلكة لاسيما إذا عجز المؤمنون عن إذلالهم ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ ، فإذا حلت العقوبات عليهم فلا ولي لهم يومئذٍ ولا ناصر، بعكس المؤمنين. وأما ما ترى من تنعمهم فهو متاع سريع الزوال لا استقرار له كتمتع البهائم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ﴾ .

رابعها

الخذلان في سيره في الحياة، فترى فيه التخبط، ويصاحبه اضطراب القلب وعذابه وتقلبه بلا هدف ولا غاية ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ . أين هذا ممن ﴿كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يسير على منهج واضح منير، أهدافه وغاياته محددة بينة، يتقلب في ربوع الجنة في الدنيا قبل الآخرة؟

خامسها

شدة العذاب في الآخرة، وهو الخذلان الأكبر ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ . بينما أهل التوحيد يتقلبون بين أنهار متنوعة الشراب، لذيذة المذاق، وألوان من الثمرات، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ .

سادسها

خذلان قلوبهم، فهي قلوب عفنة، قد نهشتها الآفات وأنهكتها الأمراض. وإن رأيت ظاهرها الفرح والسعادة فهي قلوب لاتعقل ولا تفقه، غارقة في بحر شهواتها، لاهثة خلفها، لا تسمع إلا ما يوافق هواها ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ ، غافلة حتى يباغتها العذاب ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ . قلوب جبانة، غير صادقة، قد طغى عليها التحاسد والتباغض فعميت وصمت حتى سفك بعضهم دماء بعض بالرغم من شدة القرابة فقطعت الأرحام، قلوب لا تفهم ولا تتدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ .

سابعها

الخذلان في الأصحاب، فلا يوفق إلا إلى مصاحبة شياطين الإنس

أو الجن ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ .

ثامنها

الخذلان والخزي على أيدي الملائكة لاسيما عند قبض أرواحهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ .

تاسعها

فضح أسرارهم ومكنونات صدورهم وأضغان قلوبهم ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ .

عاشرها

إحباط أعمالهم وخططهم ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ . فبعد العمل الدؤوب والشاق في الكفر والصد عن سبيل الله ومشاقة الرسول ﷺ ، حتى إذا لم يبق إلا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الهدف إذا بالبناء يتهاوى، والخطط تنقلب على أصحابها.

الحادي عشر

عدم التجاوز عن أي خطأ ارتكبه، وسيحاسب عليه في دنياه

وأخراه ﴿فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ .

ويقابل تلك الصور من الخذلان للكفار كمال العزة للمؤمنين ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ . ولكن ليحذر المؤمنون من **البخل فإنه أصل الخذلان** والجامع لصوره، به يمتنع صاحبه من جهاد النفس وجهاد المال لذا قال النبي ﷺ «وأي داء أدوى من البخل». رواه البخاري، **يستحق صاحبه الزوال والاستبدال** الذي هو آخر أنواع الخذلان في الدنيا ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ .

هذا مقصد سورة محمد: بيان ألوان الذل والخذلان التي ستصيب المعرض عن عبادة الله وحده.

سورة الفتح

لتحقيق العزة والعلو للمؤمنين وخذلان أعداء الله تعالى لابد للمؤمنين من السعي **لإعزاز النبي ﷺ ونصرته ومؤازرته وتوقيره.**

لقد فتح الله تعالى للنبي ﷺ أبواب الخير على مصاريعها، ووعده بأن يَنْصَره ويعزه ويغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويتم نعمته عليه، فهو منصور ولابد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ ، فمن هو المبارك الذي سيتحقق على يديه هذا الوعد الإلهي لنبيه ﷺ من الإعزاز والنصر؟

إن الجزاء من جنس العمل، **فمن تابع النبي ﷺ وأعزه ونصره** فإن الله تعالى سينصره ويعزه ويضاعف له الجزاء بإنزال السكينة عليه وزيادة إيمانه، وتأييده بجنوده، وتكفير سيئاته، ويكرمه بالفوز العظيم في الدنيا والآخرة ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ ، ويخذل عدوه فيذيقه أشد العذاب ويجعل الدائرة عليه.

فعزروا النبي ﷺ ووقروه وانصروه وبايعوه على ذلك، وفوا ببيعته فإن من بايعه فكأنما بايع الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ ، **فهذا من لوازم نصرته.**

واحذروا التخلف عن نصرته بنكث بيعته ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ﴾ ، واحذروا خذلانه بالتخلف عنه في المهمات والملمات والتعلل بالانشغال بالأموال والأهل. واحذروا عدم الصدق معه وسوء الظن بعاقبته وعاقبة من آزره. واحذروا متابعته فقط لنيل متاع الدنيا ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ﴾ . إن اجتناب هذه المحاذير **من لوازم نصرته.**

إن الله تعالى سيختبر صدق زعمكم في إعزاز النبي ﷺ ونصرته بدعوتكم إلى قتال ﴿قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ، فمن صدق معه وأطاعه وتابعه حق المتابعة ونصره واجتنب نواقض نصرته فإنه سيكرم بالخير الأخروي الأعظم المجلل برضوان الله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ، ويرزق بالخير الدنيوي العميم والمغانم الكثيرة المتكررة بلا قتال والتي كنتم لا تقدرون عليها ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ﴾ ، **هذه بعض لوازم نصرته** ﷺ وهي الصدق معه وطاعته ومتابعته وتجنب محذورات نصرته.

ومن لوازمها المحافظة على مواثيقه مع الملل الأخرى والالتزام بها، وكف الأيدي عن قتالهم ولو كانت شروط الكفار المعاهدين شديدة على النفس كشروط صلح الحديبية، فما دام النبي ﷺ قبلها وواثقهم عليها وجب المحافظة عليها، فإن في ذلك خيراً كثيراً وفوائد جليلة، وسينقلب هذا الضيق إلى فتح عظيم للمسلمين يظهر به الدين على جميع الملل، والله تعالى شاهد على هذا الوعد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ .

ومن لوازم نصرته التصديق بإشاراته وبشاراته وأخباره والفرح بها ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ﴾ .

ومن لوازمها محبته وملازمته ومصاحبته، ومحبة أصحابه وصدِّيقيه ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ ، ومؤازرة من أحبه لإغاظة عدوه، فبذلك ينتشر دينه ويعلو ليفوز العبد بوعد الله تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ .

هذا مقصد سورة الفتح: الدعوة لمؤازرة النبي ﷺ وإعزازه ونصرته. والجامع لذلك أن يكون النبي ﷺ أحب إليك من الناس أجمعين، وما سبق ذكره ما هي إلا صور تصدق هذه المحبة.

سورة الحجرات

من صور توقير النبي ﷺ وإعزازه التأدب بالآداب اللسانية معه ومع أتباعه ومع الكبار لاسيما أخص الناس به ﷺ، وتجنب الإساءة إليهم بالآفات اللسانية.

فلا يجوز الاعتراض عليه ﷺ على وجه الخصوص، ولا الاقتراح عليه ما لم يطلب منكم ذلك ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ، ولا رفع الصوت بين يديه ولا من وراء الستور، ولا استدعائه وهو منشغل بأهله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ .

ومن آفات اللسان نقل الأخبار بين المسلمين قبل التبين من صحتها لاسيما الأخبار السيئة ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ ، وإلا كانت وشاية قد تؤدي إلى سفك الدماء بين المسلمين ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ ، وتؤدي إلى بغي بعضهم على بعض، وتفسد الخلة والأخوة.

ومن آفات اللسان العامة التي يجب أن تجتنب بين أفراد الأمة السخرية واللمز والتنابز بالألقاب ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟

﴿بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ فإنها تؤدي إلى العداوة ومن ثم سوء الظن بكل تصرف يصدر من الساخر. والعداوة كذلك تؤدي إلى التجسس على الخصم للتعرف على السقطات والعيوب الخَلْقِيَة والخُلُقِيَة ومن ثم التشفي بغيبته ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ .

ليعلم المرء أن جميع الاختلافات الخَلْقية بين البشر موجودة في طينة آدم عليه السلام في مادة الوراثة، وأن هذه الاختلافات لابد منها لتتمايز الشعوب، فإذا تمايزت صفات الناس أمكن التعارف فيما بينهم، بينما لو تشابهت جميع صفات الناس لما أمكن تعرف بعضهم على بعض ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ **.إن هذه الاختلافات الخَلقية ليست ميزاناً للكرامة، فلا يفسد المرء لسانه بذكرها**، فالكرامة عند الله تعالى ليست بالصور الظاهرة إنما الكرامة بالتقوى ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ .

إن التقوى ليست دعوى لسانية يدعيها العبد يتباهى بها ويتفاخر ويتشبع بما ليس فيه ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ ، إنما التقوى حقائق متأصلة في القلب ظهرت على الجوارح وصدّقها بذل الأموال والأنفس في سبيل الله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ . حتى ولو كانت هذه الادعاءات حقائق فيجب على العبد **أن يتأدب بلسانه مع الله تعالى ومع رسوله** ﷺ فلا يمن بإيمانه على الله تعالى ولا

على رسوله ﷺ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ .

هذا مقصد سورة الحجرات: تجنب الآفات اللسانية مع الكبار والخاصة والعامة.

سورة ق

إن القرآن إذا تناول موضوعاً ما فإنك ترى في عرضه قوة ومجداً وشرفاً ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ . لاسيما إذا تناول المسائل الكبرى فإنك ترى فيه من قوة الأدلة وشرفها وعلوها ومجدها وتحقيقها للمطلوب ووضوح الحجة في بيانها ما يقتضي مناصرته أشد المناصرة، إلا أن الكفار في حال عجب وإعراض ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ .

على سبيل المثال موضوع «البعث». لماذا استبعدتم البعث؟

قالوا: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا﴾ وتناثرت جزيئات أجسامنا بين التراب، أَنُبعث بعدها؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ .

فبين القرآن ذلك أوضح بيان وأشرفه، وعرضه على مراحل بفصاحة وبلاغة **ترى فيها المجد**، وهو كما يلي:

المرحلة الأولى

صدق المتكلم وأمانته. لإثبات صحة البعث أرسلنا إليهم رسولاً منهم، وهو أشرفهم، وبدر أرومتهم، يعرفونه ويعرفون صدقه وأمانته، جاءهم يخبرهم أنه رسول من عند الله تعالى، ويؤكد لهم بعث الناس بعد موتهم، وأنه واقع ولابد وينذرهم به ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ . لقد دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان بالبعث وأثبته بأوضح الحجج القرآنية وأذكاها وأشرفها، ولكنهم كذبوه.

المرحلة الثانية في إثبات البعث

بيان إمكانية البعث بعد الموت. وهو مبني على خمسة أصول:

الأصل الأول: علم الله تعالى بكل شيء.

ألا تقرون أن الله تعالى يعلم كل شيء؟

ألا يقتضي علمه بكل شيء أن يعلم أين تناثرت أجزاؤكم المتحللة بعد وفاتكم؟

إذا كانت مثل هذه المعلومات تحفظ عندكم في كتاب يسمى«بالكتالوج»، فإنها محفوظة عندنا في كتاب يسمى بالكتاب

الحفيظ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ .

الأصل الثاني: ألا تقرون بقدرتنا العظيمة التي بها خلقنا السماء، وبها مددنا الأرض، وبها ألقينا الرواسي، وبها أنبتنا النبات ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ ؟

الأصل الثالث: ألا تقرون بقدرتنا على إحداث تعاور الأضداد على الشيء الواحد في أحوال مختلفة؟

الأصل الرابع: ألا ترون بأم أعينكم قدرتنا على إحياء البلدة الميتة بالماء السماوي وتحولها إلى جنات ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ﴾ .

بهذه الأصول الأربعة تتبين قدرتنا على جمع أجزاء الناس المتناثرة المتحللة وإعادة تركيبها، وإمكانية إخراجهم من قبورهم، وإحيائهم وبعثهم ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ .

هذه الأدلة الشريفة برهان قاطع وحجة دامغة لإثبات إمكانية البعث، يستحق من كفر بها أن يتحقق فيه وعيد الله تعالى الذي تحقق فيمن سبقه من الأمم كقوم نوح وأصحاب الرس وثمود وغيرهم ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ .

ثم زد عليها **الأصل الخامس** وهو أن الإبداع الأول على غير مثال سابق أكبر وأشد من إعادة التصوير، فإعادة الخلق أهون من الإبداع الأول ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ .

المرحلة الثالثة

من لم يقنع بالحجج البينة لا ينفع معه إلا الموعظة بالترهيب. منها أن يعلم العبد أنه مراقب في كل صغيرة وكبيرة ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ ، ومنها التذكير بالموت وتصوره ومعايشته ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ ، ومنها معايشة يوم البعث وتخيله ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ ومعايشة الأحداث التي تحدث في ذاك اليوم.

المرحلة الرابعة

وهي معرفة الغاية من البعث للتأكيد على أنه لا بد من وقوعه. إن الغاية من البعث محاسبة العبد على ما قدمه من خير وشر، صغيره وكبيره. إذ لم يخلق الله الخلق عبثاً بلا قاض ولا حاكم، يظلم بعضهم بعضاً ويعتدي، فالله تعالى منزه عن هذا. بل يأتي العبد يوم القيامة يرافقه قائد له يسوقه وشهيد له أو عليه للمثول للقضاء والمحاكمة ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ . فالبعث فيه قصاص المظالم لتأخذ كل نفس حقها، وإلا كان تركهم بلا حساب ظلماً ﴿وَمَآ أَنَا۠

بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾. وفي البعث يجازى المكذب والظالم ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ ، ويثاب المؤمن والمطيع وكل من ﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾.

المرحلة الخامسة

التحذير بإهلاكهم عن بكرة أبيهم في هذه الدنيا إن لم يؤمنوا كما فعلنا بالأمم السابقة حتى يعود المكذب إلى رشده ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾ .

المرحلة السادسة:

يا رسول الله! استعن بالله ولا تستعجل لهم، واهتد بهدي الله تعالى الذي تجمل بالتأني حتى في خلق السموات والأرض فخلقهما في ستة أيام ولم يخلقهما في يوم واحد لا بسبب التعب ولكن ليعلِّم عباده التأني ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾﴾ . واستعن بالصبر وبالتواصل مع الله تعالى بالتسبيح بحمده والمواظبة على الأذكار ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾ ، واستعن بالمحافظة على الصلوات المكتوبات والنوافل والتهجد، ثم انتظر الأمر السماوي والوعيد الإلهي مع الاستمرار

بالتذكير وعدم الإكراه ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ .

هذا مقصد سورة «ق» : بيان مجد القرآن وشرفه بلاغةً وفصاحةً في عرضه للمسائل الكبارز

سورة الذاريات

إن **الوعيد الأخروي** الذي ادخرناه لهم في السماء وتوعدناهم به في القرآن

لا يأتيهم إلا بعد إنذار سماوي يسبقه.

لقد خلقنا الأجرام العلوية والآيات السماوية منذرة وجعلناها كذلك مبشرة. إنها تحمل بشارة لمن أطاع وآمن، وإنذاراً لمن عصى وأعرض، فكما فيها الرزق والرحمة فكذا فيها العذاب والنكال.

فكما أن الرياح والسحب السماوية مثقلة بالغيث النافع ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ ففيها كذلك الصواعق والرعود والبروق والعذاب والزمهرير. وكما أن الكواكب الجارية زينة للسماء فإنها كذلك تتخللها شهب حارقة ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣﴾ ، فالوعد صادق إذا تحققت موجباته والحساب واقع ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦﴾ .

إن الأجرام السماوية العظيمة المنذرة والمبشرة بالرغم من كثرتها وتنوعها وتقاطع خط سيرها إلا أنها متقنة تمام الإتقان في الصورة

الظاهرة والباطنة لا تتصادم مع بعضها في حركتها ولا في أداء مهمتها، وبالرغم من كونها جمادات إلا أنَّ كل جرم منها مهيأ لتحقيق الوعد والوعيد بإتقان بما يتوافق مع الأجرام الأخرى، وكل منها له مهام يكمل فيها مهام الأجرام الأخرى، فهي متوافقة مع بعضها متقنة من جميع الأوجه ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ .

بينما الكفار الذين جعل الله لهم عقولاً بالرغم من اتفاقهم على الهدف الإجرامي وتكالبهم على تحقيقه مع استفراغ جهدهم لذلك إلا أنهم متضاربون متناقضون متعارضون في مجابهة الحق، إنهم على باطل لذا لا يتقنون أقوالهم ولا يحسنون الجواب على الحجج النبوية القاطعة ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ ، **وهذا أحد الأسباب الموجبة لعقوبتهم.**

ومن الأسباب الموجبة للعقوبات السماوية المنذرة بالجزاء الأخروي تمسكهم بالصوارف عن الحق وإيغالهم فيها والتي تتلخص في إغلاق القلب عن معرفة الحقائق، وانتكاسه ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾، والاعتماد على الظنون والشكوك والخرص والكذب ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ ، ثم السهو والغفلة، واستبعاد الحقائق وعدم أخذها بجد، والتعامل معها باستهزاءٍ وسخريةٍ، ثم الاستعجال ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ .

أما أسباب النجاة والفوز بالرزق السماوي المبشر بالجزاء الأخروي فهي عكس ما سبق ذكره من الصوارف عن الحق. وعلى رأس هذه الأسباب التقوى، والأخذ بكل ما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ، والإحسان، والتهجد ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ ، والإنفاق في سبيل الله تعالى، والعطف على ضعفاء الأمة، والتفكر في آيات الله تعالى الكونية السماوية والأرضية، والتفكر في آيات الله تعالى في خلق الإنسان ليغاثوا حينئذ بالرزق السماوي ليكون مبشراً بالوعد الأخروي ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ .

ومن أمثلة كون الأجرام العلوية والآيات السماوية تحمل بشارة لمن أطاع وإنذاراً لمن عصى قصة إبراهيم ﷺ، إذ أتته ملائكة السماء بالبشارة بالغلام العليم ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ ، ومعهم البشارة بإهلاك قوم لوط. وكذا موسى عليه السلام عندما أتت الرياح السماوية والعواصف التي شقت البحر وجففت أرضه لتنجي موسى عليه السلام وقومه أهلكت معها فرعون وجنوده. وريح عاد العقيمة التي لم تحمل لقومه خيراً ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ ، إنما معها إهلاكهم عن بكرة أبيهم إلا هوداً عليه السلام ومن آمن معه، فكانت بشارة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين. وصاعقة ثمود التي أحرقتهم فكانت

عذاباً عليهم كانت رحمة للمؤمنين إذ أراحت المؤمنين منهم. وقد تجتمع تلك الآيات السماوية في أمة واحدة كما جمعت لقوم نوح عليه السلام فكانت بركة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ، فاحذروها .

إن هذه العقوبات السماوية **لم تكن صادرة عن خلل سماوي،** فالسماء مبنية بقوة، بل لا تزال تتسع في عظمتها وقوتها وإتقانها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ . إنما حدثت تلك الحوادث إنذاراً وبشارة من أجل أن تفروا إلى الله تعالى وتوحدوه في العبادة. فالكون والعباد ما خلقوا إلا لتحقيق عبادة الله وحده ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ .

فليحذر الكفار ما ادخرته لهم الأجرام السماوية من نصيبهم من العقوبات، فجميع ما سبق من العقوبات للأقوام المكذبة ما هو إلا بمثابة دلو سماوي من العقوبات وصورة مصغرة لما سيلحقهم يوم القيامة من العذاب الأكبر ومن الوعيد بسبب ذنوبهم ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ .

هذا مقصد سورة الذاريات أن الآيات السماوية تحمل في طياتها وعداً بالخير ووعيداً بالعقوبات المذكرة بالجزاء الأخروي.

سورة الطور

كما أن هذا الإنذار وهذه البشرى الدنيويين متحققان للفريقين، **فكذا الوعد الأخروي لهما متحقق ولابد،** لا يدفعه دافع، فهو من أثبت الثوابت بعد توحيد الله تعالى.

لذا أقسم الله عليه بأعظم المخلوقات الثوابت، فأقسم على وقوعه بأثبت ما في الأرض وهي الجبال الرواسي المثبّتة لها لاسيما إذا تخللها النبات المثبت للتربة ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ ، وأقسم عليه بالكتاب الذي يثبّت فيه العلم لاسيما اللوح المحفوظ ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢﴾ ، وأقسم عليه بالكعبة المعمورة التي هي أبرك البيوت الأرضية وأثبتها قواعد وقدسية وأقدمها بناء، ويعادلها في السماء ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾، وأقسم عليه بأثبت منهما وأعظم وهو العرش الذي استوى عليه الرحمن وهو سقف جنة الفردوس ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾ ، وأقسم عليه بأثبت المياه وأعظمها وهو البحر الذي عليه العرش، وكذا البحر إذا سجر ليؤكد وقوع البعث وهو اليوم الذي يتحقق فيه الوعد الأعظم ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨﴾ .

إن الوعد الأخروي للفريقين واقع بلا ريب، متحقق بلا دافع يدفعه، **ذلك حين تضطرب تلك الثوابت الكونية** المشاهدة بالعين ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ ، فيدفع الكفار دفعاً إلى نار جهنم ليعايشوا وعيد الله لهم، وليتهاوى معهم كل قول كانوا قد تذرعوا به ليدفعوا به صحة وعيد الله تعالى ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ . بينما يتحقق وعد الله تعالى للمتقين في أتم نعيم ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ، ويزهو باجتماعهم مع أهليهم وذرياتهم وأصحابهم فتقر بهم أعينهم، ليتجلى لهم وعد الله وبره ورحمته بهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

إن مسوغات الكفر بالوعد الأخروي لو صح واحد منها لكان لهم حجة للتكذيب به أو الاضطراب في تصديق وقوعه:

فالتفكر فيك أنت يارسول الله وفي سيرتك يأبى تكذيب ما جئت به من الوعيد ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ .

وتدبر القرآن والنظر في إعجازه يأبى الطعن في وعيده ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ .

والتفكر في خلقهم وفي خلق السموات والأرض يأبى القول بأنهم خلقوا عبثاً بلا هدف ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ

غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾ .

والإقرار بأنه سبحانه هو الذي خلق الكون يقتضي الإيمان بكل ما أخبر به. أم أنهم خلقوا الكون فأصبحوا هم الذين يقضون باستمراره وعدم فنائه؟ ﴿... أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ .

أم جعل الله تعالى لهم التصرف في الرزق والعقوبات فمنعوا إثابة المطيع وعقوبة العاصي يوم القيامة فأنكروا حينئذ تحقق الوعد الأخروي ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ۝٣٧﴾ ؟

أم استرقوا السمع من السماء فعلموا منه أن لا بعث وأنه لن يتحقق شيء من الوعد والوعيد﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾ ؟

أم لديهم دليل واحد يدل على صحة اعتقادهم ليأمنوا الوعيد ﴿فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ ؟

أم كانت البنات عندكم أفضل من البنين فاصطفى لنفسه البنات فصح بذلك اعتقادهم في الله تعالى في نسبة البنوة إليه فأَمِنوا الوعيد ﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ۝٣٩﴾ ؟

أم سبب عدم متابعتهم لك وعدم تصديقك في الوعيد أنك أثقلت

كاهلهم بطلب الأجور ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ ؟

أم هم الذي يعلمون العلم الأزلي والأبدي فيكتبون ويقدرون العقوبات والأرزاق فلم يكتبوها ولم يقدروها على أنفسهم، فعلموا حينئذٍ عدم وقوعها ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ ؟

أم خبؤوا كيداً يفاجئون به النبي ﷺ ليتخلصوا به من الوعيد ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ ؟

أم سيلجؤون إلى إله محبوب غير الله يمنع تحقق وعيد الله تعالى فيهم أو يقف نداً لله تعالى فيخلصهم منه إذا وقع ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ ؟

فذرهم في بلادتهم وغفلتهم عن الوعيد الأخروي ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ . ولا يحزنك تكذيبهم لك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ، واصبر حتى يأتي حكم الله ووعيده ﴿... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ .

هذا مقصد سورة الطور أن تحقق الوعد والوعيد الأخروي من أثبت الثوابت.

سورة النجم

إذا كان هذا الوعد الإلهي متحققاً ولابد وأنه من أثبت الثوابت فالأمر جلل. لذا على العبد **أن يبني قواعده وعقيدته في الله تعالى على العلم اليقيني والقطعيات** لا على الظنون والأوهام الكاذبة.

فكما أن المرء يتخير من النجوم النجم الثابت في السماء ليَستَدل به ويَهتَدى لاسيما في الأسفار، **فكذا على العبد أن يستدل بالثوابت والقطعيات في سيره إلى الله تعالى وفيما يعتقده فيه** ليجتنب طريق الضلال والغواية قبل أن تقوم الساعة فيضطرب الكون وتتغير هذه الثوابت وتتهاوى النجوم وهو قابع في بئر الضلال والغواية ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ .

فالأمر الذي **جاء به النبي** ﷺ **مبني** على علم يقيني وأدلة قطعية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ ، ومبني على مشاهدة بالعين صدقها القلب ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ .

بينما جميع العقائد الأخرى المخالفة له مبنية على أحكام جائرة ﴿تِلْكَ

إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ ، وعلى تخرصات، وأوهام، وظنون كاذبة، وأماني، وأهواء ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ لاسيما وأن أصل الإنسان الجهل وعدم العلم، هكذا ولد إلا ما علمه الله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ .

فإذا بنى قواعده وعقيدته على العلم القطعي الذي جاءه من الله تعالى وعمل به ارتفع قدره، وتخلص من الجهل، وترقى في المنازل العلى والمقامات الحسنى على قدر ما جمع من العلم الصحيح النافع ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ .

إن ترقية الله للعبد إلى المنازل العلى والمقامات الحسنى **مبنية على قواعد علمية** قطعية، عادلة، دقيقة، شريفة. أولها علم الله الدقيق بالشخص وبالطريق الذي اختاره وسار عليه من هداية أو ضلال. ومنها أن لا يجزيه بالسيئة إلا بعد مقارفته لها ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ . ومنها تعامله بفضله في الحسنات فيضاعفها له وتجاوزه عن الصغائر لاسيما إذا اجتنب الكبائر ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ ، وتعامله بفضله مع سيئات المؤمن بالأسباب العشرة للمغفرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ .

ومنها عدم الإثابة على الادعاءات حتى يفي بها وتصدقها أعماله ونواياه، فكم من مدعٍ يتولى بعد ادعائه ولا يعمل، وكم من مدعٍ يعمل قليلاً ثم ينقطع. ومنها أن المداوم على العمل وإن قل فدرجته أعلى ممن عمل الكثير وانقطع ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ .

ومنها عدم تحميل العبد أوزار غيره مما لم يكن له يد فيها، إنما يملك سعيه فقط، مع أخذه حقه وافياً كاملاً بلا نقص ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ . إن المنازل العلى لا ينالها إلا عالي الهمة، وعلو الهمة يحتاج إلى مداومة ومثابرة وصبر كصبر موسى عليه السلام، ووفاء كوفاء إبراهيم الخليل ﷺ وإخلاصه وحلمه، فمنزلك على قدر ذلك.

هذا يقتضي **أن يجعل العبد مصدره** في اعتقاده في الله تعالى ومعرفة العلم النافع الذي يرقيه إلى المنازل العليا والدرجات الحسنى هو الله تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ ، وذلك عن طريق رسله وما جاؤوا به من الكتب والصحف وما علم من سيرتهم ووفائهم ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ . فإلى الله ينتهي العلم، فإليه سبحانه تنتهي الأسباب والنتائج ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ ، وإليه تنتهي أسباب السعادة والشقاء ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ ، وإليه تنتهي أسباب الوفاة والشفاء وأسباب الحياة، وبيده أسباب حياة الأمم وهلاكها، وكذا لبنة بنائها وهي الأسرة المكونة من زوجين فبيده

استمرار الحياة الزوجية وانتهاؤها. وبيد الله سبحانه لبنة بناء الأسرة وهو الفرد إذ بيده نشأة الجنين الناتج عن العلاقات الزوجية، وإذا كان بيده سبحانه النشأة الأولى اقتضي أن يكون بيده النشأة الأخرى وهي البعث ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ ، وبيده أسباب الغنى والكفاف التي بها قوام الفرد، وبيده نشأة الكون والفلك وتسييره ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ **.فليؤخذ العلم من الله تعالى لا من الشركاء.**

فإذا ترك العبد العلم القطعي اليقيني الذي جاءه من الله تعالى وتعلق بالظنون والأوهام الكاذبة وبنى اعتقاده عليها فليبشر بالعقوبة المهلكة كما حصل لسلفهم عاد، وثمود، وقوم نوح وقوم لوط ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾ . لقد اقترب الهلاك واقتربت العقوبة، ولا يرفعها إلا الإذعان للقطعيات الإلهية والسجود لله وحده والخضوع له والخضوع لكل ما جاء عن الله تعالى ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾ .

هذا مقصد سورة النجم أن يبني الإنسان عقيدته ومنهجه على القطعيات والعلم الصحيح.

سورة القمر

إن الاعتقاد المبني على الظنون والأوهام الكاذبة وعلى ترك الاعتقاد بالقطعيات ستترتب عليه **عقوبات دنيوية، هذه العقوبات لا تأتي فجأة إنما تسبقها النذر والمصائب** بصورها المتعددة.

من هذه النذر ظهور أشراط الساعة المنذرة باقترابها كانشقاق القمر ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ وبعثة النبي ﷺ، وتتوالى تلك الأشراط إلى أن ينفخ في الصور ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ .

ومنها الإنذار بالمصائب التي هي صور مصغرة لعقوبات الأقوام السابقة كالإنذار بالمطر الغزير والفيضانات وانفجار البراكين وتفجر الأرض بالمياه ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾ منذرة بعقوبة كعقوبة قوم نوح ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ .

ومنها الإنذار بالرياح الشديدة والعواصف والأعاصير وريح الدبور وشدة البرودة ﴿رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ والغيوم السوداء، والإنذار بكثرة المصائب في يوم واحد منذرة بحلول عقوبة كعقوبة قوم عاد ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ .

ومنها الإنذار بقلة الماء وتعاور توفره وصياح الرعود ولمعان البروق ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١﴾ ، والإنذار بالصواعق والحرائق والزلازل منذرة بحلول عقوبة كعقوبة ثمود ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ .

ومنها الإنذار بالرياح الرملية والغبار والشهب والنيازك ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖ﴾ لاسيما تلك التي تُصبِّح الناس بكرة، وكذا الإنذار بانتشار الأوبئة المسببة لعمى العين منذرة بعقوبة كعقوبة قوم لوط ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ .

ومنها الغرق المنذر بعقوبة كعقوبة دولة الفراعنة. ومن المنذرات الهزائم في الحروب وهزائم الجيوش العظيمة هزيمة نكراء مع اكتمال قوتها وعظمتها وعددها وعتادها مذكرة بعقوبة كعقوبة جيش الفراعنة، فتراها تهزم على يد دول صغيرة ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ . ومن المنذرات تفرق الشمل، ومنها الشعور بالضيق والحيرة والضياع والعذاب القلبي الذي يضرم القلب ناراً ويسعرها.

ومن المنذرات التخويف بالعقوبة الأخروية ومعايشتها وتصورها في الأذهان ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ .

فمن لم يتذكر بهذه المنذرات فليعلم أن دمارهم ما هو إلا بكلمة إلهية واحدة تهلك الأمم عن بكرة أبيها ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ . ولكن لكل عقوبة موعد مقدَّر في اللوح المحفوظ، ولا تقع هذه العقوبات والنذر إلا بعد عنادٍ موثق مكتوب مستطر يحصي صغيره وكبيره ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ ، هذا للمجرمين.

أما من تذكر بهذه المنذرات وانتفع واتقى الله تعالى فهو في مأمن من هذه العقوبات، إنه في ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ ، جعلنا الله منهم.

هذا مقصد سورة القمر أن الله تعالى يسبق العقوبات الدنيوية بالنذر المذكرة، وأعظم النذر القرآن الكريم، لذا تكرر فيها ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ ، وتكرر فيها ذكر لفظ «النذر».

سورة الرحمن

لا يظنن العبد أن جميع ما سبق من النذر والوعيد يقتضي أن الأصل هو العقوبة، بل **إن الله تعالى قد سبقت رحمتُه غضبه**، فقد «كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش أن رحمته سبقت غضبه». ولكن الله جل في علاه أنذرهم بالنذر لأجل أن ينتبهوا إلى مصالحهم الحقيقية والسعادة التي تنشدها البشرية، فيتقلبوا في ربوع بساتينها ويستنشقوا عبير ورودها ويرتشفوا رحيق أزهارها ويقطفوا نضيد ثمارها.

إن أصل هذه السعادة قائم على التعرف على الله تعالى الذي تجمل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقائم على معايشة جماله، فهذا أعظم ما أكرم الله به عباده ورحمهم به.

لقد عرّفهم الله على نفسه باسمه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١﴾ وجللهم بثمراته من الرحمات المتنوعة، فهو أعظم اسم لله تعالى بعد اسم ﴿ٱللَّهِ﴾ . فمن ثمرات هذا الاسم أن أنزل على عباده كلامه، وهو القرآن الذي عرفنا به على نفسه فبين لنا فيه أسماءه الحسنى وصفاته العلى، وعلّمنا به دينه

وشريعته التي نتقرب بها إلى جلاله ﴿... ٱلرَّحۡمَٰنُ... ﴿٢٢﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾﴾ .

ومن رحمته أن خلق الإنسان فميزه بأن علمه البيان والفصاحة فتميز بهما عن سائر المخلوقات. ومن رحمته أن علَّمه حساب الوقت والزمن وكيفية استغلاله وإدارته ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ﴿٥﴾﴾ وهو طريق النجاح والوصول إلى الهدف والغاية للفرد والجماعة. وعلَّمه العبادة والسجود لله تعالى وحده، وهو أصل وجود البشرية وخلق الكون. وعلمه العدل وقوانينه الذي به قامت السموات والأرض وقامت الأمم والدول. ورفع السماء ووضع الأرض، فمن أقام العدل وحكم به ارتفعت نفسه فكانت سماوية، ومن طغى وضعت وذلت فكانت أرضية ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾﴾ ، كل ذلك نعم معنوية.

ومن رحمته أن أكرم الإنسان **بالنعم الحسية المادية** التي لا تعد ولا تحصى. منها أن وضع الأرض فجعلها موضعاً لراحة الإنسان لاسيما وقد جبله على النوم، فعليها يأخذ قسطه من الراحة ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ . ومن رحمته أن أكرمه فيها بكرائم النعم والطعام والزينة والروائح العبقة. ومن رحمته أن حفظه في أصل خلقه، إذ خلقه ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ بالرغم من أنه ﴿كَٱلۡفَخَّارِ﴾ إلا أنه لم تصبه النار كسائر

الفخار تكريماً له، فكرمه على الجان المخلوق من لهب نار.

ومن رحمته أن أكرمه **بالنعم السماوية** التي ينتفع بها كشروق الشمس وغروبها، واختلاف الشروق والغروب لتتحقق له منافع كثيرة ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ .

ومن رحمته أن أكرمه **بالنعم البحرية والمائية،** فخلق البحار بأنواعها وما تضمنت من منافع، ليستعذبوا ماءها وينتفعوا من حليها والتنقل فيها وغير ذلك من منافع البحار ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ ، لقد أكرمه الله تعالى بجميع أنواع النعم.

وأعظم تلك النعم على الإطلاق ما يكرم الله به عبده من الإخلاص لله تعالى، والتذلل بين يديه بسؤاله، وتوفيقه للعمل الصالح ليحظى بالنظر إلى وجه الله تعالى الذي ملئ جمالاً وجلالاً وإكراماً ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ ، فهذا أعظم من جميع النعم المخلوقة.

فمن فرط في هذه النعمة -نعمة التعرف على الله تعالى بأسمائه وصفاته والتعرف على رحمته والعمل للحظوة بالنظر إلى وجهه- فقد سلك بنفسه طريق الشقاء واختار طريق الغواية. وسيفرُغ الله له لاسيما يوم القيامة حين تنشق السماء فتكون حمراء ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ ، فيؤخذ

حينئذ ﴿بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ ، ويصلى في ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ .

بينما **من تعرف على جلاله** بأسمائه الحسنى وصفاته العلى فإنه يترقى في الملكوت الأعلى، لكلٍّ مقامه على قدر تعرفه على الله تعالى وعلى قدر معايشة جمال الله وجلاله وأسمائه وصفاته. فمنهم أهل الإحسان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ في أعلى درجات الجنان يتقلبون في أعلى درجات النعيم واللذة والفخامة، ومنهم من هم دونهم ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ .

إن جميع هذه النعم الحسية التي يتقلب فيها العبد في أعلى مراتب النعيم في الجنة **لا تعادل نعمة التعرف على اسم واحد لله تبارك وتعالى** ومعايشته لاسيما إذا ما اقترن بدخول الجنة فهذا أعظمها نعيماً وبركة ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ .

هذا مقصد سورة الرحمن أن نعمة التعرف على الله تعالى بل على اسم واحد لله تعالى لا تعادلها نعمة .

سورة الواقعة

يتحقق للعبد كمال التعرف على الله تعالى وكمال التنعم بأسمائه وصفاته وكمال الزلفى والقربى يوم يلقى الله تعالى حين يكون عن يمينه، يوم يرفع الله أقواماً ويخفض آخرين ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ ، يوم تزول زهرة الدنيا ويزول جاهها زوالاً

لا رجوع فيه، يوم ترتج الأرض وتتزلزل، يوم يتهاوى فيه الكبرياء المزعوم والعظمة الكاذبة حتى ترى الجبال الكبيرة العظيمة العالية الرفيعة تُبَس فتتفتت ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ .

حينئذٍ ينقسم الناس إلى ثلاثة أقسام مرتبة ترتيباً تنازلياً على قدر تعرفهم على الله تعالى في الدنيا وعلى قدر تنافسهم في معرفة أسمائه وصفاته والعمل بمقتضاها وعلى قدر قربهم من الله تعالى، **ليتحقق النعيم يومئذٍ على أكمل صوره والعذاب على أتم صوره.**

إن أعلى درجات النعيم يحصل عليها أولئك الذين هم أكثرهم علماً بالله تعالى وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأحسنهم عملاً

بمقتضاها، فهم أقربهم إليه وهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ . فيتمتعون بأكمل السرر حليةً ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾﴾ ، وأكمل المجالس وأمتعها ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ ، وأكمل الخدمة، وأكمل أنواع الشراب والطعام والنكاح. لقد كملت قواهم، فارتقوا إلى أعلى درجات النعيم وأعلى مقام وهو لقاء الله تعالى لقاء رضى ورحمة ومودة، ليستمتعوا بالنظر إليه وهم يتلقون منه السلام ﴿قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ في أقرب منزلة منه. هذا فضلاً عن جميع ألوان النعيم التي يتنعم بها أصحاب اليمين فالسابقون يتنعمون بها من باب أولى.

وتوجد فرصة أخرى لمن دون هؤلاء وهم ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ ، ممن يؤتون كتبهم بأيمانهم، وهم عن يمين الرحمن متنعمين بأنواع البساتين والثمار والظلال وفخامة الفرش، متمتعين بالحور بالعين بأكمل أوصاف الأنوثة ﴿عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ .

وأما ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ ممن يؤتون كتبهم بشمالهم فهم في أشقى الأحوال وأتم البؤس وأسوأ بيئة ومعيشة ﴿فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾﴾ ، ولهم أخبث الطعام وأسوأ الشراب. إنهم وقعوا في الحنث العظيم فلم يفوا بالميثاق الإلهي، فأشركوا بالله تعالى وكفروا به وبالبعث ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ .

إن أحوال الناس يومئذ أتم وأكمل من أحوالهم الدنيوية نعيماً وعذاباً .**فلماذا استبعاد هذا الأمر برمته؟**

أليست لنا القدرة المطلقة؟

ألسنا نحن الذين خلقنا المني المتضمن لمادتكم الوراثية؟ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾

ألسنا نحن الذي رقيناكم فيها أطواراً إلى أن خرجتم بصورة أكمل؟

ولكننا **قدرنا فيكم نوعاً من الضعف** وهو الموت، لننقلكم بعده إلى أطوار أخرى حتى تكتمل أحوالكم نعيماً وعذاباً. فقدرتنا المطلقة وقدرتنا على خلقكم من المني والتراب ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ إلى حالة أكمل في الدنيا دليل على قدرتنا على البعث والخلق الجديد الأقوى والأكمل ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ .

ألا ترون البذرة التي تبذرونها والتي تتضمن المادة الوراثية للنبات ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ؟ فنحن الذين نخرج منها زرعاً زاهياً جميلاً أزهى من البذرة وأقوى، وقدرنا فيه موضع ضعف وهو تحطمه وموته.

ألا ترون الماء الزلال الذي تشربونه ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ؟ ألسنا نحن الذين أنزلناه من المزن والسحب على أصفى

أحواله وأتمها بعد أن كان ملوثاً في الأرض بالأملاح والأتربة وغيرها فحَّولناه إلى أتم صورة؟ إلا أنّا قدرنا فيه موضع ضعف وهو أنه متعرض ليكون أجاجاً.

ألا ترون إلى النار المتوارية في الأغصان والصخور؟ ألم نخرجها لكم على أحسن أحوالها لتنتفعوا بها؟ إلا أنّا قدرنا فيها موضع ضعف وهو خبوتها وتواريها.

لقد قدر الله في كل منها ضعفاً **ليوقن العبد بأن الدنيا ناقصة بنعيمها وعذابها**، بينما الآخرة أتم نعيماً وعذاباً، فلا موت فيها، وإنما الخلود الأبدي.

إن جميع هذه المذكورات من مادة وراثية وتراب وماء ونار ما هي إلا أصول خلقكم وهي جميعها تحت قدرتنا. أليس الذي نقلكم فيها أطواراً إلى أحسن أحوالها وصُوَرِها في الدنيا بقادر على أن ينقلكم إلى أتم حال منها بعدما تتوارون في التراب مع وجود مادتكم الوراثية كامنة فيه؟ فسبحان من كملت عظمته ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ .

أما إذا تساءلتم **كيف السبيل للفوز بأتم النعيم** وأعلى المراتب مع السابقين أو الالتحاق بأصحاب اليمين؟

ما عليكم **إلا بذل الأسباب ودعوا الباقي لله تعالى، فهو متكفل بالأسباب غير المقدورة، ومتكفل بالنتائج.**

أرأيتم وحدة بناء الأمة وهو الفرد وهم أولادكم من أصلابكم، هل أنتم خلقتموهم؟ ما كان منكم إلا بذل الأسباب وهو الإمناء. وكذا مادة قوام الفرد وهو قُوتكم من الحبوب، لم تقوموا أنتم بزراعته وإخراجه، إنما اقتصر دوركم على بذل السبب وهو بذر الحبوب والذي يسمى بالحرث، والله تعالى هو الذي يجري تأثيرها لتحقق النتائج.

بل **إن الله تعالى** بفضله يكرمكم أموراً لا يَدَ لكم عليها، كالماء العذب الزلال الذي به قوام كل شيء حي، فإن الله تعالى ينزله لكم بفضله ولا يَدَ لكم عليه.

أما إذا علم الله فيكم سوء القصد فربما يقلبه إلى الضد، فلا يجني العبد منه شيئاً، فتتحول البساتين إلى حرائق، والمياه العذبة إلى أجاج.

بل إن الله تعالى قادر على أن يجري من الأسباب نتائج ضد ما يتوقع منها. ألا ترون إلى الأشجار الخضراء التي نشأت من الماء ومملوءة ماءً، أليست هي سبباً لإشعال النار؟ فكيف يخرج من الجسم المائي ناراً وهما متضادان؟

فما على العبد إلا بذل الأسباب، أما التوفيق إلى النتائج فبيد الله تعالى وحده.

وللحصول على التوفيق الإلهي إلى المراتب العليا ما عليك إلا أن **ترتقي همتك** إلى المعالي وإلى مواقع النجوم بقلب طاهر ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ . فشمروا للوصول إلى أعلى المواقع والمراتب. ولتكن هممكم أعلى من همم أهل الدنيا الذين يغزون الفضاء بمركباتهم وأجهزتهم للوصول إلى مواقع النجوم، ولتكن همتكم اختراق السماء للوصول إلى موقع عال فوق السموات عند اللوح المحفوظ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ .

ولن تفوزوا بذلك إلا إذا **أقبلتم بقلب طاهر، متمسكين** بأفضل الكتب السماوية، بالقرآن الكريم، المحفوظ في الكتاب المكنون عند الله تعالى ذاك الذي ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ، وهذا مقام أهل الطهارة، فمن تمسك به وعمل ارتقى إلى ذاك المقام العالي.

إنه **لا يصار إليه** بالنفاق والمداهنة والتكذيب ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ، إنما يصار إليه بالصدق مع الله والتشمير والعمل الدؤوب والصفاء والشكر والتصديق.

وإذا ما رأيت نفسك قد ارتقيت إلى النجومية **فإياك والعجب والكبر**، إذ يكفيك أن تتفكر في موعظة الموت ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ ، لتتهاوى تلك الأمراض القلبية، ولتتعرف على حقيقة نفسك.

فما هي إلا سويعات فإذا بالروح قد بلغت حلقومها، وإذا هو يودع من حوله، ويتهاوي الجاه والملك والمال والكبرياء، وتزول زهرة الدنيا، **ويظهر حينئذ نقص هذه الحياة، ليبشر بأرفع المواقع في قبره** ويوم القيامة وهي مرتبة المقربين العليا فيفوز بأتم نعيم -جعلنا الله من أهلها- ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ ، أو يبشر بالدرجة التالية لها ليكون من أصحاب اليمين. وإلا كان نزله حميماً وجحيماً، أخفض المواقع وأسفلها أعاذنا الله منها، ليعلم حينئذ نقص الدنيا وكمال الآخرة نعيماً وعذاباً، ويعلم أن الموفِّق والمعين هو الله وحده ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ الذي كملت نعمته وعظمت لكمال عظمته وجلاله. فهذه بعض الأسباب المعينة للوصول إلى النجومية والمراتب العالية.

وهذا مقصد سورة الواقعة: وهو أن الوصول إلى أعلى المواقع بأكمل الأحوال يحصل يوم البعث، يوم الواقعة.

سورة الحديد

إن من أكبر الأسباب المعينة على بلوغ تلك المنازل العليا والمراتب الجليلة هو **المسابقة في الإنفاق في سبيل الله تعالى.**

ولكن ليعلم أولاً أن الله تعالى له كمال العظمة والمجد والعزة، وله كمال الملك والتدبير للكون والعلم الدقيق بكل ما يدور، **وله كمال الغنى عن العباد وعن إنفاقهم** وعن جميع الخلق ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

أما سبب الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى فهو نشر راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» على وجه الأرض ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ﴾ ، ونصرة النبي ﷺ، ووفاءً للميثاق الإلهي، ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ .

إن الإنفاق في سبيل الله تعالى له قدر عظيم عند الله تعالى، فهو دليل الإيمان، **ولمن أنفق الأجر الكبير**، وأعظم الدرجات، والوعد الحسن. بل هو قرض يقع في يد الله تعالى فيربيه الله له ليضاعف له الجزاء ويتوالى عليه الكرم الإلهي والنور التام يوم القيامة لاسيما حين

الجواز على الصراط، ويبشر بالبشارات الكبرى منها الفوز العظيم بالجنات والنجاة من العذاب ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ .

أما الإعراض عن الإنفاق في سبيل الله تعالى فهو بذرة النفاق، وعاقبته فقدان النور يوم القيامة، وطريق الذل والهوان، وتغلق في وجهه أبواب الرحمة، وتفتح له أبواب العذاب ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ . ومن عواقبه أن يُتخلى عنه عند الحاجة وفي الحالات الحرجة، وتفتح له أبواب الفتن على مصاريعها، ويجازى بالشعور بثقل الطاعة والشكوك والانغماس في الغرور ونسيان مصالح النفس والغفلة عنها وتمكين الشياطين منه ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ . وإذا حل عليه العذاب لا تقبل منه الفدية ولو كانت أضعاف الصدقة المطلوبة ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ . ومن عواقبه أن يجزي العبد بقسوة القلب وذهاب الخشوع ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ .

أما ثمرات الإنفاق في سبيل الله تعالى فمنها ما هو قاصر على النفس، ومنها ما هو متعدٍ إلى الغير.

أما الثمرات القاصرة على نفس المتصدق فهو الأجر الجزيل المذكور سابقاً، ويثاب برقة القلب وزوال قسوته، ويرزق الخشوع، ويحيي الله قلبه كما يحيى الأرض بعد موتها، ويوفق برجاحة العقل ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ، والمضاعفة في جميع أنواع الأجور. ويحظى بالكرم الإلهي، والزيادة في الإيمان، والارتقاء إلى مرتبة الصديقية. إن الإنفاق شهادة على صدق الإيمان، ويكرم بالأنوار القلبية والحسية والمنزلة الخاصة عند الله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ .

هذه الثمرات وحدها كافية لأن يبادر العبد إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى، فبادر **واستعن بالأسباب المعينة على الإنفاق** في سبيل الله تعالى. أول هذه الأسباب الاستعانة بالله تعالى والالتصاق بجنابه، والتعرف على ثوابه، ومعرفة حقيقة الدنيا ومآلها وسرعة زوالها، والزهد فيها ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ . ومما يعين على الإنفاق كثرة المطالعة في النصوص الواردة في الترغيب بالصدقة والترهيب من تركها، واتخاذ إخوة يعينون عليها فيتسابق معهم عليها. ومما يعين على الإنفاق في سبيل الله تعالى كثرة الاستغفار فالذنوب من أكبر أسباب التثاقل عن الإنفاق، وكذا الإيمان بالقدر والصبر على المصائب واليقين بأن

الرزق مكتوب لا تنقصه النفقة ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ .

واجتنب **موانع الإنفاق** في سبيل الله تعالى، منها الشك في الدين والتربص عن الإنفاق خشية انقلاب الدائرة على المسلمين أو طلباً لذلك، ومنها صرف الأموال فيما تفتن فيه النفس من اللذات والشهوات المحرمة والمعاصي، ومنها خدعة الأطماع وطول الأمل والتسويف. ومن موانع الإنفاق الانغماس في لعب الدنيا ولهوها وزينتها ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ ، وجمعها للمفاخرة فيها والمكاثرة في المال والولد والأتباع. ومنها عدم معرفة حقيقة الدنيا والاغترار بها، ومنها الغفلة عن ثمرات الإنفاق في سبيل الله وعواقب تركه. ومن موانع الإنفاق كثرة الذنوب وضعف الإيمان بالقدر، وظنه أن النفقة تنقص الرزق المكتوب، والإمساك خوفاً من المصائب المستقبلية وتقلبات الدهر. ومنها بعض أمراض القلب كالبخل والتكبر والاختيال بكثرة المال. ومن موانع الإنفاق سوء الأصحاب والخلان ومصاحبة البخلاء ﴿... وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ .

أما ثمرات الإنفاق في سبيل الله تعالى المتعدية إلى الغير فهو نشر الرسالة الإلهية، وإقامة الكتاب والدين في الأرض وتحكيمه، وإقامة

العدل ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ . ومنها إعداد عدة الجهاد، ونصر الدعوة وتقويتها وإعزازها واستمراريتها مدة طويلة تفوق بقاء نوح عليه السلام في قومه حتى تنتقل إلى الأجيال القادمة. ومن ثمراتها المتعدية إقامة الحجة لهداية الناس كما أقام إبراهيم ﷺ الحجة في ذلك، ومن ثمراتها المتعدية بقاء دعوة التوحيد في ذرية المنفق ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ ، وتجديد دين الأمة كما جدد عيسى عليه السلام دين بني إسرائيل. ومنها تخليص الأمة ونجاتها، ونشر الرأفة والتراحم بين أفراد الأمة. ومن ثمراتها تنزل الرحمة الإلهية على المجتمع ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ ، ومضاعفة فضل الله على الأمة.

أما وجوه الإنفاق فهي في إظهار البينات وإظهار صحة القرآن وما جاء به ونشره، ونشر العدل، والإنفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي وجوه المنافع المتعددة للناس. ومنها الإنفاق في نصرة الدين، وإطالة مدة الدعوة، وفي رد الشبهات وإقامة الحجج، والإنفاق في كل ما استجد من الدعوة لتثبيتها وتصديقها، وفي تجديد دين الأمة ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ ، ومنها الإنفاق في نشر الرأفة والرحمة في المجتمع ومحاربة البدع.

وفي الختام: ليس المقصد من الإنفاق الترهب والخروج من جميع المال، ولا المطلوب الإنفاق على كل ما يُتَدثر بدثار الدين كالبدع وإن زعم الإخلاص ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ . إنما المطلوب في الإنفاق استصحاب الإخلاص فيما فيه رعاية الأمر الشرعي وفيما يحبه الله تعالى، واستصحاب الهدف وهو تقوى الله تعالى والإيمان به وبرسوله ﷺ، واستصحاب الأجر المذكور وحسنات الإنفاق ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورًا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ . وليعلم أن الإنفاق في سبيل الله كرامة، يختار الله له من اختصه لجلاله ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

هذا مقصد سورة الحديد: الإنفاق في سبيل الله تعالى، ومكانته، وسببه، ومآل الإعراض عنه، وثمراته، ومقاصده، والأسباب المعينة عليه، وموانعه، ووجوه صرفه.

سورة المجادلة

ومن الأسباب التي ترفع العبد إلى مقام الزلفى أن **يحسن اختيار من يبث إليهم نجواه وهمومه وأحزانه**، وأولاهم وأعلاهم هو الله تعالى فهو الذي يسمع نجواك ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ .

إن أفضل القرب أن تتخذ الله خليلاً، ومن أفضل الأعمال مناجاته والشكوى إليه، فإنها ترتقي بالعبد ارتقاء سريعاً إلى مقامات عليا، ويجد لها عند الله استجابة سريعة ولو كانت الشكوى من قبل أضعف الخلق يخاصم قوياً بيده زمام الأمر الظاهر.

فمن الخلق من يكون أقربهم إلى قلبك، وتبث إليه شكوى قلبك، وهو أقرب الخلق إلى نجواك وهمومك، فلا تأمن من أن يفاجئك بقطع علاقته بك وأنت في أضعف أحوالك وفي أشد الحاجة إليه، يقطعها بكلمة واحدة، كلمة كذب وزور، يريد أن يقضي بها على ربيع العلاقة السابقة معك، يقطعها بأغلظ الأيمان، كالظهار مثلاً ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ﴾ .

أما الله تعالى فهو خير الخلان، وخير من تناجيه وتبث إليه الشكوى، فقد اتصف بأكمل صفات المناجى. فهو الذي يدوم معك، ويسمعك ويبصرك، ويكون سنداً وركناً ركيناً لك، ويقتص لك مظلمتك من ظالمك، ويستجيب لك استجابة سريعة شافية تتضمن أفضل الحلول وأدومها، ويدبر لك أمورك مع علمه بما يدار حولك ويحاك لك من الكيد الخفي. فهو الشهيد الخبير البصير ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ . أحسِن اختيار من تناجي، **ولا تناج إلا من لمست فيه صفات المناجى.**

ولكن اعلم أن **للنجوى ضوابط،** فإياك وتعديها، وإلا فالعقوبة الإلهية الأليمة المهينة وفيها الكبت الإلهي .**من هذه الضوابط** عدم التناجي ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ ، وكل ما فيه إيذاء للرسول ﷺ وأتباعه وأمته والتعرض لرسالته وشريعته، وإنما التناجي بالبر والتقوى.

ومنها عدم التناجي بقصد إدخال الحزن على قلب المسلم ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ .

ومن ضوابطها أن تفسح في المجلس لمن طلب منك ذلك ليناجي من يريد مناجاته لاسيما لمناجاة العلماء، أو كان الطالب للمناجاة عالماً

فطلب منك التوسعة لآخر أو القيام من المجلس لذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ .

ومن ضوابطها عدم الإثقال على العلماء بإطالة النجوى إلى أن يطلب منك العالم الانصراف. ومنها عدم الإكثار من نجوي العلماء ﴿إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ .

أحسن اختيار من تناجي **ورتبهم حسب الأولوية،** واعلم أن أولاهم هو الله جل جلاله، ثم رسوله ﷺ ثم أهل العلم وأهل الإيمان والطاعة ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ .

واحذر من اتخاذ أعداء الله خلاناً تناجيهم وتفضي إليهم لاسيما مَنْ غضب الله عليهم، وعلى رأسهم اليهود ومن سار على نهجهم كالمنافقين ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ ، وكذا من يحلف على الكذب، ومن استحوذ عليه الشيطان، ومن كان بعيداً عن ذكر الله تعالى، وكل من حادّ الله ورسوله ولو كان أباً أو ابناً أو أخاً أو من العشيرة.

إذا التزمت بما سبق دخلت حينئذ في جملة حزب الله المخلصين ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ .

هذا مقصد سورة المجادلة: الدعوة إلى حسن اختيار من تناجي والتأدب بأدب النجوى لترتقي إلى المنازل العليا والمرتبة النجومية.

سورة الحشر

من جعل غير الله عدته وتوكل عليه وجعله ملجأً له وركنه فرّق الله عليه شمله وعذبه به ومكر به، بينما من جعل الله عدته واعتمد عليه وتوكل عليه تهاوت أمامه كل الحصون والقلاع بأيسر الطرق وأهون الأسباب، سواءً كانت حصوناً مادية أو اقتصادية أو سياسية أو بشرية أو شيطانية. فالحصون الإلهية هي الوحيدة النافعة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ . فكل من شاق الله وشاق رسوله سقط وتهاوى مهما عظم، وانقلبت عليه الوسائل والأسباب التي يتعاظم بها، وأصبحت عذاباً عليه ووبالاً ﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ .

ألم تتهاو تلك القلاع اليهودية والحصون المنيعة التي سعوا في تشييدها عقوداً من السنين، فأخذوا يخربونها بأيديهم وأيدي المؤمنين؟

ألم تتهاو معها تلك الحصون الاقتصادية التي تزودوا بها قبل الحصار النبوي وكانت تكفيهم سنين قادمة، فسقطت بأيسر الوسائل؟

إن شدة تعلقهم بالمال والاقتصاد جعل قلوبهم تحترق لأقل خسارة فيه وهو احتراق بعض الأشجار، فانهارت نفوسهم، واستسلموا بلا قتال ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ، فأصبحت أموالهم وكنوزهم التي جمعوها سنين عديدة وورثوها أصبحت فيئاً لله ولرسوله، وإرثاً لليتامى والمساكين وابن السبيل ولفقراء المسلمين وللمهاجرين والأنصار وللأمة الإسلامية جمعاء.

فمن سار في الركب الإلهي مهتدياً بالهدي النبوي عظم شأنه ولو كان ضعيفاً مستضعفاً كالمهاجرين المستضعفين، أو كان مشتتاً أمره متفرقة أحواله كالأنصار، أو لم يكن له ذكر ممن لم يولد بعد ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ .

ألم تتهاوَ تلك الحصون السياسية التي خططوا لها مع المنافقين في ميثاق الدفاع المشترك ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾ ؟ لقد تهاوت بأيسر حصار وأيسر عمل.

ألم تتهاوّ تلك الحصون البشرية من اليهود الذين تجمعوا داخل الحصن ومن ناصرهم خارجه؟

ألم تتهاوَ تلك الحصون الشيطانية وممالأة الشياطين لهم سواءً كانوا

من الإنس أو الجن؟ ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ .

لقد تبرأت منهم جميع الممالآت والحصون سواءً البشرية والشيطانية والمواثيق السياسية أمام عظمة الله تعالى، وتفرق شملهم، واشتدت الخلافات والعداوات بينهم، وأصبحتم أنتم ﴿أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم﴾ .

فالحصن الحصين هو الله تعالى وتقواه بحسن العمل، ثم النظر فيما قدم العبد لآخرته، ثم تقوى الله مرة أخرى بمراجعة النفس ومحاسبتها بعد العمل، وعدم نسيان الله تعالى. ويتحقق ذلك بالتمسك بالقرآن وتدبره والخشوع له وخشية الله وتصدع القلب لعظمته ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ . فهو الإله الأوحد، فلا يُلجأ إلا له، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُعتمد إلا عليه، ولا يُطمأن إلا له، فله كمال الملك والتصرف والقداسة والجبروت والكبرياء والعظمة، وله كمال العزة والحكمة، وله جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، فهو الذي خضع له الكون وذلت لعظمته الكائنات ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ .

وهذا مقصد سورة الحشر أن من جعل عدته وعمدته غير الله

وتوكل عليه فرق عليه شمله وتهاوت حصونه وعذب به، بينما من جعل الله تعالى وكيله وعدته نال خيري الدنيا والآخرة وجمع له شمله.

سورة الممتحنة

الولاية لله تعالى وحده، والمودة له وحده، فلا توال إلا فيه، ولا تواد إلا فيه.

أما أعداء الله تعالى فلا ترج منهم الخير وإن تظاهروا به لكم ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ ، فإنهم متى ما ظفروا بكم تنافسوا فيكم أيهم أشد تقطيعاً لكم وعداوةً لساناً ويداً .**فتبرؤوا منهم ولا تتخذوهم أولياء** ولو كانوا أرحامكم وأولادكم، ولو كانت لهم يد عليكم ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ﴾ .

فخير أسوة لكم الخليل إبراهيم ﷺ الذي تبرأ من قومه ومن دينهم، بل تبرأ من أبيه إلا في الاستغفار له الذي وعده به ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَۚ﴾ .

لعل هذه البراءة تجعل الكفار يراجعون أنفسهم لاسيما ذوي القربى وذوي الرحم، فلعلهم يسلمون بعدها فيجعل الله تعالى

حينئذٍ بينكم وبينهم مودة، فالله قادر على ذلك ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

إن المودة المنهي عنها في حق الكفار هي خالص المحبة، فهي أخلص درجات المحبة .**فعدم مودة الكفار لا يقتضي ترك محبتهم وبرهم والقسط إليهم**، فقد يحب المسلم أباه الكافر أو أمه أو زوجته ومن أحسن إليه، ولكن لا تبلغ درجة المودة، فالله تعالى يحب الإحسان إلى من أحسن إليك، فلا بأس من بره. أما الخصم الذي أظهر خصومته لكم وسعى فيها وقاتلكم وأخرجكم من دياركم فلا مودة ولا محبة ولا بر ولا موالاة ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ ، **فهذا من تمام البراءة منهم.**

وكما أنه لا ولاء للكفار سواء كانوا أولاداً أو أرحاما أو آباءً فكذا لو كانوا أزواجاً .**فمن تمام البراءة** من موالاة ومودة الكفار ممن لم يؤمن بكتاب سماوي عدم نكاحهم ومناكحتهم، وإذا كانت عقوداً سابقة فهي مفسوخة، ولكن بلا ظلم. فردوا إليهم مهور النساء المسلمات اللاتي فارقنهم بسبب هذا الحكم الإلهي، واطلبوا من الكفار مهور زوجاتكم الكافرات بعد مفارقتكم لهن. وإن قصروا في رد المهور فتقاصُّوا منهم في أقرب فرصة وأقرب غنيمة.

إن المؤمنات في مصاف الرجال الكُمّل، فهن خير من أضعافهن من الرجال الكفار، ولو كانوا آباء أو أبناء أو من أشراف الكفار. **فموالاتهن خير من موالاة وموادة أشراف الكفار**، فهن أولى بالبيعة والاستغفار لهن ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ .

فهذا مقصد سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ .

سورة الصف

أما علاقة المؤمنين ببعضهم **فيجب أن يوالي بعضهم بعضاً** ويود بعضهم بعضاً، ويتراصوا في صف واحد كالبنيان المرصوص، لاسيما في مجابهة الأعداء لينصر الله هذه الأمة.

إن من أظهر لوازم المودة والموالاة بين المؤمنين أن المؤمن إذا حدث أخاه صَدَقه، وإذا وعده وفّى، وإذا ائتمنه أدى الأمانة ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ . وأن يحرص أشد الحرص على أن لا يخذله ولا يسلمه إلى الأعداء، وأن لا يحدث في صفوف المؤمنين خللاً بأي صورة من الصور لاسيما مع القادة البررة. فإذا ما أبدينا للقادة ولغيرهم من المؤمنين قدرة واستعداداً لأمرٍ ما كالقتال مثلاً فحلَّ القتال وجب علينا أن نوفّي التزامنا معهم فنصدق حديثنا، ونوفي وعدنا، ولا نخذلهم، ولا نسلمهم، لنكون صفاً واحداً متراصاً لا خلل فيه «فالمسلم أخو المسلم لا يحقره ولا يخذله ولا يسلمه» ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾**﴾ .

ومن لوازم المودة والموالاة أن يجتنب المؤمن كل ما يؤذي إخوانه

المسلمين لاسيما أهل الحق ودعاته وقادته، ولا يؤذيهم في الحق الذي جاؤوا به وإلا أزاغ الله القلوب - عياذاً بالله ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ .

ومن لوازم الموالاة والمودة أن يتناصح المؤمنون فيما بينهم، وأن يقبل المؤمن الحق من أخيه إذا جاء به لاسيما إذا صدَّقته الأدلة والبينات، فالمؤمنون يصدِّق بعضهم بعضاً. فيصدِّق المؤمن من سبقه من أهل الخير والإيمان، ويكون سليم الصدر تجاه إخوانه السابقين واللاحقين ولا يحمل الغل لهم، ويوصي أبناءه وأتباعه بمتابعة الحق إذا وضح ومتابعة أهله أياً كان مصدره، لاسيما إذا كان الداعي رسول الله ﷺ، ويوصيهم بمتابعة من يأتي بعده من أئمة الخير والهدى بلا غل ولا حسد كما صدّق عيسى عليه السلام رسالة موسى عليه السلام ووصى بمتابعة النبي ﷺ إذا بعث ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾ ، وأن يوقر أئمة الخير والهدى، ولا يفتري عليهم ولا على دعوتهم ودينهم، ولا يظلمهم لاسيما من تحمد سيرته، ويوصي أتباعه بذلك فهذا الأمر أحمد عند الله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ .

ومن لوازم الموالاة أن يحذر المؤمن من ظلم أخيه أو إعانته على الظلم، فالظلم من أكبر أسباب تقطع الأمة وهزيمتها كما قيل «إن الله لينصر الأمة الكافرة العادلة على المسلمة الظالمة».

هذه القواعد الإيمانية في الأخوة في الله هي التي تجمع الأمة على قلب واحد **فيظهر الله حينئذ دينها وينصرها** ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ .

أيها المؤمنون! **احذروا أعداءكم الكفار** فإنهم دوماً يسعون في زرع الشقاق والفرقة بين أبناء هذه الأمة لئلا تكتمل وحدتها وقوتها فيطفأ نورها وليتسلطوا عليكم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨﴾ .

أيها المؤمنون! **عليكم بأربح تجارة** وهي التجارة مع الله تعالى بالإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله لنشر دينه، والتلاحم مع أئمة الهدى ومناصرتهم لتكونوا صفاً واحداً لنصرة هذا الدين فإما شهادة تفوزون بها بجنة عدن وإما نصر وفتح، فكونوا أنصار الله ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ ، حينئذٍ تبقى هذه الأمة منتصرة، ظاهرة على الحق، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله.

هذا مقصد سورة الصف: دعوة المؤمنين لأن يوالي بعضهم بعضاً ليكونوا صفاً واحداً لينصر الله تعالى بهم دينه.

سورة الجمعة

أيها المؤمنون! لقد أكرمكم الله تعالى بأن جعلكم من هذه الأمة الكريمة على الله تعالى، **والتي جعل لها خصائص** ملكية قدسية تفوح منها رائحة العزة والحكمة ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ .

فقد خصها الله تعالى بأفضل رسول على وجه الأرض، وسيد البشر، وأزكاهم، وإمام الأنبياء، يتلو عليهم آيات الله، ويستنبط لهم دررها، ويعلمهم شريعة الله التي ملئت حكمة .**وخصهم الله تعالى** بأحكم شريعة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ . لقد أكرم لله هذه الأمة وأكرم كل من سيلتحق بها ممن لم يجئ بعد فضلاً منه وجوداً وكرماً.

فحافظوا على هذا الاختصاص وهذه الخصائص والمنح الإلهية، وخذوا هذا الدين الذي جاء به النبي ﷺ بحق وذلك بتلاوة الآيات، والعمل بالكتاب، والعمل بالحكمة وهي السنة النبوية لتزكو قلوبكم ومعاملاتكم وأخلاقكم فيتحقق الاختصاص الإلهي فيكم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ

ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ .

ولا تكونوا كاليهود لما أكرموا بالمنح الإلهية والتوراة وهو سفر عظيم فيه الوصايا الإلهية العظيمة لم يعملوا به ولم ينتفعوا ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ ، إنما أخذوا يتغنون بأنهم أولياء الله من دون الناس اختصهم الله تعالى واختارهم على العالمين مع تفريطهم بأصل الكرامة والولاية ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦﴾ .

بل فرط اليهود بأظهر شعائر دينهم وخصائصه، ومن أظهرها العيد الأسبوعي الذي تقام فيه الشعائر الدينية فضيعوه. فاحرصوا أنتم أيها المؤمنون أشد الحرص على يوم الشعائر الأسبوعي **وهو يوم الجمعة فقد هداكم الله له وخصكم به،** ولا تتشبهوا بهم فتفرطوا فيه ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ ، ولا تجعلوا الشواغل الدنيوية والتجارة تلهيكم عنه، وعلى وجه التحديد عند النداء إلى صلاة الجمعة إلى الفراغ منها، واعلموا بأن العقود التي تعقد في الوقت المذكور من قِبَل مَنْ وجبت عليه الجمعة عقود باطلة. أما سائر اليوم فمارسوا حياتكم العادية فهذا لايناقض تعظيم يوم الجمعة يوم الشعائر الأسبوعي، فقد أكرمكم الله تعالى بأن لم يحمل عليكم إصراً كما حمل على اليهود بعدم العمل يوم السبت يوم الشعائر الأسبوعي،

ولكن أكثروا من ذكر الله تعالى في هذا اليوم المبارك ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ .

إذا كانت العقود التي تعقد عند النداء إلى صلاة الجمعة باطلة على وجه العموم مع صرف النظر من هو الخطيب وفي أي عهد من العهود، فكيف الحال إذا كان الخطيب هو النبي ﷺ، الذي هو من أعظم خصائص هذه الأمة، والذي أجهد نفسه لتعليمها وتزكيتها وتلاوة الكتاب لها والذي أجرى الله خصائص الأمة على يديه؟ هل يصلح أن يترك قائماً يخطب لينفض المصلون إلى قافلة تجارية أو صفقة مالية ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ . فلا تفرطوا بالخصائص التي أكرمكم الله بها فهذا طريق الخذلان وضياع القدر والمكانة عند الله تعالى.

هذا مقصد سورة الجمعة: هو العمل للمحافظة على الكرامات الإلهية والخصائص التي اختص الله بها هذه الأمة، لتكون أمة شامخة عزيزة.

سورة المنافقون

أيها المؤمنون! احذروا الفئة التي تسعى في طمس خصائص هذه الأمة وضياع مكانتها. تلك الفئة الخبيثة المندسة بين صفوف المؤمنين، وهم المتلونون، المنافقون.

إن أهل النفاق يسعون دوماً في زرع الشقاق وبث الفتنة وإشعال الحروب بينكم، يظهرون الإيمان والمودة والموالاة بكثرة الحلف الكاذب ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ ، **ويظهرون التأييد** والبناء للأمة بأقوالهم ويخفون هدمهم للأمة الإسلامية. لذا لا تجد منهم أدنى مساهمة فيه، فلا يعتمد عليهم، إنما هم كالخُشُب المسندة المتآكلة التي لا يُنتفع بها ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ . إنهم أجبن الخلق وأشدهم عداوة للإسلام وأهله.

من شدة حقد قادتهم وبغضهم لهذه الأمة ولنبيها وغيظهم من الإسلام وكيدهم له أنهم إذا افتضحوا وقيل لهم ﴿تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾ . بل ويسعون في تجفيف منابع الدعوة لاجتثاثها ﴿يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ لينفضّ

الناس عن الإسلام. إنهم يستغلون كل ثغرة لإذلال الإسلام وأهله ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ .

أيها المؤمنون! **قد يستعمل المنافقون وسائل أخرى لهدم الدين،** وهو تخويفكم من مستقبل أولادكم وضياع أموالكم إذا ما تابعتم النبي ﷺ وأنفقتم أموالكم وبذلتم جهدكم في سبيل الله تعالى.

ولكن اعلموا بأن ﴿للّه خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فمن أنفق لوجه الله تعالى حفظ الله له أمواله وضاعفها وبارك فيها وفي أولاده. ومن تمسك بهذا الدين وسخر أمواله وأولاده في خدمة الدعوة إلى الله تعالى فإن الله تعالى سيحفظ له مستقبل أمواله وأولاده، ويجعل لهم كمال الشرف والسؤدد والعزة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. **فاعملوا لآخرتكم** واسعوا في بنائها ولاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يبنِ الله تعالى لكم دنياكم ويبارك لكم في أخراكم.

وهذا مقصد سورة المنافقين: الحذر من فرقة المنافقين المندسة في صفوف هذه الأمة لتخذيلها واجتثاثها.

سورة التغابن

إن الله غني عنكم وعن عبادتكم وأعمالكم، فالكون كله يسبح بحمده ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ . ولا يعني ذلك أن الله تعالى

لا يحاسبكم على إعراضكم عن عبادته وعن ترك العمل بطاعته، فاحذروا **ترك العمل والتواني والكسل لأمور لا حجة لكم فيها.**

من ذلك **الاحتجاج بالقدر المكتوب** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ . إن الاحتجاج بالقدر ليس حجة للعبد ولا مسوغاً له لترك العمل، لأن هذه الكتابة لم تكن يوماً مجبرة للعبد مكرهة له ولا قاضية على إرادته واختياره، إنما كتبها الله تعالى عن خبرة وعلم غيبي وعلم أزلي بما ستعملون ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ ، والعلم الأزلي لم يكن يوماً من الأيام مجبراً لأحدٍ على أمر ما.

إن الله تعالى بعد خلقه للعبد نصب له الدلائل والطرق التي من خلالها يستطيع التوصل إلى الإيمان والعمل بمقتضاه، فـ ﴿خَلَقَ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ ، وأكرمه بأن صوره فأحسن صورته، وذكّره بأن إليه المصير، وأخبره بأنه يعلم كل شيء، وذكّره بعقوبة الأمم السابقة، وأرسل إليه الرسل يدعونه، وأنزل معهم البينات، وجعل الرسل من جنس البشر، وبيّن له غناه عنه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾ ، وأنزل له نوراً، ودعاه إلى الإيمان به، وحذره يوم الجمع، وبين له تفاصيله، ورغبه في طاعته، وحذره من الكفر به، وجعل له الإرادة والاختيار بين طريق الإيمان وطريق الكفر، فليس للعبد حجة في ترك العمل، **هذا أولها**.

ثانيها

كثرة الشواغل. فليحذر العبد من الانشغال في الدنيا فيما لا منفعة فيه في الآخرة أو في مقارفته للسيآت، وليحذر من أن يضيِّع عمره ويقتل وقته ويستنزف صحته في ذلك فيمسي مغبوناً سواءً المؤمن والكافر ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ ، فالمؤمن تظهر شدة غبنه بتقصيره وسيآته بينما الكافر بعدم إيمانه، وعند الحساب كلٌ يسعى في إلقاء اللائمة والعتب في انشغاله على الآخرين ليأخذ من حظوظهم فيثقل ميزان حسناته. فحذر الله تعالى العباد من مغبة ذلك، ورغبهم في حسن استغلال صحتهم وفراغهم لذا قال النبي ﷺ : «نعمتان

مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ». رواه البخاري

ثالثها

التذرع بتكالب المصائب وكثرتها والتي تسمى بفتنة الضراء ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ . فهناك طرق يسيرة في التعامل معها، لو سلكها العبد وأحسن التعامل معها لخفف الله تعالى عنه وطأتها ولما كانت سبباً في الكسل وترك العمل. منها أن يعلم العبد أنها لم تقع إلا بإذن الله تعالى، فهذا مما قدره الله تعالى في اللوح المحفوظ ولا بد لكم منها، والله تعالى لا يقدر إلا ما فيه الخير الكثير، «والخير بيديك والشر ليس إليك» ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ . ومنها أن تعلم أن المصائب ما هي إلا ستار يخفي خلفه كنوزاً عظيمة، فانظر كيف يمكنك أن تنتفع منها لتستخرج كنوزها المخبوءة لاسيما الكنوز الإلهية التي تزيدك قرباً من الله تعالى، فالله تعالى لم يقدرها إلا لعلمه بعظم منفعتها ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ . فعليك أن تسلك الطرق الصحيحة في التعامل مع المصائب لاسيما الطرق التي فيها طاعة الله وطاعة رسوله، والتوكل على الله تعالى، وتجتنب الطرق التي يبغضها الله تعالى ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ .

رابعها

التذرع بالأزواج والأولاد والأموال والتي تسمى بفتنة السراء ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ . فعلى العبد أن يحسن التعامل معها بحذر، وعدم التجاوب مع كل مزالقها، والعفو عنهم والصفح والستر والمغفرة، ومراقبة الله تعالى وطاعته وتقواه في التعامل معهم، بل عليه أن يحثهم على طاعة الله تعالى، ويستخدمهم في نشر دينه بدلاً من أن يشغلوه عن طاعة الله وعن دينه ويكونوا سبباً في توانيه وكسله، ويجعلهم وسيلة يتقرب بهم إلى الله تعالى لا العكس، ويؤدي حقوقهم، وييسر عليهم بالإنفاق، مع الحذر من شح النفس وبخس الحقوق وأن لا يؤدي ذلك إلى تضييع حقوق الله تعالى. وعلى العبد أن يحتسب الأجر في كل نفقة ينفقها عليهم ويحلم في التعامل معهم ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ .

فالله تعالى مطلع عليكم وعلى أعمالكم، ويعلم مدى التزامكم بطاعته، ولا يخفى عليه توانيكم وأسباب ترككم طاعته **ومدى صحة الحجج التي تتذرعون بها لتبرير كسلكم** ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ ، **وهذا مقصد سورة التغابن.**

سورة الطلاق

أيها المؤمنون! إن التحذير من الافتتان بالأزواج والأولاد لا يعني تضييعهم، فإن لبنة بناء الأمة هي الأسرة، فاحذروا تفتيتها. فإذا هدمت الأسرة وتمزقت تمزقت حينئذ الأمة، وإذا تآلفت الأسرة تآلف المجتمع وقوي بناؤه .**وإن أظهر أسباب هدم الأسرة الطلاق.**

لذا جعل الإسلام للطلاق ضوابط قبل وقوعه وبعد وقوعه. فلو روعيت ضوابطه الشرعية قبل وقوعه لما وقع، أو لقلَّت نسبته. فعلى سبيل المثال «توقيته»، فلو روعي فيه أنه لا يحل للزوج تطليق زوجته في زمن حيضها الذي تكثر فيه المشاكل الزوجية وأنه لا يحل طلاقها في طهر مسها فيه تقديراً لها واحتراماً للصلة التي تمت بينهما فيه وانتظر إلى الطهر الجديد لنُسِيَتْ المشاكل ورجعت الأمور إلى مجاريها ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ .

وكذا لو روعيت فيه **الضوابط الشرعية بعد وقوعه** لرجعت الحياة الزوجية مرة أخرى. من ذلك على سبيل المثال عدم إخراجها من بيت الزوج في الطلاق الرجعي، فهو أدعى لرجوعهما إلى بعضهما

والمصافاة بدلاً من أن تقسو قلوبهما إذا خرجت واعتدت في بيت أهلها ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ .

ومن ضوابطه الشرعية منح الزوجات حقوقهن وعدم ظلمهن. فليحذر الأزواج من ظلم الزوجات واستضعافهن ومنعهن حقوقهن، لاسيما عند اشتداد الخلاف ووقوع الطلاق الرجعي. إذ يشعر الزوج أن أمور زوجته كلها بيده فيظلمها ويتلاعب في أمورها فتراه يطلقها، ثم يؤذيها خلال فترة العدة، ثم يرجعها بقصد إذلالها وهو غير راغب فيها وهي غير راغبة فيه.

ومن ظلمها أنه ربما يطلقها إلى أن تنتهي عدتها ولا يُعلِم أحداً بطلاقها ولا يُشهد عليه، لتبقى معلقة فيضرها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ . فالله تعالى ناصرها إذا اتقته وتوكلت عليه ﴿... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ .

ومن ضوابطه إطالة مدة العدة إطالة غير مضرة بالزوجين والتي تُقارب ثلاثة أشهر أو أكثر لاسيما للحامل لعل النفوس تطيب خلالها ويرجع الزوجان إلى بعضهما، وإذا اتقى الزوجان ربهما يسر الله أمورهما ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ .

ومن ضوابط الطلاق أن يسكنها فترة عدتها الرجعية وينفق عليها ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ ، ولا يظلم ولدهما في نفقته ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ .

فعلى الزوج أن يتقي الله وليحذر من ظلم الزوجة ويحذر عاقبته، فإن الله تعالى أباد أمماً وأهلكها عن بكرة أبيها لما ظلمت، ألا يهلك الزوج الفرد إذا ما ظلم زوجته ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨﴾ .

فتمسكوا بالضوابط الشرعية في العلاقات الزوجية والطلاق، وأطيعوا الله تعالى

ورسوله ﷺ تنعموا وتسعدوا في الدارين وترزقوا أحسن الرزق ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ . فهو سبحانه الذي دبر أمور السموات السبع العظام والأرضين السبع بما فيها من مخلوقات، وأدار شؤونها على أكمل وجه، ألا يستطيع أن يدير شؤون الأسرة على أكمل الوجوه بالأحكام الشرعية التي ينزلها إليكم؟!

فخذوا بالوصايا الإلهية العليا التي نزلت متدرجة لتدير شؤونكم، خذوها ممن كمل علمه وكملت قدرته على التدبير وإدارة شئون العباد

لتحافظوا على الأسرة لبنة بناء الأمة، لتنشأ أمة قوية البناء ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

هذا مقصد سورة الطلاق: المحافظة على الحياة الزوجية بمنح الزوجات حقوقهن سواءً طلقن أم لم يطلقن.

سورة التحريم

لتستقيم الأسرة وتستقر فعلى الزوجات أن **يحسنّ التعامل مع الأزواج** ويتقين الله فيهم.

ولتحذر الزوجات من إيذاء الزوج إلى أن يضطرنه إلى أن يحرم على نفسه ما أباحه الله له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ ، وليحذرن من إفشاءِ سرِّه، أو المكر به، أو المظاهرة عليه لاسيما إذا كان صالحاً، وعلى رأس الصالحين سيد الأزواج رسول الله ﷺ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ .

فالزوج سيد الأسرة، فإذا سقط تهاوت الأسرة وتفتتت، فإبدال زوجات خيرٍ منهن حينئذ أمر يسير على الله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ .

إن الزوج قيم على زوجته وإن آذته، فلا يمنَعَنَّه عنادُ زوجاته له وإيذاؤهن له ومظاهرتهن عليه من الاستمرار في القيام على زوجاته بالتوجيه والحث على تقوى الله تعالى، حتى لو استدعى الأمر الغلظة عليهن، ولو وجد من ذلك عنتاً من قبلهن فلعلهن يرجعن ولو بعد

حين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ . فاليوم يقبل فيه الاعتذار، أما غداً فلا يقبل الاعتذار ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ والغلظة يومئذٍ أشد، إنما هي أعمالهن يحصيها الله لهن.

أيتها الزوجات! تُبن إلى الله تعالى توبة نصوحاً، ولازمن تقوى الله تعالى، واحذرن الخزي يوم القيامة، وتجنبنه بطاعة الله تعالى ورسوله، ثم بطاعة الأزواج لتفزن بالفوز الإلهي ومعية النبي ﷺ ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ .

إنه لا ينبغي للزوجة أن تحتمي إلا بتقوى الله، فصلاح زوجها إذا فسدت لا يمنع حلول عقوبة الله تعالى عليها كامرأة نوح وامرأة لوط. كما أنه لا يضرها فجوره إذا صلحت كامرأة فرعون، فالميزان هو قنوتها وصلاح عملها وعفتها ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ .

هذا مقصد سورة التحريم: وهو تحذير الزوجات من إيذاء الزوج.

سورة الملك

إن جميع العباد من رجال ونساء وقادة وأفراد ومسلمين وكفار **ينبغي عليهم التأمل والتفكر وأن يكون لهم بعد نظر**، فينظروا إلى ما وراء الأحداث ليحصل لهم تصور واسع شامل يتجاوز الأحداث الظاهرة.

عليهم التفكر في المقاصد التي من أجلها خلق الله الخلق وبثهم في هذه الحياة وقدر الله فيها المقادير، فكلها خيرات وبركة. عليهم التفكر لماذا قدر الله الموت على الخلق ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ .

على كل عبد أن يتفكر في الآيات والعقليات الصحيحة ودلالاتها ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ .**عليه أن يتفكر** في النصوص الشرعية وهي السمعيات التي تجعل المتفكر يتجاوز في فكره إلى ما وراء هذه الحياة وإلى سبب استقرار هذا الكون .**عليه أن يتفكر ويتساءل**: ما هو الأصل الذي قام عليه هذا الكون والذي من أجله خُلق؟ قبل أن يتحسر قائلاً

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .

عليه أن يتجاوز في النظر إلى السماء، ثم إلى الكون، ثم يتفكر في سبب التغيرات السماوية والأرضية التي تحدث فيه .**عليه أن يمشي** في مناكب الأرض فيمر على الأطلال وآثار الأمم ليتجاوز في تفكيره إلى الأسباب التي انتهت بهم إلى هذه النهاية، وإلى إهلاكهم بالخسف والشهب والحاصب بعدما كانوا مستقرين فيها ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ، بينما المخلوقات الضعيفة الخفيفة جعل الله تعالى لها استقراراً وعلواً في السماء فرفعتهم رحمة الله تعالى وأحاطت بهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ .

على العبد أن لا يقف عند النعم ويغتر بها ويعمى عما وراءها، بل عليه أن يتفكر فيما وراءها، ماذا لو توقفت عنه هذه النعم وأُمْسِكت عنه؟ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾.

ماذا لو انتكس عقله؟ ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)﴾ .

ليتفكر في خلقه وفي أعضائه وفي حواسه، لماذا أُكرم بها؟ ماذا لو سلبت منه؟

ليتفكر لماذا تكاثر البشر وانتشروا في أرجاء الأرض؟ مَنْ وراء ذلك؟ وما الحكمة؟

فلا يكن نظر العبد قصيراً فيقف عند العناد والتحدي، ويسبق لسانُه عقلَه كقول بعضهم لما ذكِّروا وأنذروا ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ ؟

ليتفكر! ماذا لو اختل الأصل المادي لبقاء الإنسان في الأرض وهو الماء مع غفلة الناس عنه؟ ماذا سيحصل لأهل الأرض؟ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾ ؟

هذا مقصد سورة تبارك: وهو دعوة لأن يكون للعبد بعد نظر، وينظر ما وراء الأحداث، ويتأمل في الأسباب والنتائج ولا يقف عندها.

سورة القلم

إذا ما اتسعت مدارك الإنسان واكتمل عقله غلب عليه حينئذ الحلم الذي هو سيد الأخلاق .**فتخلق أيها العبد بأكمل الأخلاق** وأعلاها وأشرفها وامتثل بسيد البشر الذي شهد له الله تعالى بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ .

ولا تقابل سفاسف أخلاقهم بمثلها، لاسيما إذا ما اتهمت باتهامات باطلة وافتراءات وأكاذيب فيها استفزاز وبهتان .**فمن سفاسف الأخلاق** اتهام العقلاء بالجنون وتكذيب الصادقين، والمداهنة، والحلف الكاذب على أهون الأمور ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ ، والهمز والنميمة، ومنع الخير، والاعتداء الآثم، والغلظة والفحش واللؤم، والاستهانة بالحق وبالأشراف القائمين عليه والتعدي عليهم بالعظائم ومجادلتهم بالباطل ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ ، فعاقبة هذه السفاسف الذل والخزي ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ .

لتسمو أخلاقك تجنب سوء النوايا، والبخل، ومنع الناس

حقوقهم التي أوجبها الله تعالى والتآمر على ذلك كأنك القاسم للأرزاق ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ٢٤﴾، وتجنب الظلم والطغيان، فكل أولئك عاقبته الحرمان والخسران في الدارين ﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٢٧﴾ .

أين صاحب مكارم الأخلاق من ذي السفاسف والإجرام؟ ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤﴾ ؟ إن العبد المسلم ذا الأخلاق السامية ليبلغ بخلقه درجة صائم النهار قائم الليل، ويظهر ذلك جلياً يوم القيامة يوم يكشف ربنا عن ساقه فيخر له المسلمون بالسجود إلا من اتصف بسفاسف الأخلاق لاسيما في تعامله مع الله تعالى فساء خلقه معه فجعل له شريكاً أو قابل رسالته بالتكذيب. والأظلم والأطغى المنافق الذي هو أسوأ الناس خلقاً، إذ يبقى ظهره طبقاً واحداً لا يستطيع السجود ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢﴾ .

لا تستبطئ سوء عاقبة سيئ الخلق في الدنيا فإنما نستدرجهم ونملي لهم ونمهلهم ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ ، ولا تنافسهم على دنياهم فإنه يزري بالعبد، وتذرع بالصبر فإنه من خير الأخلاق، ولا تتركهم وتدع دعوتهم لسوء أخلاقهم إلا إذا أذن الله لك ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ ، فاستمر في دعوتهم ولا تيأس.

وتجنب الحسد والنظرة وهي الإصابة بالعين، واعلم بأن شرهم من خبثت نفسه وروحه فتمنى زوال نعمة الآخرين وسعى في ذلك ولو بنظرة ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ .

وهذا مقصد سورة القلم: الدعوة إلى الاتصاف بالخلق العظيم وتجنب سفاسفه ليكون لك ذكراً عالياً في الدنيا والآخرة ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ .

سورة الحاقة

الويل لمن تعمد مخالفة أمرنا، **فأقوالنا ووعدنا ووعيدنا حق، وأمرنا جد وحزم، لا هزل فيه ولا تسامح، ولا هوادة ولا لين، فلا ترى فيه إلا الحسم والجزم، والسرعة والصرامة، وشدة العقوبة**، فإذا طغوا حق عليهم وعيدنا فأهلكناهم ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾.

قد نحسم أمرهم في يوم واحد، وقد نحسمه في سبع ليال وثمانية أيام تصديقاً لوعدنا، فيمن تعمد الخطأ وعصى أنبياءنا، فما هي إلا ﴿أَخۡذَةً رَّابِيَةً﴾ شديدة ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨﴾؟ أما من أطاعنا فإنا نحمله وننجيه ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾.

هذا وعدنا الأول في الدنيا، أما وعدنا الثاني العام **فإنه يحسم بنفخة واحدة**، فتقع الواقعة، وتُدك الأرض والجبال دكة واحدة ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ۝١٨﴾.

ولشدة ما يرى المؤمن من الأهوال والصرامة والحزم يظن أنه لا ينجو، فإذا أخذ كتابه بيمينه وتيقن أنه قد نجا تَنَهَّد تنهُّد المتعب المثقل

صائحاً ﴿... هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ .

أما أترف المترفين وأغنى الأغنياء وأعظم ملوك الأرض الفجرة إذا ما أوتي كتابه بشماله فإنه لما يراه من الجد وشدة العقوبة وشدة الأهوال الحاسمة فإنه يتنهد تنهد الأنثى يندب حاله ﴿... يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾ . فلا هزل ولا تسامح ولا هوادة ولا لين لمن كفر بالله تعالى، إنما الصرامة والحسم والحزم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ ، مما يصيبه باستطلاق البطن ليكون طعامه غسالة البطن ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦﴾ .

فالدين الذي جئنا به واضح جلي ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣﴾ ، **فالويل لمن كذب به**، والويل لمن تقوّل علينا أو تقوّل على رسولنا فادعى بأنه شاعر أو كاهن. بل ولشدة صرامتنا وحزمنا أن الرسول الكريم سيد البشر ﷺ ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾ ، ولا يمنعه منا أحد، فكيف بمصير من كذب بآياتنا التي هي ﴿حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ .

هذه حقائق عن الإله العظيم لا تنازل فيها ولا تسامح، فعظّمه حق التعظيم ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ ، **هذا مقصد سورة الحاقة.**

سورة المعارج

إياكم والانسياق خلف خطرات النفس وهواها وطبائعها إذ يغلب عليها قصر النظر، والعجلة وعدم التأني والتروي، وعدم تقدير الأمور على حقيقتها، **فأغلبها نفوس أرضية سفلية.**

وأوضح مثال لذلك **أنك تراها** لا تعمل لتجنب الخطر الجلل الواقع الذي ليس له دافع، ذاك اليوم الذي تفزع فيه المخلوقات العظمى وتهابه ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ **.لقد طبعت النفوس** على التعلق بالعاجل وعدم الصبر على الآجل، لذا تراها تُسَوِّف في الخطر الآجل البعيد ولو كان جللاً ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ .

ومن طبيعتها حب الذات، والإجرام، وتقلب أحوالها، والتنكر للقريب، والجري خلف الشهوات لاسيما المحرمة منها، وعند اشتداد الأحوال تراها تُضَحِّي بالحميم والبنين والصاحبة والإخوان والقبيلة الذين لهم فضل كبير عليه من أجل تحقيق مصلحة خاصة ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ .

ومن طبائعها الانفعال، وسرعة الإدبار والتولي، والجمع والمنع والشح، والهلع والجزع، والتقلب والاضطراب ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ .

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ **فإن أرواحهم سماوية علوية**، دائمة العروج إلى الله تعالى كعروج الملائكة، تحوم حول العرش، متصلة بجناب الله تعالى، مستقرة، دائمة الوصال ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ . نفوسهم كريمة سخية، رحيمة رؤوفة، تعمل للتآلف والاجتماع والتراحم والتواد، تؤدي للناس حقوقهم، غير معجبة بنفسها، مشفقة من عذاب ربها، لا تأمن مكر الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ .

إنها تتميز بالعفة والعفاف، تحفظ الأمانة وتراعي العهد، ولا تتنكر لصاحب الجميل ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ . إنها دائمة الاستقرار، تتميز بالثبات، لا تتقلب ولا تنفعل، شاهدة بالحق ولو كان الثمن الدنيوي باهظاً وعلى حسابها ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ . إنها تستحق الكرامة، إنها نفوس ثابتة مطمئنة خيرّة محافظة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ .

أين هذه النفوس من تلك النفوس العجلة الهاطعة، المتقلبة

المتشائمة، المتفرقة، التي لا توقر الكرام، وتتميز بالطمع، وتعيش في الأوهام، مع حقارتها ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ، إنها تستحق التبديل.

إنها نفوس تفني عمرها باللعب والخوض في السفاسف، وتتميز بالغفلة حتى تفاجأ بالحدث الجلل فتصاب بالهلع فتسقط وتنهار ﴿... يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ . فإياكم والجري وراء هوى النفس والاستجابة لخطراتها وعدم عقلها فإنه مهلك، فعلى المرء أن يعقلها بدعوة التوحيد فإنها منجاة.

هذا مقصد سورة المعارج: دعوة للعروج بالنفس عن الطبائع الأرضية السفلية لتصبح سماوية علوية.

سورة نوح

إن دعوة التوحيد تتطلب العمل الدؤوب لدعوة الناس وتربية النفوس المتقلبة. إنها تتطلب الجرأة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصح ﴿... يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ باستخدام الترغيب والترهيب، والاستمرار ﴿إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾ ، والصبر والإصرار، والجهر والإسرار.

إن الأسلوب وطريقة الدعوة تختلف باختلاف النفوس. فمنها من يصلح لها الإسرار، وأخرى يصلح لها الجهر والإعلان. ومنها من يصلح أن تُدعى بالترغيب بالخيرات والنعيم الدنيوي ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ﴾ ، وأخرى بالمروءات ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤﴾ ، وأخرى بالنظر في الأدلة والحجج والتفكر، وأخرى باستخدام العلم الحديث ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ۝١٥﴾ ، وأخرى بالتذكير بالآيات والكرائم الإلهية ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧﴾ ، وأخرى من يصلح لها التذكير بالموت، وأخرى بالعجائب.

استمرِ في الدعوة ولو قوبلت بالإعراض، والفرار، والإصرار، والاستكبار، والعصيان، والمكر العظيم، والتواصي بالباطل ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ . استمر في الدعوة ولو ازداد ضلالهم وفجورهم وكفرهم وتكاثروا على ذلك.

فما عليك إلا أن تبذل السبب في الدعوة إلى الله تعالى، واحتضان المؤمنين، ورد الجميل لأصحابه ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ، وابتهل إلى الله وتضرع إليه بالدعاء وأكثر من الاستغفار ثم دع الأمور لنا فنحن نتولاها ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ .

هذا مقصد سورة نوح أن دعوة الناس إلى التوحيد تتطلب بذل الوسع والعمل الدؤوب والاستمرار وعدم السآمة والتنويع في أساليب الدعوة.

سورة الجن

إذا بذلتم كل ما في وسعكم في الدعوة إلى الله تعالى سخر الله لكم من لا يخطر على قلوبكم من الأمم والمخلوقات ليؤمنوا بدعوتكم، **وستجدون استجابة غير متوقعة.**

لقد استجاب للنبي ﷺ من لم يخطر على قلبه ممن لم يرهم، وليسوا من بلده، ولا من جنسه، وهم الجن الذين وفدوا إليه من مكان بعيد ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ .

بل تأصل في قلوبهم من الإيمان العميق والتوحيد والتعظيم لله تعالى والعلم النافع؛ وتبين لهم من سفاهة الشرك وخطأ اغترارهم بالسادة والرؤساء ومن معرفة المبطلين ومعرفة مداخلهم ما لم يكن في الحسبان ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ .

بل **وظهر فرحهم** وسرورهم لما وجدوا في دعوة التوحيد إجابة شافية للأسئلة التي كانت تراودهم والظنون التي كانت تساورهم كرؤية مقدمات وأمور عظيمة لا يعلمون تفسيرها وعظمتها ﴿وَأَنَّا

لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ .

بل وظهر منهم الأدب الجم مع الله تعالى ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ فلم ينسبوا الشر إلى الله تأدباً، بينما نسبوا الخير إليه سبحانه. وظهر منهم معرفة درجات الصلاح، ومعرفة ضعفهم وكمال قوة الله تعالى، ومعرفة فضل التوكل عليه وسعة الرجاء، وإحسان الظن بالله تعالى، ومعرفة أصناف الناس من دعوة التوحيد ومآل كل صنف ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ .

يتحقق ذلك للداعي إلى دعوة التوحيد ما دام موحداً لله تعالى في شؤونه، مخلصاً لجلاله ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ ، مستمراً في دعوته ولو كان وحده، ومهما تكالب عليه الأعداء. ولكن عليه أن يلزم منهج التوحيد، ويظهر ضعفه أمام عظمة الله تعالى، وأن يتبرأ من حول نفسه وقوتها، ويعزو الأمور كلها لله تعالى مع استمراره في البلاغ ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ .

حينئذ يُكثر الله عدد أتباعه، ويقوى عدته، ويُعلي شأنه ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾ . فكما حفظ الله دينه عند نزول جبريل به من السماء مصحوباً بعدد هائل من الملائكة من بين يديه ومن خلفه ورصده حتى يتمم للنبي ﷺ إبلاغ دينه للعالم ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾ فكذا يحفظ الداعي إلى الله تعالى ويحفظ له دينه ويحقق له أضعاف ما يرجوه .

هذا مقصد سورة الجن أن من اجتهد في الدعوة إلى الله تعالى فإن الله تعالى سيتكفل بإيصالها إلى أمم لا تستطيع أنت الوصول إليها، وسيستجيب لدعوتك من لا يخطر على قلبك.

سورة المزمل

إن الدعوة إلى الله تعالى وبيان الحق للمدعوين أمر ليس سهلاً، بل ستجد فيه مجابهة شديدة عنيفة ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ ، **لذا فإنها تتطلب الالتصاق بجناب الله تعالى وتدريب القلب والجوارح وتربيتهما تربية إيمانية** لِتُعان عليها ولِتغذي قلبك، فلا تقتصر على تغذية قلوب الآخرين وتنسى قلبك.

فاستعن على الدعوة إلى الله بترك الراحة والانتصاب لجلاله وقيام الليل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ ، وترتيل القرآن وتدبره واستخراج كنوزه الثقيلة، لاسيما في التهجد آخر الليل. واستعن بذكر اسم الله تعالى وبذل ما في وسعك في التواصل مع الله تعالى والانقطاع إليه والإخلاص له وأن تكون جميع أعمالك في خدمة دعوة التوحيد ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ . واستعن بالله تعالى والتوكل عليه، والصبر على أذى الكفار، والحلم عنهم، والهجر الجميل، وتفويض أمرهم إلى الله تعالى، والتأني بهم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ .

سيثمر ذلك في صدرك التحرر والانشراح والسعة والنعيم ما تقر به عينك، وبعدها لا تعترضك مصيبة ولا غصة إلا ورأيت لها حلاً ومساغاً وسهولة ويسراً وسعادة، ولا تضطرب بك الأمور، ولا ترجف بك الأحوال ولا تهولك الأهوال، ولا يتشتت شملك، بل تجد أمورك منضبطة متماسكة وقلبك آمناً مطمئناً. بعكس ما سيلقاه الكفار من القيود والأنكال والضيق، والجحيم، وتعسر الأمور والغصة فيها ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ ، والرجفة واضطراب أمورهم، وعدم انضباطها، وعدم تماسكها وتناثرها تناثر الكثيب المهيل، كما سيكابدون تلك الأهوال يوم القيامة حين تتحول الجبال الثقيلة إلى كثيب مهيل استجابة لحقائق القرآن الثقيلة، إنها أثقل من الجبال الرواسي ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا (١٤)﴾ .

فاستمر في القيام بدعوة التوحيد والتقرب إلى الله تعالى **فستكون أنت** موضع الثقة، وستكون أنت الشاهد الذي تُقبل شهادته عند الله ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ ، وكذا أتباع النبي ﷺ هم الشهود الثقات عند الله تعالى فإن لهم وزناً ثقيلاً لثقل ما يحملونه من القرآن. بينما أعداؤك لا وزن لهم عند الله تعالى وسيُهلكهم الله تعالى وسيأخذهم أخذاً ثقيلاً شديداً رديء العاقبة ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾

. وسيرفع الله عنكم في الدنيا والآخرة الهموم والأحزان لاسيما هموم الآخرة التي يشيب لها الولِدان وتنفطر فيها السماوات ما دامت قلوبكم منفطرة لعظمة الله تعالى كما انفطرت لعظمته السماء، بعكس عدوكم.

إن الله تعالى يعلم سعيكم في التقرب إليه ولا يخفى عليه بذلكم ابتغاء وجهه ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ فسيُيَسِر لكم كل عسير، ويرفع عنكم كل ثقيل، وسيتجاوز عما لا تقدرون عليه من الأعمال والطاعات، وسيرفع عنكم الحرج والمشقة فيها لاسيما حين المرض والسفر والجهاد وفي غيرها من المشاق.

فاحرصوا على نشر دعوة التوحيد بما تيسر لكم من الأسباب وأوجدوا لكم مجموعة إيمانية تتذاكرون فيما بينكم وتتواصون فيها على قيام الليل وقراءة القرآن والجهاد، واستعينوا بالصلاة والزكاة والصدقة المستحبة فإنها برهان، وبجميع أنواع الخير لتتيسر لكم الأمور ويبارك لكم في دعوتكم إلى الله تعالى، وتتحقق مقاصدكم وتتضاعف لكم ثمرات أعمالكم. ثم جَلِلُوهَا بالاستغفار عن تقصيركم وعما لا تقدرون عليه ليتكفل الله لكم بستر القبيح وإظهار الجميل، وتتغشاكم الرحمة الإلهية ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

هذا مقصد سورة المزمل: استعن بعمارة قلبك حال انطلاقك في الدعوة إلى الله تعالى.

سورة المدثر

ياعبد الله! أيها الداعي إلى الله تعالى! أيها المتدثر بالنعم الكثيرة العظيمة المتأصلة فيك ولك! **احذر العجب بالنفس!**

إنما دأبك طاعة سيدك ومولاك والعمل لتحقيق كمال الذل والعبودية له ودعوة الناس إليه. فالكمال لله وحده، والكبرياء له وحده، فعظمه وكبره، وطهر قلبك لله تعالى، طهره من الآفات والعجب ومن رؤية النفس، طهر نفسك له ظاهراً وباطناً ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ .

فإياك والشعور بالكمال وعدم التقصير، **وإياك وأن تعجب بكثرة عملك** فترى نفسك أنك أرفع من أن تصاب بالمصائب فتتبرم مما تلاقيه ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾، فميزان العبد ليس بالكثرة.

إن الميزان عند الله تعالى ليس بكثرة المميزات التي ينفرد بها الشخص عن الناس فيكون وحيداً بينهم متميزاً ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ ، ولا بكثرة المال، ولا بكثرة الأبناء، ولا بالسيادة في القوم وكثرة الأتباع، فما أولئك إلا مدعاة للإدبار والاستكبار

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾﴾ . فقد تجتمع كل هذه الكثرة في شخص واحد ومع ذلك لا وزن له عند الله تعالى ويصار به إلى سقر ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ .

فالميزان الإلهي وقدر العبد عند الله تعالى ليس بالكثرة والكم، إنما بما يحمل قلبه من عبودية لله تعالى وتقواه.

أليست جهنم مملوءة بمئات الملايين من الجن والإنس؟

كم عدد القائمين على هذه الكثرة الكاثرة من حصب جهنم؟ فقط تسعة عشر!

ولكن مَن هؤلاء القائمون عليها؟ إنهم ملائكة مقربون، لا يعصون الله ما أمرهم ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ ، **فالميزان عند الله ليس بالكم** ﴿وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ﴾ .

ألا ترى هذا القمر الواحد؟ أليس إذا طلع أضاء بنوره الليل البهيم الذي غطى هذه الأرض الكبيرة التي هي أكبر حجماً من القمر؟

ألا ترى هذه الشمس الواحدة البعيدة كل البعد عن الأرض؟ أليس بشروقها يُدبر الليل، وتُسفر بنورها عن كل شيء في الأرض والذي يبلغ عدده الملايين المضاعفة؟ **فقدر الشيء** عندنا ليس بالكثرة

وإنما بما يتضمنه.

فكذا هذه النذارة والرسالة الإلهية لما تحتويه من نفائس ونور فإنها تُشرق الأرض وتُسفرها، وتقضي على الظلام المسيطر عليها، وبها تحيى قلوب الملايين لما تتضمنه من الدعوة إلى تعظيم الله تعالى وتقواه وعبوديته وحده ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ .

إن من استجاب لهذه الرسالة وفاز بالتقوى وقوة الإيمان هو المدلل، فلا نرهنه بما كسب ولو كان في الدنيا أشعث أغبر فقيراً ذا طمرين لا سيادة له ولا أتباع؛ تسد في وجهه الأبواب ولا يجد من يشفع له ولا تقبل شفاعته، بل سيكون عن يمين الله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ .

عكس ذاك المجرم المترف، المتميز في قومه، السيد، كثير المال والولد والأتباع، الذي خلا قلبه من توحيد الله تعالى، المتكبر الذي أبى أن يحني رأسه لله تعالى فأبى أن يصلي ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ ، قاسي القلب، الذي لا يلين قلبه لذكر الله تعالى ولا للمساكين ويتقذر منهم، ولا يرضى إلا بمجالسة الكبراء وأصحاب اللهو وقد تكالب حوله المحبون، فحاله عندنا كالحمار

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾
لا تنفعه يومئذٍ الكثرة الكاثرة من الشافعين، إنما الذي ينفعه التقوى ونوع العمل الذي عمله من صلاة مع المصلين وإطعام مسكين وعدم الخوض في الباطل والتصديق بيوم الدين.

فالميزان عند الله تعالى ليس بالكثرة ولا بالكم، وإنما بما يتضمنه. **ألا ترى جموع الحمر الوحشية** الكثيرة كيف تفر من أسدٍ واحدٍ قوي القلب؟ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ .

بعد هذا، أيظن كل من جمعنا له ظاهر الدنيا أنه بلغ عندنا مبلغاً وأصبح أهلاً لأن نكرمه بالرسالة؟ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ . إنما نُكرم من امتلأ قلبه بتقوى الله تعالى والخوف منه فقوي إيمانه، ولازمه الشعور بالتقصير فداوم على طلب المغفرة، ونكرم بالهداية من سعى باحثاً عن الحق وعمن يذكره به ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ .

فالميزان عند الله تعالى ليس بكثرة المميزات ولا بكثرة العدد ولا بكثرة العمل، ولا بكبر الحجم ولا الكم، فلا تعجب بذلك. إنما الميزان هو تقوى الله تعالى ﴿ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ ، **هذا مقصد سورة المدثر: فعليك دوماً بلوم النفس ومحاسبتها.**

سورة القيامة

أيها المؤمن! أكثر من لوم نفسك ومحاسبتها ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾، **واحذر الأسباب التي تمنعك من لومها.**

إن من الأسباب المانعة من لوم النفس ومحاسبتها عدم الإيمان باليوم الذي فيه يبعث الناس وفيه يحاسبون على جرائمهم وخطيئاتهم ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾ ، فمن أمن العقوبة أساء الأدب، ومن أمن العقوبة والحساب لم يلم نفسه فيزداد فجوراً ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾ . ومنها غلبة الهوى وحب الفجور. ومنها استبطاء حلول يوم القيامة وإن آمن به، فمن استبطأ شيئاً سوّف فيه ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾ .

ومن الأسباب المانعة من محاسبة النفس ولومها إعذار النفس والبحث لها عن مخارج والتحجج لها ﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ ، أوعدم الإنصاف في محاسبتها وعدم الحزم معها وإن لامها وحاسبها ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾﴾ ، فالإنسان ليس «بصيراً» على نفسه البصر الذي هو بقوة الذكور، وإنما بصره على نفسه فيه ضعف، بصر

بقوة الإناث ﴿بَصِيرَةٍ﴾ ، فتراه يغض الطرف عن أخطاء نفسه.

ومن الأسباب المانعة من لوم النفس العجلة التي هي من غرائزه، فتراه يؤثر العاجل على الآجل ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ وإن كانت الثمرة العاجلة قليلة النفع وعاقبتها الخسران، إلا أنه يغيب فيها عن لوم نفسه وعما ينتظره في الآجل فيسوّف فيها ويؤثر العاجل.

إن **ثواب** لوم النفس ومحاسبتها عظيم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ، وعقوبة عدم لومها أليمة شديدة عظيمة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ ، ويصاحبها خوف دائم واكتئاب.

إن لوم النفس متحقق للإنسان ولا بد، فإذا لم يلم نفسه في الدنيا فإنه سيلومها ويتحسر غاية الحسرة عند الاحتضار ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ ، وسيلومها في الحياة البرزخية بعد ما يقبر ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ ، ويلومها إذا بعث يوم القيامة لاسيما عند الحساب ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ ، فيتحسر في المراحل الثلاث على إيثاره العاجل على الآجل وعلى تسويفه في فعل الخيرات وتمطيه في ترك المنكرات ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ .

إنها دعوة لمراجعة النفس ومحاسبتها ولومها .**فليتفكر الإنسان!**

هل يظن أنه يجرم ويظلم فيترك بلا حساب؟

أيحسب أنه يمارس الشهوات المحرمة كالزنا وغيره ويلقى نطفته في موضع محرم ولا يحاسب؟ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ ؟

أيظن أنه خلق عبثاً بلا هدف ولا مقصد ولا حساب؟ ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾﴾ ؟

فلا يَستبعد الإنسان أن يبعث بعد موته ويحاسب، فإن من كان قادراً على خلقه من نطفة ثم علقة ثم جعله إنساناً سوياً قادر على أن يحييه بعد موته لمحاسبته، ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ ؟

فليستعد الإنسان لذلك اليوم بلوم نفسه ومحاسبتها، وهذا مقصد سورة القيامة. فالزم الإخلاص في محاسبتها ولومها قبل كل عمل وبعده.

سورة الإنسان

إن الإنسان لم يكن شيئاً يُذْكر ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ ، **إنما يرفع ذكرَه إخلاصُه لله تعالى فهو الذي يُبقي أثره ويحفظ عمله.**

فالله تعالى لما خلق الإنسان خلقه من نطفة ذكرية **مخلوطة وممزوجة** بنطفة أنثوية ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ ، **وكذلك مزجت فيها بواعث** الخير ببواعث الشر ليختبره الله ويبتليه، فهما يتصارعان. فبين الله له طريق الخير وطريق الشر ومآل كل منهما ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ ، **وبين له أن نجاته ودرجته على قدر إخلاصه.** فمن عدم الإخلاص وكان كافراً فمآله الخزي والسعير والأغلال، ومن كان باراً مخلصاً عابداً لله تعالى وحده فمآله الذكرالحسن والنعيم في الجنان.

لكن العاملين المخلصين درجتان: درجة الأبرار ودرجة عباد الله. فإذا مزج الإخلاص بالشوائب نزلت المرتبة، ومزج نعيمها، وكان من الأبرار. ومن كانت محبته لله تعالى خالصة نقية من الشوائب ظاهراً

وباطناً استقى من العين المعين الخالصة، وكان من عباد الله الذين بلغوا أعلى مراتب الحب بأعلى مراتب الذل ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عيناً يشرب بها عباد الله﴾. فجميعهم يشرب من خمر الكافور الذي يتفاوت تركيزه بتفاوت الإخلاص. إنه شراب يبرد الجسد، ورائحته عطرة فواحة باردة، ومذاقه البارد يخفف من آثار حرارة الشوق والمحبة ويحلق في سمائها.

يتميز المخلص في كلا الدرجتين بأنه وفيّ لمحبوبه، خائف وجل من شر يوم تعبس فيه الوجوه، ليِّن القلب، مخمومه، رحيم ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ ، يقدم محاب الله تعالى على محابه، يبيع دنياه ليفوز بنظرة واحدة إلى وجه الله تعالى، لا يرجو من الناس مقابل خدمتهم نوالاً ولا جزاءاً ولا شكوراً ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ . فجوزوا بالنظر إلى وجهه الكريم والنضارة الخارجية والسرور القلبي، فكان الجزاء من جنس العمل، فجزاء وفائهم أن وفّى الله لهم وعده.

فلما تميزوا به من الخوف من الله تعالى والصبر على مشاق الدنيا وأشواكها وبذلوا الجهد فيه جوزوا بكمال النعيم والنعومة والراحة ظاهراً وباطناً، وجوزوا بنعومة الحرير وبراحة الاستلقاء والاتكاء مع جمال المنظر في جو خلا من حرارة الشمس ومن البرودة

المزعجة. إذ جوزوا على حرارة الخوف بالبرودة التي تنتج عن دنو الظلال وغياب الشمس ولكن لا تصل إلى الزمهرير ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا﴾.

ولما تميزوا به من قيامهم بإطعام المحتاجين لاسيما في الليالي شديدة البرودة وطوافهم عليهم، جوزوا بأن يطاف عليهم بالآنية ويسقون كؤوس الخمر المناسبة لهذه البرودة، مع عدم الكلفة في تحديد المقدار المطلوب، بل يقدم لكل منهم شراب بقدر كفايته ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ .

لقد جوزوا بالبرودة الخارجية التي تذكر بالمحبوب وتثير الشوق إليه بحثاً عن الدفء في جواره وقربه مع الاستمتاع بشرب كأس خمر الزنجبيل المناسب لهذه البرودة في إناء يجمع بين صفاء الزجاج ونقاوته وبريقه ورقته وشفوفه من جهة وبين بياض الفضة من جهة أخرى ﴿قوارير من فضة﴾ **لما تميزوا به من اجتماع** تلك الصفات في قلوبهم رقة وصفاءً وبياضاً وبريقاً.

وعلى قدر الصفاء ونقاوة الحب والإخلاص تعلو الرتبة، وعلى قدر المزج فيها تقل ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

ولحضورهم مجالس المساكين واليتامى والأسرى والتصاقهم بهم لوجه الله تعالى جوزوا بخدمة الولدان المخلدين لهم وبالنعيم والملك الكبير وفخامة الثياب واللباس والحلي ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ ، وجللوا بالحضرة الإلهية ومجاورته والالتصاق بجنابه.

وجزاهم على **سقايتهم الضعفاء** وإطعامهم إياهم خالصاً لوجه الله تعالى بأن سقاهم الله تعالى في حضرته شراباً طهوراً ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ .

وعلى قدر حسن قصد العبد وإخلاصه لله تعالى يفوز بكثرة النظر إلى الملك الكبير، إلى الله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ . **ولما** لم يطلبوا جزاءً ولا شكوراً من الناس جزاهم الله بنفسه وشكرهم ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ .

إن مما يتميز به المخلصون الإخلاص في الطاعة، فلا يطيعون إلا من يعينهم على فعل ما يحبه الله وترك ما يبغضه والصبر على ما قدره الله تعالى. ويتميزون بعدم طاعة من يطلب منهم التنازل والمداهنة في توحيد الله تعالى وفي الإخلاص له ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ .

ومما يتميز به المحبون المخلصون الإكثار من الأعمال الخفية الخالصة التي لا يطلع عليها الناس. منها كثرة الذكر لاسيما أوقات

غفلة الناس؛ بكرة قبل بدء العمل اليومي وأصيلاً بعد الانتهاء منه ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ . ومنها التملق بين يديه ليلاً ساعة خلود الناس إلى الراحة والنوم ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ . ومما يتميز به المحبون المخلصون التأني وعدم الاستعجال في قطف الثمار وعدم إيثار العاجل الفاني على الآجل الباقي، بعكس الكفار ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ .

إن مما يعين على الإخلاص النظر إلى ثمراته. فبالإضافة إلى ما سبق ذكره من الثمرات وهو الثواب الذي ينتظر المخلصين فالإخلاص كذلك يخفف ثقل أهوال الوفاة حين حضور الأجل، ويخفف سكرات الموت، ويخفف ثقل الأهوال المستقبلية، ويخفف ثقل اليوم الآخر ﴿يَوۡمًا ثَقِيلًا﴾ . ومن ثمراته أنه يبقي ذكر العامل ويخلِّده.

إن **عدم الإخلاص** لا يبقي أثراً للإنسان. وإذا لم يبق له أثر فإن وجوده وعدمه سواءً، لذا فهو لا يستحق الوجود ويستحق التبديل ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾ . فالفائز والمخلد من بدأت حياته ونطفته بإخلاص المحبة لله تعالى وانتهت بها.

فما هذا إلا تذكرةً للعاقل وبياناً للسائل. فمن رام الإخلاص فليسأله ممن بيده المشيئة التامة والرحمة العامة ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي

رَحْمَتِهِۦٓ﴾ ، ولينتفع بالمذكرات التي تذكره وتعينه على الإخلاص لله تعالى.

هذا مقصد سورة الإنسان: البيان بأن الإخلاص هو الذي يجعل للإنسان شأناً في الدنيا والآخرة وهو الذي يبقي أثره ويحفظ عمله، وبيان درجات المخلصين ومميزاتهم..

سورة المرسلات

لقد جعل الله تعالى للعباد مذكرات متنوعة تذكرهم بتوحيده والإخلاص له، وتحذرهم من الإعراض عنه، وتنذرهم بالعقوبات الإلهية.

من هذه المذكرات الأحوال الطبيعية التي أنعم الله بها عليهم فتعايشوا فيها وتعارفوا عليها وتقلبوا في خيراتها لما فيها من الخير الكثير لهم، فإن لم يتذكروا بها تحولت إلى عواصف ونقمة ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢﴾ تفرق شملهم وتقطع أحوالهم لعلهم يعيدون النظر فيتذكرون. لقد جعل الله هذه المذكرات منذرات، تقيم الأعذار على المعاندين وتنذر المتقين ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾ .

ولكن هذه المذكرات ليست دائمة، إذ جعل الله لها حداً مؤقتاً فاصلاً تنتهي إليه. إذ الأمور لا تنتظم إلا إذا جُعِل لها حد وميزان وقدر معلوم ووقت تنتهي إليه ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾ .

وهذه التأقيتات والحدود ثلاثة أنواع:

أولها: الوقت العام لجميع الخلق وهو قيام الساعة وخراب الدنيا ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾ استعداداً ليوم الفصل ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ ، وهذا اليوم له مقدمات عاصفة مفرقة، فهذا الحد العام لجميع الخلق تنتهي فيه جميع المذكرات.

ثانيها: الوقت الخاص بكل أمة على حدة وهو يوم هلاكها تنتهي فيه المذكرات الخاصة بها ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ . إن إهلاك الأمم السابقة مقدمة ومذكرة ومنذرة لإهلاك من يكذب من الأمم بعدها ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ ، فهذا الحد الخاص بالأمة.

ثالثها: الوقت الخاص بكل فرد سواء كان جنيناً قبل ولادته وبعد ولادته ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ . لقد جعلنا لتخليق النطفة التي تتطور في مراحل التطور الجنيني حدّاً معلوماً تنتهي فيه المرحلة الجنينية فيولد فيه الجنين، وهذا يحتاج إلى شكر، وهذا الشكر له موعد نهائي كذلك وإلا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ . وكذا جعلنا له بعد ولادته حدّاً خاصاً به تنتهي عنده المذكرات والمنذرات الخاصة به والذي ينتهي

بموته ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ .

بل جعلنا لكل نعمة حداً مؤقتاً ويوماً يجب أن يؤخدى شكرها قبله، فإذا انتهى الحد المؤقت ولم يؤد شكرها ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ . فالحياة والموت وبقاء الأرض لها موعد نهائي، وثبات الجبال الرواسي لها موعد نهائي تنسف فيه ولها مقدمات وهي زلزالها، وكذا نزول الماء العذب الزلال له موعد نهائي تذهب فيه عذوبته بل يجف. فجعلنا لهذه الأمور الحياتية قدراً معلوماً تتطلب شكراً قبله وإلا زالت تلك النعم وعوقب صاحبها ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ .

إن الوقت المحدد الجامع لانتهاء جميع الأعذار وتنتهي إليه جميع المؤقتات الثلاثة من قيام الساعة وهلاك الأمم والوفاة ويتحقق فيه الجزاء العام الشامل لجميع الأنواع من الثواب والعقاب هو يوم الفصل ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ . هذا اليوم الذي لا يستطيع فيه المجرم أن يستظل فيه ليختفي ولا تخفف عنه أهواله ولا شدة حره ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ ، ولا يستطيع أن يعتذر فيه فقد انتهى وقت الإعذار فلا تقبل فيه الأعذار ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ، ولا يستطيع فيه أن يكيد ليتخلص من العقوبة.

بينما من انتفع بالمذكرات قبل انتهاء وقتها فإنه يتقلب في أتم نعيم ﴿ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ .

فلا يغرنك ما تراه من تمتع من لم ينتفع بالأعذار المؤقتة فمتاعه قليل إذ له حدّ يعاقب بعده، وكذا من لم يخضع لشريعتنا فله حد مؤقت. لقد جمعنا للعباد جميع المذكرات والمنذرات والتي جعلنا لها وقتاً محدداً لإقامة العذر والإنذار. منها التذكير بالعواصف والكوارث، والتذكير بالساعة ومقدماتها، وبإرسال الرسل، وبإهلاك الأمم السابقة، وتطور مراحل الإنسان من نطفة إلى جنين إلى حياة إلى موت، ثم بالآيات الأرضية من حمل الأرض لهم واتساعها لجميع الأحياء والأموات، والزلازل، ونقص المياه، والوعيد بالنار، والتهديد بالحساب، وعدم قبول الأعذار يومئذٍ، والترغيب بالجنة للمتقين وشدة الحسرة على الكافرين، وسرعة زوال المتاع القليل الذي يعايشونه. فإذا لم يتذكروا بهذه المذكرات المؤقتة بهذه التأقيتات ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ .

هذا مقصد سورة المرسلات أن المذكرات الإلهية لها وقت محدد تنتهي إليه.

سورة النبأ

لقد جعل الله تعالى هذه المذكرات المؤقتة تذكر بأمر عظيم، بأمر جلل وهو توحيد الله تعالى وعبادته وحده، بينما هم يتناولونه باستخفاف ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ .

فمن أجل هذا التوحيد خلق الله هذا الكون العظيم على أكمل الوجوه وأحسنها وأتمها وأنفعها، ولأجله أتم خلق الأرض بتذليل المهاد، وتثبيتها بالجبال، ولأجله أتم خلق الإنسان بأنواعه المختلفة ﴿وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ ، ولأجله يسرت أموره فسخر له الكون على أكمل وجه، وأراحه بالنوم بغاية الانقطاع كالسبات، وستره بالليل كستر اللباس، وجعل له النهار ليقتات فيه لمعاشه.

ولأجل تحقيق هذا الأمر العظيم وهو توحيد الله تعالى خلق الله السموات في غاية الشدة والحفظ، والشمس بغاية الإضاءة، والسحب بغاية الامتلاء بالماء، والغيث ينصبُّ ثجاً، والبساتين أشجارها ملتفة تمام الالتفاف ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥

وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾﴾ .

فإذا خلت الأرض من التوحيد فإن هذا الكون المتقن سيهدم وسيصيبه الخراب أتم الخراب في يوم مؤقت محدد من أجل محاسبتكم على هذا التوحيد ومدى التزامكم به ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ .

ومن أجل هذا الأمر العظيم رصدت جهنم أتم الرصد ليخلد فيها الطاغون المكذبون أزماناً متتالية بلا انقطاع ﴿أَحۡقَابًا﴾ ، ليعذبوا فيها أشد أنواع العذاب بلا برد ولا شراب إلا شراباً في غاية الحرارة وأتمها ولونه في غاية السواد كغسق الليل. فالجزاء من جنس العمل: أعظم العقوبة من أجل إيغالهم في التكذيب بأعظم الأمور وهو التوحيد ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ .

ومن أجل التوحيد خلقت الجنة، ليتنعم فيها المؤمنون بهذا الأمر العظيم أتم النعيم ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ ، يتنعمون بمساحاتٍ شاسعة، ومفاوز في الجنان، مع كمال الالتذاذ بالأزواج، وكؤوسٍ بكمال الامتلاء وتمام السعادة، وعطاءٍ بكمال الاكتفاء حتى يقول المؤمن: حسبي حسبي ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ .

ولعظم أمر التوحيد سيجمع لأجله الخلق، ويقف لأجله الملائكة العظام بسيدهم جبريل عليه السلام في صف واحد ثم سائر الخلق هيبة لله

تعالى، لا يتكلم أحد ولا يشفع إلا من شهد في دنياه بهذا الأمر العظيم وهو التوحيد، ليؤذن له حينئذ بالكلام والشفاعة ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ .

وسيعلم الكافر حينئذ حق العلم عظم هذا النبأ لعظم ما يرى من الأهوال، فيتحسر أشد الحسرة صائحاً يهتف نادماً ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾، لقد غرته هذه الحياة الدنيا القصيرة عن هذا الأمر العظيم.

وهذا مقصد سورة النبأ أن الكون قائم على توحيد الله تعالى وعبادته وحده، وحوله تدور الأمور.

سورة النازعات

اعلموا أن **الحياة الدنيا قصيرة والساعة قريبة،** فليسارع العبد للتمسك بهذا النبأ العظيم قبل قيام ساعته.

فالساعة الخاصة بالفرد قريبة، تحق بنزع الروح. وهذه الروح إما أن تكون فاجرة في دنياها غارقة في شهواتها فتراها عند النزع غارقة في الجسد، أو نشطة في دنياها سابحة سابقة إلى رضوان ربها فتراها نشطة سابقة عند نزع الروح ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ .

أما الساعة العامة للخلق فهي كذلك قريبة، قربها مفاجئ مرعب، وأحداثها ونفخاتها الثلاث متتابعة سريعة ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ .

لقد خسر من اغتر بمتاع الدنيا وركن إليه وتكبر فيها، فمتاع الدنيا وإن عظم وعظم فيه الملك كملك فرعون القائل ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ **فمداه قصير، والملك فيه سريع الزوال** ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥﴾ .

بل الدنيا بأكملها والكون بأركانه وإن عظم بناؤه وما يحويه من سماوات مبنية مرفوعة مسموكة متقنة تتعاور فيها الأحوال وما فيه من أرض مدحوة جميلة ثابتة متزنة تغر ساكنها **فخرابه سريع**، ودماره أيسر من بنائه ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ .

حينئذ تتوالى الذكريات سريعة إلى مخيلته والتي **لا ينتفع منها** إلّا من سارع وسعى سعياً جميلاً مصحوباً بالخوف من مقام ربه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ .

فلا يستبعد المرء ساعته ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ فيوم الفصل قريب، وحياته قصيرة، ومدتها كقِصَر فترة العشي، وإن شئت أن تطيلها فهي كفترة الضحى، فلا تغتر بها ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ . فعلام يغتر العبد فيها ويتكبر؟

هذا مقصد سورة النازعات أن الحياة قصيرة والساعة قريبة.

سورة عبس

علام يتكبر العبد؟

وعلام يتعالى على دعوة التوحيد؟

وعلام تتوجه أنظار الدعاة إلى أهل الشرف والغنى الزائل من الكفار المتكبرين المعاندين المستغنين عن هذه الدعوة؟ بينما يتجاهلون ضعفاء المؤمنين الساعين في خشية الله، الذين ينشدون تزكية قلوبهم فيتولون عنهم! ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ .

إن شرف الإنسان ومنزلته وكرامته وطهارته على قدر طهارة قلبه وخشيته من الله تعالى، وعلى قدر إيمانه بالكتاب المنزل وتمسكه بالصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ . فعلام تتوجه أنظار الدعاة إلى المتكبرين؟

علام يتكبر الإنسان؟

أليس أصله نطفة مذرة تتردد بين السبيلين ثم تنتهي بالقبر؟ ﴿ثُمَّ

ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ .

أليس هو ميّتاً مقبوراً منشوراً لا يستطيع الحيدة عن هذا الطريق؟ ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾

أليس هو محكوماً بالقدر؟ أليست المصائب المقدرة عليه حالّة عليه ولابد؟ ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ .

أليست حياته قائمة على الافتقار والاحتياج إلى الغير في كل شئونه؟ ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾﴾ ؟

أليست حاله في هذا الأمر كحال الأنعام ﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾ ؟ فعلام يتكبر؟

علام يتكبر الإنسان؟

ما هي إلا صيحة وصرخة عظيمة تكاد تصم الآذان لشدتها فترى هذا المرء المتكبر الذي يتظاهر بكمال المروءة يفرُ فرار الفأر، فتراه يفر ﴿... مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ وقد اخترمت مروءته.

بينما المؤمنون طالبو الزكاة الساعون في خشية الله تعالى لاسيما

الضعفاء منهم المتمسكون بالكتاب المطهر المكرم المنزل من الله تعالى ترى وجوههم طاهرة ﴿... مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ ، تستقبل أرحامها ضاحكة لتشفع لهم، محسنة الظن بربها، يعلوها البشر لتبشر أرحامها.

أما تلك الوجوه الناعمة في الدنيا المترفة المستكبرة على كتاب الله المطهر تراها مكفهرة، قد تهاوى كبرها، يعلوها الغبار والظلمة والسواد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ .

فعلام يتكبر العبد عن الإيمان بكتاب الله المطهر؟

هذا مقصد سورة عبس: علام يتكبر العبد.

سورة التكوير

إن هذا الكتاب المطهّر المنزل عليك من الله تعالى ليس سحراً إنما هو كلام الله تعالى. فالسّحر يخِّيل للأعين ما ليس بحقيقة، بينما كتاب الله تعالى يخبر بالحقائق التي ستراها الأعين ولم تتصورها الأذهان ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ ، **هذا أولاً**.

ثانياً: السحر قائم على الظلم. بينما حقائق القرآن والقواعد الإلهية قائمة على العدل، فلا تجمع بين مختلفين، ولا تفرق بين متماثلين، بل تؤلف بين الأصناف المتماثلة وتجمعها في الدنيا والآخرة ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ .

ثالثاً: كلام الله تعالى يرفع المظالم لاسيما عن المستضعفين ولو كانوا صغاراً ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ ويحقه بالأدلة والشهود ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ ، بينما السحر لا يعتمد دليلاً ولا يرفع ظلماً.

رابعاً: السحر مفسد، يفرق بين الأزواج والأرحام، ويفرق بين أصحاب الطبائع المتقاربة والمتماثلة، بينما حقائق القرآن تؤلف بينهم

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ .

خامساً: السحر يفسد ويسبب القتل وسفك الدماء حتى بين الأقارب، بينما حقائق القرآن تُصْلح وتأمر بالقصاص ومحاسبة القاتل المفسد ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩﴾ .

سادساً: السحر قائم على الطي والعقد والإفساد خفية، بينما حقائق القرآن تكشف وتظهر وتجلي الأمور وتزيل الحجب والستور ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ .

سابعاً: السحر يذهب بالعقل ويعطل وظائفه ويغلقه، بينما حقائق القرآن تجعل العقل يقوم بوظائفه على أتمها، من ذلك تقوية الذاكرة واستحضارها ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾ . فالقرآن ليس سحراً كما يزعم الكفار.

إن جميع الأخبار الغيبية المذكورة في القرآن وبالأخص في هذه السورة حقائق قطعية **وليست تنجيماً** يستقى علمه من النجوم والكواكب السيارة التي يصيبها الضعف من خَنْس فكَنْس ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ .

وإن حقائق القرآن **ليست كهانة** صادرة عن سجع الكهان، إنما هي

رسالة الله تعالى جاءت بأتم بلاغة وأفصح بيان وأحسن نظم ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ ، فهي صادرة عن علم إلهي، **بلّغه رسول كريم** سيد الملائكة، قوي مكين مطاع، حافظ للأمانة ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾﴾ .

لقد بلّغه أخصَّ الناس بكم، وأكرمَكم، ممن صحبتموه فعرفتموه وخبرتموه ووثقتم به، فإن اتهمتموه فقد اتهمتم أنفسكم إذ الصاحب ساحب. إنه بريئ من الجنون، بل أوفر الناس عقلاً وأكملهم قوة في البدن، يرى بقوة بصره وبصيرته حقائق لا ترونها ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ ، وله قوة علمية بأن أطلعه الله تعالى على بعض الغيب، وعنده قوة أمانة فلا يضن ولا يكتم علماً ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ ، ومتصف بكمال الصدق فلا يُتهم ولا يُظن به ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ .

إن هذا القرآن **ليس من إلقاء الشياطين** كما تفعله مع الشعراء وغيرهم، بل ذكر للعالم أجمع ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ . فهو كلام الله تعالى الذي يرجع إليه شؤون الكون، ويدبر جميع أموركم صغيرها وكبيرها، فله كمال الأمر والنهي وإليه يرجع التقدير والمشيئة والاختيار ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ .

هذا مقصد سورة التكوير أن القرآن ليس سحراً ولا تنجيماً ولا كهانة ولا جنوناً ولا قولاً لشيطان، إنما كلام الله تعالى، نزل به رسول كريم، على رسول كريم، ذكراً للعالمين. فخذ حقائقه بقوة، ولا تغرنك الدنيا عن حقائق القرآن فتخسر أتم الخسارة.

سورة الانفطار

أيها العبد!

كيف تغرك هذه الدنيا؟

أَغَرَّك جمال سمائها؟ فإنها ستنفطر.

أم غرك زينة كواكبها؟ فإنها ستنتثر.

أم غرتك بحارها ومحيطاتها؟ فإنها ستنفجر.

أم غرتك أرضها؟ فإنك ستقبر فيها ثم تتبعثر وتبعث منها.

كيف خدعتك هذه الدنيا وزينتها وبهرجتها **وغرتك أمانيها حتى جهلتكَ** بربك ذي الجلال والإكرام فتجرأت عليه فارتكبت القبائح في حقه؟ ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ .

ستذوق مرارة هذا التجاهل إذا تبعثرت من قبرك، حينئذ ستستحضر جرائمك وجميع ما كنت تقترفه في دنياك الخادعة وتعلم كم كنت مغروراً حين تجاهلت عظمة ربك ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ

وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾ .

كيف تجاهلت عظمته وكبرياءه وشرفه وجلاله وقدره وهو الذي أوجدك وجعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة وأحسن صورتك؟ ولو شاء لجعلك في صورة البهائم أو في صورة أرذل الخلق ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ .

إن الذي جعلك تتجاهل عظمة ربك وجرَّأك عليه وجعلك تقترف الجرائم هو تكذيبك بالبعث والحساب يوم القيامة إما تكذيباً قولياً أو تكذيباً عملياً ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ ، ولو آمنت بالبعث والحساب والجزاء لما خدعتك دنياك وجهّلتك بربك ولما جعلتك تتجرأ عليه.

إن هذا الغرور والتجاهل وهذه الجرأة وما ترتب عليه من **جرائم مكتوب محفوظ** من قبل ملائكة كرام لا يزيدون شيئاً ولا ينقصون، بل يتابعونك في كل صغيرة وكبيرة، لاسيما فجورك هذا فإنهم ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ . وستجد في صحيفتك جميع الجرائم التي استحضرتها حينئذ، بل وجرائم نسيتها وهي محفوظة مكتوبة.

أما العبد البار الذي لم يُغَر بربه ولم يتجاهل عظمته ولم تخدعه دنياه ولم تغره الأماني فهو يومئذٍ في نعيم، وأما الآخر الذي تجاهل عظمة ربه

فغابت عنه ولم يستحضرها فلن يغيب عن النار ولن تتجاهله الجحيم ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ .

أما إنك **لو علمت عظمة العقوبة** والأهوال في هذا اليوم على الحقيقة وأن الذي يحكم حينئذ هو الله وحده لا معقب لحكمه لعظمت ربك ولما غرتك زينة الدنيا وخدعتك حتى تجاهلت ربك ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ .

إنه لن يخلصك من عقوبة ربك إلا تعظيمك لله وعبادته وحده وعدم الغرور به وعدم تجاهله. فعظم ربك حق التعظيم، ولا تطفف بحقوقه.

هذا مقصد سورة الانفطار: التحذير من الغرور بالله تعالى.

سورة المطففين

إن الجهل بالله تعالى والجرأة على مقامه سبحانه جرياً خلف غرور الدنيا ولهثاً وراء زينتها وخداعها يقتضي الجرأة على الناس والتعالي عليهم وتطفيف ميزانهم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ .

ترى المطفف يستوفي منهم حقه وزيادة بالرغم من أنه لا وزن له عندهم ويبخسهم حقوقهم سواءً الحقوق المادية أو المعنوية، معرضاً عن يوم استيفاء الحقوق إذا ما قام بين يدي رب العالمين قيام المتهم في صحيفة السجناء ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ . فاحذروا التطفيف، فإن أسماء المطففين مكتوبة مرقومة عند الله تعالى.

إن أعظم أنواع التطفيف التطفيف المعنوي وهو الفجور في الحكم على الآخرين والمبالغة فيه، والاستخفاف بحجج الأشراف الباهرة وردها بالسفاهة والتكذيب بها ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ .

إن **كل تطفيف ينكت** في القلب نكتة سوداء، وقَدر النكتة السوداء على قدر تطفيفه، إلى أن يسود القلب فيغلف بالحجاب الأسود،

فينطفئ نوره، وينطفي نور وجهه، وينطفئ نور بصره، فيحجب عن رؤية الله تعالى يوم يكشف نوره وجماله للعالمين ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ . فيساق ويحمل إلى الجحيم ليهوي بها، ويُبكَّتْ وهو يتقلب في أعماقها ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ ، وتغلق عليه أبواب جهنم أبواب السجن.

أما العادلون الأبرار البارّون بالله تعالى والبارّون بالناس الذين يوفون الميزان ولا يبخسون الناس حقوقهم فهم في الدرجات العلى ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ ، تعلن أسماؤهم في احتفال عظيم ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ ، ليتقلبوا في النعيم.

لقد كانت قلوبهم بيضاء وأياديهم بيضاء، ملئت بالنور الإلهي، لا يظلمون أحداً ولا يبخسونه حقه، لذا أكرمهم الله تعالى بالأنوار الإلهية فجعلهم ينظرون إلى الله تعالى وإلى جماله ونوره وهم متكئون، قد ملأت وجوههم الأنوار ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ ، تدار عليهم الكؤوس. فكما كانوا في الدنيا لا يستقون إلا ما كان حقاً لهم وكان طيباً وكانوا يسقون الآخرين حقوقهم فكذا يجزون يوم القيامة ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ .

ولما كان كل منهم في مَحْياه تطيب نفسه بإعطاء الحقوق لأهلها، بل

ويتنافس على أداء الحقوق، وما يزداد عمره إلا ويزداد طيباً إلى أن كانت خاتمته كذلك جوزي بأن كانت خاتمة شرابه من أطيب الطيب ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ .

وتزداد نفاسة الشراب في الجنة بازدياد نفاسة الحقوق التي يؤديها لاسيما الحقوق الإلهية العليا، فشرابه ﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾ ، وتزداد نسبة التسنيم في شرابه كلما قَلّت الشوائب في أدائه للحقوق في دنياه إلى أن يشربه رحيقاً صرفاً دون مزج ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ .

إن أعظم الحقوق التي يعظم التطفيف فيها حقوق الله تعالى، وأصل الحقوق الإلهية إفراده سبحانه بالعبادة، وأشرف الخلق الذين يستشنع التطفيف في حقهم هم المؤمنون الذين ينادون بعبادة الله وحده وأداء الحقوق الإلهية. فإذا نادى الأشراف بهذا الأصل فقوبلوا بالاستهزاء والضحك والتغامز والتنابز في برود تام مع الحكم على الأشراف بالضلال فقد طف الصاع ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ .

هذا مقصد سورة المطففين: وهو التحذير من التطفيف لاسيما في حقوق الله تعالى وتوحيده، فليستعد العبد لليوم الذي سيلاقي فيه جميع أعماله من تطفيف أو وفاء.

سورة الانشقاق

من تمام العدل وإقامة الميزان أن **كل إنسان سيلاقي جميع أعماله التي عملها في دنياه.**

ستكشف الستور ويظهر كل ما كان خافياً، فالسماء الساترة ستنشق ويظهر ما كان خافياً مستوراً وراءها، والأرض تتمدد فتخرج أكبادها وأثقالها وتتخلّى عن كل ما اجتمع في باطنها واختفى، يحدث جميع ذلك بإذن من الله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ .

حينئذ **سينتهي العبد إلى الله تعالى ليلاقي كدحه** وما اكتسبته يداه مكشوفاً بين يدي الله تعالى، فيحاسبه عليه شاء العبد أم أبى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ .

فإن اكتسبت يداه عملاً صالحاً فسيتناول كتاب أعماله بيده اليمنى، ليحاسب ﴿... حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ ، مسروراً بكتاب النتيجة.

وإن اكتسبت يداه عملاً سيئاً، وكان مُعرضاً عن الله تعالى فسيتناول كتاب أعماله بشماله، ليحاسب حساباً عسيراً ويأخذ بعده كتاب النتيجة بشماله من وراء ظهره فيصرخ بالعويل على مآله ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ .

لقد كان يظن أنه سيفلت من الحساب **وأن أعماله قد تبعثرت** وخَفيت ونُسِيت في أطوار الحياة ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ . إن سروره باتباعه هواه بين أهله أنساه قبائحه.

إن سدول الليل وتنقله في مراحله من غروب الشمس وظهور الشفق إلى غيابه إلى أن تشتد ظلمته ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ لايعني ضياع الأشياء التي اجتمعت واختفت فيه، بل ستكشف وتفضح سواء كان كشفاً جزئياً قبل انجلائه باتساق القمر واكتماله بدراً ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ أو كشفاً كلياً بعد انجلائه. وكذا عمل العبد سينكشف شيء منه ويفضح في دنياه قبل انجلائها، ثم يكشف كشفاً تاماً ويفضح يوم لقائه مع الله تعالى وذلك بعد مراحل وأطوار لابد للإنسان وأن يمر فيها.

ففي طور الحياة الدنيوية ينتقل في مراحلها التي قدرها الله له من نطفة إلى جنين ثم مولود رضيع ثم طفل ثم بالغ ثم شاب ثم كهل ثم شيخ

ثم هرم وسيقوم خلالها بأعمال ستحفظ في صحيفته. ولابد بعدها وأن ينتقل إلى طور الموت ثم الحياة البرزخية ثم البعث ثم الحساب ثم إما إلى جنة أو إلى نار، لا ينفك عن هذه الأطوار ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾. وخلال تنقله في جميع المراحل المذكورة

لا يضيع شيء من عمله ولا من معاصيه عن علم الله تعالى بل كل شيء مكشوف عنده وسيكشفه للعبد ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

فكلٌ سيلاقي عمله **ويجازى عليه بالعدل إلا الذين آمنوا** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فسيجازون بالفضل لا بأعمالهم ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ ، لذا حذفت فاء السببية ولم يقل سبحانه ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ﴾ ، فاللهم تغمدنا بفضلك وإحسانك لا بأعمالنا.

هذا مقصد سورة الانشقاق أن كلاً سيلاقي عمله بلا وكس ولا شطط وسيحاسب عليه. فالسماء تنشق وتكشف ما كتب فيها مما يتعلق بالعبد، والأرض تظهر ما كان خافياً مستتراً فيها ليتطابق ما كتب في السماء مع ما عمله العبد في الأرض ليفضح حينئذ.

سورة البروج

سيجتمع الشهود على العبد يوم القيامة ليشاهدوا أعماله وفضائحه ومخازيه، وهو كذلك سيشهد فضائح غيره، فهو إما شاهد أو مشهود عليه. وسيشاهد العالم أجمع عقوبات الناس وثوابهم ويطلعون على أعمالهم كما يطلع من وقف على رأس البرج ليشاهد كل ما يدور تحته، وسيُعلن عن جميعها ويشاهدها العالم أجمع كما يشاهد البروج السماوية ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣﴾ .

لئن كان أصحاب الأخدود احتشدوا وحشدوا الناس لمشاهدة تعذيب المؤمنين وبطشهم بهم ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧﴾ وقد كان الله شاهداً لذاك التعذيب وذاك الظلم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ فإن احتشاد العالم يوم القيامة لمشاهدة الانتقام الإلهي منهم ومن كل من بطش بالمؤمنين أعظم وأدوم ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ ، **فالفضيحة أعظم.**

إن احتشاد الشهود يوم القيامة لمشاهدة فضائح الناس وأعمالهم وعقوباتهم **أعظم من** شهود بني إسرائيل عقوبة فرعون وجنوده وهم

ينبذون في البحر غارقين، وأعظم من مشاهدة العالم لجثة فرعون على مر الزمان، وأعظم من شهود كفار ثمود يوم احتشدت القبيلة وشاهدت قتل الناقة، وأعظم من مشاهدة الناس لآثار قوم ثمود بعد هلاكهم وعذابهم وما يزالون يشاهدونها على مر الزمان ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ ؟ **فالفضيحة يومئذ أعظم.**

وأعظم من ذلك أن الله تعالى هو الشاهد الأعظم لكل ما يدور في الكون وكل شيء مفضوح عنده ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ ، فهو مطلع مشاهد لأعمال العباد وقد ادخر لهم العقوبات المناسبة. تلك الأعمال والفضائح والجزاء والعقوبات التي سيرونها يوم القيامة متطابقة مع ما كتب في اللوح المحفوظ الذي حفظ فيه كل شيء وحفظ فيه القرآن الذي وعد بوقوعها ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ .

هذا مقصد سورة البروج: الفضيحة الحقيقية الكبرى يوم القيامة، حين يطلع العالم على أعمال العباد ويشاهدون عقوباتهم وجزاءهم وثوابهم، بل كل عبد حينئذ شاهد ومشهود.

سورة الطارق

إن الله تعالى حكم عدل، **لايجازي العبد على أعماله إلا بشهود يشهدون له أو عليه.**

من الشهود الذين يشهدون للعبد ويشهدون عليه السماء التي تظله، والنجم الذي يطلع عليه فيثقبه بنوره ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ ، وكذلك المَلَك الذي يحفظ عمله ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾ .

إن شهادة الشهود ليس لنقص في علم الله تعالى، بل الله يعلم كل شيء، فهو يعلم أصل خلقه، حتى يعلم طريق النطفة قبل خروجها، والمقصد من خروجها، وسبيلها المحرم أو المباح ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ ، **بل الله تعالى أعظم شاهد.**

لذا كل شيء سيشهد للعبد أو عليه. إذ تشهد عليه جوارحه وأعضاؤه التي قارفت الفواحش والمحرمات لاسيما لحظة تلذذها بخروج الماء الدافق، ويشهد عليه قلبه موضع سر العبد الذي ينطق بسرائره ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ ، فماله حينئذٍ من قوة يدفع بها شهادة الشهود ويمنعها ولا ناصر، فكيف إذا تأكدت بشهادة كل ما

علاه ويشمل السقف الذي يظله وهي السحب المثقلة التي اطلعت عليه فترجع بأعماله، وشهادة كل ما سفل ويشمل الأرض التي تقله فتتصدع لتبث كل ما اختفى فيها وتصدع بشهادتها ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢﴾ . فكل شيء سيحفظ على الإنسان عمله من إيمان بهذا القرآن أو كيد، ويشهدون له أوعليه، ثم يفصل فيه.

فالأمر الذي تطلب فيه الشهادة أمر جلل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾ لايزعزعه كيد الكائدين، ويستحق أن تجتمع عليه جميع هذه الشهود.

هذا مقصد سورة الطارق أن كل شيء سيشهد للعبد أو عليه، فاستعن بالله ليحفظك ويسترك.

سورة الأعلى

استعن دوماً باسم الله تعالى ليحفظك ويسترك. ذلكم الله الأعلى، الأعلى في كل كمال محض، فهو الذي علت صفاته وكملت أسماؤه، وله المثل الأعلى أزلاً وأبداً، لا يعتريه نقص في أي حال من الأحوال ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ . فلكمال أسمائه وعلو صفاته خَلَق فأحسن خلقه، ولكمال علمه وقدرته وحكمته قدر مقادير الخلائق فهداها لأحسن مقاديرها ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ .

أما غير الله تعالى وهم المخلوقات فإن سنة الله فيها أن يعتريها النقص مهما علت وزهت ويلحقها الهلاك والفساد ﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥﴾ ، وسنته في الإنسان مهما علا أن يعتريه الضعف والنسيان ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ . ولكن بذكر اسم الله تعالى تحل فيه البركة فيقوى الضعيف ويحيى الميت. وإن أعظم ذكر تحيا به القلوب قراءة كتاب الله الأعلى وحفظه والمداومة عليه سراً وجهراً ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ .

فمن لهج باسمه وذكره واستعان به أحيى الله قلبه فأزهر وأثمر

وأنبت الله مرعاه كما ينبت مرعى الأرض وتيسرت أموره ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ وكانت روحه علوية، لاسيما إذا سعى في إحياء قلوب آخرين معه ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ .

وأما من غفل عن ذكر الله ونسي ربه وعصاه وتعلق بالعاجل وآثر الحياة الدنيا تحول قلبه إلى حطيم كالغثاء الأحوى، وشقي في دنياه وأخراه، وكانت روحه سفلية. وإن أشقاهم أقصاهم عن تعظيم الله تعالى وعن تعظيم أسمائه وصفاته ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ .

فمن وجد حلاوة ذكر اسم الله تعالى وبركته وحلاوة صلته بالله **فليحيي قلوب آخرين معه** ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ ، وليستخدم في تذكيره إياهم الحجة والبرهان والصبر والسلوان لينتشلهم من إيثار الدنايا وليرتقوا جميعاً إلى مصاف المفلحين، إلى مصاف الملأ الأعلى فيعلوا إلى السماء السابعة التي فيها إبراهيم الخليل ﷺ ذو الحجة والبرهان، وإلا فالسماء السادسة التي فيها موسى عليه السلام ذو الصبر على الأعداء والأتباع ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ .

وهذا مقصد سورة الأعلى: الاستعانة باسم الله الأعلى ليحفظ العبد ويعينه على إحسان عمله وإتقانه ليفوز ويفلح.

سورة الغاشية

احرص على إحسان العمل وإتقانه بدلاً من الحرص على الإكثار منه بلا إتقان.

فكم من عامل ناصب خاشعٍ في الدنيا؛ عمله غير متقن، لا يسمن ولا يغني من جوع، فجوزي من جنس عمله يوم القيامة ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ ، لأنه لم يتقن عمله ولم يؤصله على الإيمان والقواعد الصحيحة.

إن الله تعالى يحب الإتقان، إتقان الظاهر وإتقان الباطن، والجزاء من جنس العمل **.فلقد أتقن الله تعالى الجزاء** لمن أتقن عمله، فقد أتقن الله له تنعمه في الجنة ظاهراً وباطناً، فوجهٌ ناعم أتم النعومة، وقلبٌ راض أكمل الرضى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ . أما مرافق الجنة فقد أتقن الله فيها النعيم الظاهر إذ الجنان العالية والعيون الجارية. وأما إتقان باطن الجنة ففي حسن تنسيق أثاثها وحبكه ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ .

لقد أتقن الله خلقه ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى

ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ ، لذا كلما كمل إتقان العبد لعمله علت درجته وارتفع مقامه.

إن من أظهر العوامل المعينة على الإتقان وإحسان العمل المتابعة بالتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾﴾ ، ثم المحاسبة الذاتية والمحاسبة ممن له سلطة عليه، فهذا هو المنهج الإلهي مع العباد: التذكير والمحاسبة ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ .

هذا مقصد سورة الغاشية أن الله تعالى يحب الإتقان، ويجازي العبد على قدر إتقانه.

سورة الفجر

لا يتحقق إتقان العمل إلا بحسن إدارة الوقت فيما ينفع النفس وينفع الآخرين وفي تأدية حقوقهم.

فليحرص العبد على حسن إدارة الوقت لاسيما الأوقات المباركة الشريفة والانتفاع بها كوقت الفجر ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾ ، وليالي العشر الأواخر من رمضان ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ ، ويوم العاشر من ذي الحجة ﴿وَٱلشَّفْعِ﴾ ، ويوم عرفة وهو اليوم التاسع ﴿وَٱلْوَتْرِ﴾ ، ثم الليل لاسيما وقت النزول الإلهي في الثلث الأخير من الليل ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ فإن نتاج هذه الأوقات مبهر.

وإذا أحسن الإنسان إدارة وقته في تأدية حقوق النفس وحقوق الآخرين فاز بالسعادة وبورك له في حياته وتجنب التوتر واضطراب النفس، وفاز بالاطمئنان النفسي .**إذ من أسباب الاضطراب النفسي ومحق بركة العمر** تضييع الأوقات لاسيما إذا ما شغلت بأعمال الظلم والطغيان وكثرة الفساد والإفساد ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢﴾ ، أو ضيعت بالاختيال حال النعمة ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ

أَكۡرَمَنِ﴾ والكفر حال المصيبة، أو ضيعت لأجل الحصول على الجاه والمال والانشغال بهما عن أداء حقوق الناس لاسيما الضعفاء وعن مواساتهم كاليتيم والمسكين وفي أكل أموال الورثة وعن أداء جميع الحقوق المالية ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨﴾ إلى أن يفاجأ بانتهاء الوقت وقيام الساعة ودك الأرض ومجيء الله تعالى للفصل بين الناس، فيتحسر حينئذٍ على الوقت الذي ضيعه قائلاً ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ ، إذ لم يكن يوثق وقته ويقيده، بل كان مضيعاً له.

بينما من أحسن إدارة وقته فيما ينفع في الدنيا والآخرة وفي أداء حقوق الآخرين واتقى الله تعالى اطمأنت نفسه حينئذ إلى بارئها فجوزيت عند وفاتها من جنس عملها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ .

هذا مقصد سورة الفجر: حسن إدارة الوقت فيما ينفع نفعاً حقيقياً وفي أداء الحقوق فهو من أكبر أسباب البركة في العمر والاطمئنان وإزالة الاضطراب مهما اعترضته الصعاب والشدائد والملمات.

سورة البلد

مهما بلغ العبد من قدرٍ ومكانةٍ وحسن إدارةٍ للوقت وإتقانٍ للعمل **فإنه سيواجه في حياته جبالاً من الصعاب والشدائد والملمَّات.**

انظر إلى أشرف بلد على وجه الأرض وأقدسها وانظر إلى أشرف ساكنيها وأشرف من حلّ فيها بل سيد البشر مكانةً وأخلاقاً وسيرة وإتقاناً وحسن إدارة للوقت وتخطيطاً وتدبيراً، انظر كم لاقى من الأذى والإخافة والاستخفاف والمكابدة مع أهلها.

وسيكابد سنوات إلى أن يأتي اليوم الذي سيحل له هذا البلد ساعة من نهار لعظم ما حلّ فيه من الفساد من قبل أهله من كفار قريش فينصره عليهم ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ ، وإن كانت تلك الساعة وذاك اليوم أصعب يوم في حياته ولكنه فتح يفتحه الله له.

لا تحزن! **فالإنسان دائماً في مكابدة** منذ أن كان مولوداً إلى أن يصبح والداً ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ . انظر كم يلاقي الوالدان من أذى ومشقة ويكابدان في تربية أولادهما وتنشئتهم ثم يُقابَل هذا الجميل بالعقوق والقطيعة. وانظر كم يلاقي المولود من أذى وصعاب وهو

يكابد مصاعب هذه الحياة في نشأته وتنقله في مراحلها ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ .

فالإنسان منذ ولادته إلى وفاته يكابد الصعاب مهما بلغ في الشرف والجاه، فلا يظنن أنه لن يضيق عليه أحد، ولا يظنن أن لن تضيق عليه الأمور ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ ؟

قد يتباهى الإنسان بأنه أنفق مالاً كثيراً في شهواته وهواه ولكن ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ ؟ ويعجب إذا ما أصيب بالمصائب أو حالت الصعاب دون تحقيق هدفه وبلوغ غايته، كيف؟ هو أرفع من أن يصاب بها! وهو أجل من أن يحول حائل دون بلوغ مرامه!

لِمَ يعجب؟ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ ؟ ألسنا نحن الذين خلقناه وجعلنا له عينين ولساناً وشفتين؟ ثم يستعملها في معصيتنا ويظن أننا نتركه بلا عقوبة؟ إننا قادرون على أن نقلب عليه أحواله ونجعل عاليه سافله.

ويتبرم الإنسان بأنه أنفق مالاً كثيراً لمواجهة هذه الصعاب والمصائب وفي حلها ولكنها لم تحل ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ .**أيظن أن حلها بالمال؟** لقد حلّت **عليه المصائب** بما كسبت يداه من ذنوب ومعاصٍ وتضييع حقوق وتبذير مالٍ، أوْ لاقترافه أموراً لا ينبغي لأصحاب

المراتب العلى أن يقترفوها، وكذلك تحل عليه المصائب للابتلاء.

إن المكابد اثنان، إما مكابد خاسر وإما مكابد فائز. إن أحق من يوصف بالمكابد الخاسر ذاك المعجب بقوته أو بماله ولا يعتبر بالمصائب التي يصاب بها ولا يرى الصعاب إلا شؤماً ولا تزيده إلا كفراً ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾ فهو أشد عذاباً وقلقاً، وأكثرهم هماً وخوفاً من المستقبل.

إن العبد **يستطيع أن يتخطى هذه الصعاب** ويفوز في هذه المكابدة ويقتحم هذه العقبات بسبع طرق:

أولها: بعينيه. فيعتبر بهما ويرى بهما أحوال غيره ومكابدتهم، فليقارن حاله بحال غيره.

ثانيها: بلسانه وشفتيه. فيستعملهما في الخلاص منها ويعبر بهما عما يكابده، ويسأل عن العلاج وكيفية التخلص من مكابدته بتواصله مع الله تعالى ثم مع الخلق.

ثالثها: بالبحث عن الحق والاجتهاد في معرفته والتعرف على الباطل ليجتنبه ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ .

رابعها: بسعيه في رفع المصائب والشدائد عن الناس، والإحسان

إليهم ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ ، فمن فرج عن أخيه كربة فرج الله عنه أضعافاً مضاعفة .

والأعظم منه انتهاج طريق الهداية الذي بيناه ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ له والذي به يرفع الله عنه المصائب وييسر ما استصعب ويقلل أثر المكابدة عليه، وباجتناب طريق الغواية الذي حذرناه منه والذي تزداد به المصائب، **هذا خامسها.**

وسادسها : بالتواصي مع إخوانه بالصبر على المكابدة، ثم التراحم فيما بينهم أيامها والتآخي والمسامحة باختلاف الأحوال والأزمان ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ ، فبذلك تمت **السبعة،** وهي الطرق التي بها تزكو النفس.

حينئذ تتحول تلك الصعاب والعقبات والمكابدة إلى بركة وخير ويمن ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ ، بينما من لم يسلك هذا الطريق سيبقى في شقائه وشره وشؤمه ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ .

هذا مقصد سورة البلد : كيف الطريق لتجاوز الصعاب والمصائب العظمى والملمَّات .

سورة الشمس

إن الطريق الجامع الذي يشمل جميع الطرق لتخطي المصائب والخلاص منها هو **السعي في زكاة النفس بالتخلق بالأخلاق السامية** وتجنب سفاسفها.

إن التحلي بمعالي بالأخلاق **يؤثر تأثيراً** بالغاً على النفس بل ويؤثر تأثيراً بالغاً على الأمة والمجتمع. فمنهم من يكون في أخلاقه نوراً للأمة وللعالم كالشمس، بل ترى نوره صافياً نقياً واضحاً كوضوح الضحى لا يحمل الدغل، دائماً في ارتقاء وارتفاع كما ترتفع شمس الضحى، كلما رأيته رأيت فيه زيادة في الخُلُق. ومنهم من هو دونه فهو كالقمر المنير للمجتمع إذا ما غلبت عليه سفاسف الأخلاق وادلهم ظلمة، فيجلِّيه بنوره ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ .

أما في **اكتساب الأخلاق** السامية فمنهم من تكون أخلاقه جبلة وطبيعة متأصلةً في نفسه كنور الشمس المتأصل فيها، ومنهم من يكتسب أخلاقه ويتعلمها من غيره كالقمر الذي اكتسب نوره من الشمس ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ .

والناس في أخلاقهم معادن، منهم من ملئ نوراً كالنهار، ومنهم من اسود ظلمة كالليل البهيم في أخلاقه ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾ . وكما خلق الله تعالى الأجرام متفاوتة منها علوي ومنها سفلي ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾ فكذلك خلق الله الناس متفاوتين في الأخلاق فمنهم علوي ومنهم سفلي، فمنهم من سما بأخلاقه حتى بلغ السماء في الزكاء والتقوى، ومنهم من انحط بها إلى الأرض في الفجور. فمن زكىَّ نفسه فسما بأخلاقه فقد أفلح، ومن دساها فقد خاب وخسر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ .

فليسأل العبد ربه أن يلهمه معالي الأخلاق وأنوارها فهو الذي خلق الشمس وجعل نورها ذاتياً صافياً قوياً وخلق القمر وجعل نوره مكتسباً وخلق النهار وخلق السماء العالية، وليستعذ بجلاله من سفاسف الأخلاق وظلمتها فهو الذي خلق الليل بظلمته والأرض بسفولها.

إن أسوأهم خلقاً وأعظمهم خيبة وخسارة وأعتاهم وأشقاهم من طغى بمعاداته لله ولرسله وأوليائه، واجترأ على آيات الله تعالى وتحداها، وتعدّى عليها وعلى الرسالة الإلهية، وسعى في إبطالها، كشقي ثمود عاقر الناقة. إنه لن يفلت من الله تعالى حتى يلقى عقوبته

في دنياه قبل آخرته ﴿... فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ .

وهذا مقصد سورة الشمس: الدعوة إلى التحلي بمعالي الأخلاق والتحذير من سفاسفها.

سورة الليل

لا يركن العبد إلى القدر ليحتج به قائلاً: قد قدر لي الفجور ومساوئ الأخلاق وأُلْهِمته فهذا حالي لا يتغير، أو يقول العكس. فالقلب ما سمي قلباً إلا لتقلب أحواله بين الظلمة الغاشية والنور المجليّ كتقلب حال الأرض بين الليل والنهار ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ ، **وذلك على قدر سعي العبد** قوة وضعفاً، فمن سعى سعياً قوياً منحه الله قوة وزاده وبلغه مرامه، وكذلك من سعى سعياً ضعيفاً، كل بحسبه. فهو الذي خلق الذكر بقوته الذكرية والأنثى بضعفها الأنثوي ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ .

فمن ﴿ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ فسييسر إلى معالي الأخلاق ويسرها، ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩﴾ فسييسر إلى سفاسف الأخلاق وعسرها.

فالله تعالى قد تكفل بأن عليه الإرشاد والبيان أولاً، فإذا سعى العبد فالله تعالى عليه التوفيق آخراً ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣﴾ ، ليحاسبه حينئذ على سعيه.

فأشقاهم من تولّ وساء خلقه مع الله تعالى ﴿كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ، فجزاؤه ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ . بينما أعلاهم مرتبة وقدراً أصدقهم سعياً وأقواهم إيماناً وأتقاهم لله تعالى وأغناهم عن الناس وأخلصهم لوجهه الأعلى ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ .

هذا مقصد سورة الليل أن على العبد أن لا يركن إلى القدر ويترك العمل وبذل السبب وإنما كما قال النبي ﷺ «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»، **فعليه أن يسعى دوماً في الترقي** بلا كلل ولا ملل.

سورة الضحى

فمن سعى وعمل وزكى نفسه وتخلق بالأخلاق السامية الرفيعة **واستمر في هذا الطريق** وحافظ عليه ودعا إليه قاصداً وجه الله تعالى **كان أمره دوماً في ارتفاع**، ودعوته في علو وارتقاء، كاستمرار شمس الضحى في الارتفاع ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ .

وقد تأتي بعض الأوقات يفتر فيها، ولكن تلك الأوقات فيها راحة وسكينة كراحة الليل وسكينته ليعود إليه نشاطه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ .

إن هذا الصنف من الأمة لا يودعه الله تعالى ولا يقليه ما دام سالكاً هذا الطريق وإن أصابته المصائب، بل هو في عين الله تعالى ورعايته. وما ادخر الله له خير مما يراه عاجلاً ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ ، ولْيَبْشر بالعطايا الإلهية وسرور القلب ورضاه وإيواء الله له وهدايته وإغنائه إياه ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ .

ومن أراد الاستمرار في الارتفاع والظهور والانتصار والعلو على

الأمم الأخرى والتمكين له في الأرض فعليه بإيواء الضعيف لاسيما اليتيم، وإغناء السائل الفقير، وهداية السائل المسترشد، وإظهار جمائل الله تعالى والاعتراف بها دوماً وشكره عليها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

هذا مقصد سورة الضحى أن من سعى في طريق الله تعالى فهو دوماً في ارتقاء وارتفاع ونجاح، وكان الله معه، وشرح صدره، وادخر له خيراً مما عجله له.

سورة الشرح

لا يظنن العبد الداعي إلى الله تعالى أنه لن تصيبه المصائب، بل **تصيبه وتستحكم** حتى تكاد تنقض ظهره.

ولكن كلما ضاقت الأمور وتعسرت واستحكمت حلقات المصيبة **وقابلها العبد** بالانتصاب لعبادة ربه تعالى والرغبة إليه ورجائه ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ تغشاه اليسر من كل حدب وصوب، وانقض على كل عسرٍ يسران ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ ، وخرج العبد منها بكرائم إلهية سابغة وانفراج عظيم، فشرح صدره، ووضع عنه وزره من هموم وأحزان وأكدار واكتئاب وكروب وشدائد، ورفع له ذكره ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ **.وهذا مقصد سورة الشرح.**

سورة التين

إن المصائب لها فوائد كثيرة. والناس معادن والنفوس ألوان تكشفها وتجليها المصائب.

فمن النفوس **نفوس مباركة،** منها ما حلاوتها كحلاوة التين، وأخرى نقية صافية وضيئة كنقاوة زيت الزيتون وضيائه، وثالثة قوية ثابتة كثبات الطور، ورابعة نفوس آمنة مطمئنة كالبلد الأمين ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ ، وقد تجتمع هذه الصفات في نفس واحدة.

ومن حكمة الله تعالى أن خلق الإنسان في أعدل قامة وأحسن صورة، وكمّله بالعقل، ويسّر له طريق العلم والمعرفة والإرادة والتدبير والحكمة والكلام، وفطره على التوحيد، وطبع فيه غرائز وجعل له من الصفات والأدوات ما يمكِّنه من تقويم نفسه وبلوغ تلك المراتب العلى مراتب النفوس المباركة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ .

فمن أحسن استغلال هذه الغرائز وأحسن تقويمها بالإيمان والعمل الصالح أعانه الله تعالى وجمع له تلك المزايا والبركات، وبلّغه مرتبة

النفوس المباركة ونال أحسن تقويم، وتوالت عليه العطايا والمنح بلا انقطاع ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ، فمن مستكثر ومستقل. ومن أساء تقويمها فَقَدَ تلك المزايا وسقط وتهاوى ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ .

فهل يوجد بْعدُ حَكَمٌ عَدْلٌ أحكم من الله تعالى؟ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ .

هذا مقصد سورة التين، كما قال النبي ﷺ : «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[١] .

---

(١) رواه مسلم (٦٧٠٩).

سورة العلق

مهما كان معدن الإنسان فهو عالة على غيره عالق به، فقد ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ **.وأشرف ما يتمعدن به العبد** ليتحرر من قيود التقليد ويتخلص من كونه عالة على المخلوقين هو العلم النافع. فإذا تسلح بالعلم وتفقه فتحت له الدنيا أبوابها واستغنى بالله عنهم وارتقى إلى مراتب النجوم.

ولكن هذا العلم **إذا لم يحكم بالضوابط الشرعية** كان سبباً في العجب والطغيان ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ .

والطغيان العلمي يؤدي إلى الغفلة عن الآخرة ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ ، ويؤدي به إلى محاربة الله ورسوله والتعدي على أوليائه ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ ، والتكذيب والتولي ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ .

فمن ضوابط العلم النافع أن يفتتح أبواب العلم بالاستعانة بالله تعالى متبركاً باسمه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ ، وأن يوقن أنه غير مستغن عن الله

تعالى، وأن ينتقي نوع العلم الذي يتعلمه، ويجعل أولى العلوم بالتقديم العلم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وأن يسأل الله المزيد من كرمه ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ . حتى ولو كان علماً آخر فعليه أن يسقيه بماء المحاسبة، فإنه راجع إلى الله تعالى وسيحاسبه على ما اكتسبه من العلم وما قاده إليه ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨﴾ .

ومن ضوابطه أن يستعمل علمه في تقوى الله وطاعته والتقرب إليه، لا في محاربة الله ومحاربة أوليائه ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ وإلا استحق أن يصاب بالخلل في ناصيته موضع التخطيط والتدبير ﴿لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾ واحتوشته زبانية العذاب.

ومن ضوابطه أن يعلم أن الله تعالى يراقبه في كل ما يعتقده من علوم يتوصل إليها وينشرها للناس وما ينتج عنها من أعمال وطغيان ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ .

وإذا كانت العلوم سبباً في طغيان غيره عليه أو **وقفت العلوم** في طريقه إلى الله تعالى أو كانت عائقاً أو استعصى عليه علم ما أو مسألة أو أراد الاستزادة من العلم فليسارع إلى الله تعالى ساجداً، وليعفر وجهه في التراب، سائلاً ربه تعالى أن يعينه ويخلصه مما فيه وأن يفيض عليه علم تلك المسألة ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ ، حينئذ يكون قد جمع بين

أفضل طريقين مقربين إلى الله تعالى: العلم النافع وأشرف الأعمال الصالحة وهو السجود فهذا أفضل أنواع العلوم وهو العلم الذي يقوده إلى العمل الصالح.

وهذا مقصد سورة العلق أن أشرف ما يتمعدن به العبد العلم النافع الذي يقوده إلى العمل الصالح.

سورة القدر

إن أشرف العلوم ذاك الذي نزل في أشرف ليلة وهي ليلة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ ، نزل محفوظاً ومحفوفاً بملائكة السماء، يرأسهم في حمله أشرف الملائكة روح الله تعالى جبريل عليه السلام.

لقد شرف الله تعالى تلك الليلة وجعلها خيراً من ألف شهر، وفي كل عام تنزل ملائكة السماء فيها وتملأ ما بين السماء والأرض يتقدمهم روح الله تعالى جبريل عليه السلام ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ ، وفيها يحصل السلام من كل أمر، وهي سلام وأمان حتى يطلع الفجر. كيف لا، **وهي التي نزل فيها أشرف العلوم لما يتضمنه من شرف المعلوم.**

هذا مقصد سورة القدر أن أشرف ليلة هي ليلة القدر التي نزل فيها القرآن.

سورة البينة

إن الله تعالى لا يدع أهل الأرض في عماية حتى يبلغهم العلم الذي به تقام الحجة وبه يحصل البيان الذي يوضح سبيل الحق وسبيل رضوانه ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١﴾ .

ويُعلم شرف العلم بشرف ما يتضمنه من معلومات، وبشرف من يحمله ويجيء به. فهذا الكتاب حمله أفضل عبد بشري، فقد جاء به رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، ويتضمن بينات ووصايا قيمة نفيسة مفعمة بالطهارة والزكاة وحججاً بينة تطمئن بها القلوب وتنشرح بها الصدور ﴿... ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾ .

إنه أشرف الكتب وأنفعها، تشرئب له الأعناق ويتنافس على حصوله الأقران، فمن أخذ به جمع الله له شمله وحفظه من الزلل والضلال، ومن فرط فيه تفرق أمره وتشتت شمله ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝٤﴾ .

إن وصاياه أشرف الوصايا وأنفسها، فأعظم وصاياه إفراد الله بالعبادة والإخلاص له وإقامة الصلة بينه وبين الله تعالى وتزكية النفس على الطريقة النبوية ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ .

فمن أعرض عنه وكفر كان شر البرية، وجزاؤه ﴿نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ . ومن آمن به وأخذه مجللاً بخشية الله تعالى كان خير البرية، وجزاؤه ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ . إنه يملأ القلوب إيماناً وخشية.

هذا مقصد سورة البينة أن القرآن تضمن أشرف العلوم والوصايا وأزكاها، وبه تقام حجة الله على العباد.

سورة الزلزلة

من وصل إليه علم هذا الكتاب وأقيمت عليه الحجة فإنه سيوافي يوم القيامة كل عمل قام به مهما صغر من خير وشر، **يوافيه سمعاً** إذا ما تزلزلت هذه الأرض وتصدعت وتحدثت بأخبارها ولم تُخْفِ شيئاً استجابة لوحي الله تعالى وإقامة لحجة الله على العباد ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ ، **ويوافيه بصراً** فيراه بأم عينه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ ، فتقام عليه الحجة مرة أخرى يوم القيامة بعدما أقيمت عليه في الدنيا ليوافي حينئذ جزاءه.

هذا مقصد سورة الزلزلة أن الإنسان يوم القيامة تقام عليه الحجة على عمله سمعاً وبصراً.

سورة العاديات

إن **سبب غفلة العبد** عن توحيد الله تعالى وعن طاعته وسبب انشغاله بالحروب وتحريكه الخيول مغيراً بها ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ وقتله النفوس **اتصافه بثلاث صفات:**

أولها

إنه كنود ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ . فالمحنة الصغيرة تنسيه النعم الكثيرة والإحسان العميم، إنه كفور جحود غير شكور.

ثانيها

الإصرار على التحدي والعناد. حيث يعلم العبد خطأ نفسه بالكفر ويشهد عليها به ومع ذلك يصر عليه ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ .

ثالثها

شدة تعلقه بالمال وولعه به وتلهفه بالشرف ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ .

هذا مقصد سورة العاديات: أن سبب غفلة العبد وتجبره وانشغاله بالدنيا أنه كنود عنيد شديد التعلق بالمال والشرف. فإذا لم يعد المرء إلى صوابه وينتبه من غفلته بعد وضوح البينات والحجج القوارع فإنه سيعود إلى صوابه بقوارع الساعة.

سورة القارعة

لابد وأن ينّبه الإنسان من هذه الغفلة، لا بد وأن يحاكم على حروبه ومظالمه التي قضى فيها دنياه، لابد وأن يقاضى عليها بميزان عادل .**ولا بد وأن يعرف العبد ما هو الميزان الذي سيوزن به**، هل حسبه وماله؟ أم تقواه وعمله؟

فالأمور العظام كالمحاكمات والمقاضاة تبدأ بضربات وقوارع تنبه المتهمين والمتقاضين من غفلتهم، ليجتمعوا للمقاضاة والميزان الذي ينصب لهم.

فالقارعة الحقيقية هي قارعة يوم القيامة التي تقرع القلوب وتقلب الموازين الفاسدة لينتبه الإنسان من غفلته، ويستعد للمحاكمة والمقاضاة على هلعه وولعه بالمال والجاه اللذين جعلاه يكفر بالمنعم ويعانده وينشغل بحروبه ليجمع أكبر قدر ممكن من المال والجاه ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ .

ولشدة هذه القارعة يهلع الناس ويتفرقون ليصيروا ﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ فتتقطع العلائق والصلات، ولشدة قرعها تتفتت السلاسل الجبلية الراسية التي رست بها الأرض وتزينت ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ فيضطرب اتزان الأرضي وتتلاشى الموازين الدنيوية، فليستعد لها المرء.

في هذه القارعة الحقيقية **يعلم العبد أن ميزانه الحقيقي** غير متعلق بحسبه ولا ماله ولا نسبه، بل الأمور يوم القيامة تنقلب رأساً على عقب. فوزن الإنسان الثقيل في الدينا بجاهه وماله ونسبه لا يعادل خفة الفراشة المنفردة عن جموع الفراش، كما أن الجبال الثقيلة الراسية تمسي لا وزن لها فتصبح كالهباء الصادر عن الصوف المنفوش ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾ .

فالميزان يومئذ يقوم على التقوى والعمل ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾ فهذا جزاء الكنود العنيد المتحدي. حينئذ تشرئب الأعناق، وتبلغ القلوب الحناجر، لتتنهد قلوب الرجال كما تتنهد الإناث عند المصائب ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ .

هذا مقصد سورة القارعة أن يوم القيامة تتقطع جميع العلائق وتتلاشى الموازين الدنيوية ولا يثقل ميزان العبد إلا تقواه وعمله الصالح. فليبادر العبد إلى عبادة الله تعالى وحده ولا يسوف حتى يفاجأ بالقارعة.

سورة التكاثر

إياكم والتسويف. فلا تلهينكم المكاثرة والمفاخرة في المال والولد والأتباع والجاه عن عبادة الله تعالى وحده إلى أن يفاجأ أحدكم بالموت ثم يقبر ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ .

سوف تعلمون عاقبة الالتهاء بالمكاثرة والمفاخرة وحقيقتها في أحوال ثلاث: عند الموت ساعة قبض الروح حين تخبرون بمصيركم ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ ، وبعد الموت في الحياة البرزخية ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾ حين يفتح باب من النار ليرى كل منكم مصيره ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦﴾ ، ثم يوم البعث حين يؤتى بجهنم ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧﴾ فتبرز للغاوين ويقف بين يدي الله تعالى للمساءلة فيسأله عن تنعمه بالمتاع والمال والولد والأتباع والجاه: هل استعمله في طاعة الله تعالى؟ أم شغله عن عبادة الله وحده؟

قال النبي ﷺ : «ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له».

ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟

فليقولن: بلى.

ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً؟

فليقولن: بلى.

فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار. فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة. رواه البخاري (١٤١٣)

يستطيع العبد أن يجتنب هذا المصير إذا تصوره تصوراً ذهنياً كأنه يراه ﴿... لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ ، ولا يستطيع أن يتصوره تصوراً صحيحاً إلا إذا آمن به إيماناً يقينياً قبل أن يراه في قبره ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ وقبل أن يراه معاينة بعدما يبعث.

لذا عليه أن يترقى في مراتب العلم للوصول إلى العلم اليقيني بعاقبة الالتهاء بالتكاثر والتفاخر ومآلاتها، حينئذٍ تكون هذه العواقب والمآلات دوماً ماثلة أمامه، ليترقى بعدها من علم اليقين إلى عين اليقين، ثم يصل بعدها إلى حق اليقين وهو معايشة النتيجة التي آل إليها ﴿... لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ .

هذا مقصد سورة التكاثر: وهو أخذ الحذر من الالتهاء بالمكاثرة والمفاخرة بالمتاع الدنيوي والغفلة بهما والتسويف حتى يفاجأ بالعقوبة. فالحياة قصيرة؛ إن لم يكن فيها المرء على حذر ويستغلها في طاعة الله تعالى هلك.

سورة العصر

كيف يسوِّف العبد ويلهو بالمكاثرة في **هذه الحياة القصيرة بالغة القصر** والتي ما بقي منها إلا كفترة العصر ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ ؟

فإذا لم يستغل العبد حياته القصيرة بأمور خمسة خسر أشد الخسارة ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ .

والأمور الخمسة هي الإيمان بالله تعالى، ثم العمل بمقتضاه حسب ما ورد في الشرع وهو المسمى بالعمل الصالح، ثم البحث عن إخوة له يعينونه على الطريق ويتواصى معهم ﴿وَتَوَاصَوْا۟﴾ ، ثم الدعوة إليه، ثم الصبر عليه وعدم الرجوع القهقرى.

هذا مقصد سورة العصر أن الحياة بالغة القصر فليستغلها بأمور خمسة. لذا جمعها النبي ﷺ بقوله: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار». رواه البخاري

سورة الهمزة

إن الإنسان طويل الأمل، يحسب أنه مخلد في هذه الدنيا القصيرة، لاسيما الحريص على جمع المال والمفاخرة به ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣﴾.

تجده يعيش في خيال هذه المفاخرة والاختيال، فيغمط الناس، ويستخف بهم، ويرد الحق الذي يأتيه من قبلهم بالهمز واللمز كما قال النبي ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس». رواه مسلم ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾.

إن الحرص على المال يحطم صاحبه في الدنيا بدلاً من أن يخلده، فيحصل على ضد ما قصده منه، ويتوقد عليه ناراً يحرق فؤاده، ولا يجد له مخرجاً. بل توصد أمامه جميع الأبواب، ويجدها محكمة الإغلاق، فيتقلب في العذاب الدنيوي إلى أن يتحطم، وأشد منه ما يجده من الحطمة في الآخرة ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾.

هذا مقصد سورة الهمزة أن الحرص على المال والمفاخرة به وعدم

تقوى الله به لا يحقق خلوداً ولا أمناً اقتصادياً ولا يكون سنداً.

سورة الفيل

وكذا الحرص على الجاه والشرف والملك يحطم الإنسان ويحطم ملكه وجاهه إذ يمسي إلهه ومعبوده، فيوالي عليه ويعادي عليه، فيتعدى على الخلق وعلى الحدود الإلهية.

كحال أبرهة الحريص على الجاه والملك إذ سيَّر جيشه لذلك مستعيناً بأضخم الحيوانات وهو الفيل، فبلغ بهم العجب والعلو أن تعدوا على الشعائر الإلهية وأرادوا هدم الكعبة بيت الله تعالى، فجعل كيدهم في تضليل. إذ أرسل عليهم طيوراً **أعلى منهم وأخف لتحطم** أضخم سلاح استعانوا به وهو الفيل، وتحطم أضخم كيد كادوه، وأضخم ملك وجاه أرادوه ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولِۭ ۝٥﴾ .

وهذا مقصد سورة الفيل أن الحرص على الجاه والملك وعدم تقوى الله فيه لا يوثق به، فلا يديم ملكاً، ولا يحقق أمناً سياسياً، ولا يكون سنداً.

سورة قريش

إن استقرار الوضع الاقتصادي والسياسي للدول قائم على أمنين: الأمن الغذائي، والأمن النفسي والاجتماعي. والتذبذب في أي من هذين الأمنين له أثر بالغ في اضطراب الاقتصاد العالمي واضطراب الأحوال السياسية العالمية. وكلا الأمنين بيد الله تعالى، فهما قائمان على عبادة الله تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ **.فلن يتحقق هذان الأمنان إلا بعبادة الله وحده، وهذا مقصد سورة قريش.**

سورة الماعون

إن الأمنين الغذائي والاجتماعي قائمان على أمرين اثنين أصل وفرع: أولهما عبادة الله تعالى وحده وهو الأصل، وثانيهما التآلف والتراحم والتكافل الاجتماعي ونصرة الضعفاء وهذا تبع للأول. فهما مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً، فكلاهما يجتمعان في رقة القلب، إذ لا يتحقق التكذيب بالدين إلا بقسوة القلب ولا تتحقق القسوة على اليتيم والمسكين إلا بقسوة القلب ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾. فإذا فقد أحدهما اضطرب الأمنان فيتزعزع الوضع الاقتصادي والسياسي.

فإذا فقد التراحم في المجتمع وضيعت حقوق الضعفاء ومُنِع قوت الناس وغذاؤهم منع الله عن المجتمع قوت السماء فاضطرب أمنهم الغذائي، وتفسد حينئذٍ أحوال الناس وتنتشر فيهم الجرائم فيضطرب الأمن النفسي والاجتماعي، مما يؤدي إلى اختلال الوضع الاقتصادي والسياسي، هذا من جهة.

ومن لم يخف الله تعالى فكذب بدينه أو كان همه مراءاة الناس وضيع حقوق الله واضطربت صلته به أخافه الله تعالى، واضطرب أمنه النفسي، وفسدت أحواله وأوضاعه الاقتصادية والسياسية فلحقه الويل ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ هذا من جهة أخرى.

هذا مقصد سورة الماعون أن الأمنين الغذائي والاجتماعي قائمان على عبادة الله وحده، ثم على التراحم والتكافل الاجتماعي.

سورة الكوثر

إذا أردتم بلوغ الغاية في الحفاظ على الأمنين والزيادة فيهما فعليكم أن تزدادوا صلة بالله تعالى وإخلاصاً **بالإكثار من الأعمال القلبية** وأظهرها الإخلاص لله تعالى ﴿لِرَبِّكَ﴾ .**ثم الإكثار من الأعمال البدنية** وأظهرها الصلاة ليتحقق الأمن النفسي .**ثم الإكثار من العبادات المالية** وأفضلها النحر تقرباً إلى الله تعالى، إذ يجتمع فيه أفضل العبادات المالية مع الإحسان إلى الناس في قوتهم ليتحقق الأمن الغذائي ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ ، فالجزاء من جنس العمل. فمن انتقصكم بعدها فمصيره القطع والبتر وفقدان الأمنين، **وهذا مقصد سورة الكوثر.**

سورة الكافرون

لا يظن ظان أن الأمن الغذائي والاجتماعي أو الاستقرار السياسي والاقتصادي يتحققان بمداهنة الكفار والتوكل عليهم والتذبذب بين أهل الإيمان وأهل الكفر، **إنما يتحققان** بكمال العبودية لله تعالى وحده وكمال البراءة من دين الكفار، فترسم حينئذٍ الحدود وتتضح.

فلا تتنازلوا عن شيء من توحيد الله تعالى ولا تداهنوا فيه لا في الحال ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ ولا في المآل ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾، حينئذٍ يتكفل الله تعالى لكم بالأمنين ويستقر الوضع الاقتصادي والسياسي.

هذا مقصد سورة الكافرون أن تحقق الأمن والاستقرار بكمال العبودية لله تعالى وحده والبراءة من دين الكفار .

سورة النصر

إذا عبدتم الله وحده وكان هذا ديدنكم وتبرأتم من دين الكفار فلا تخشوا الكفار ولا تخشوا الدوائر، فالله تعالى يتولاكم حينئذٍ **وينصركم** على عدوكم، **وستتعاقب** الفتوحات العظيمة والانتصارات الباهرة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ . وسيفتح الله تعالى عليكم الدنيا، **وسينهال** الداخلون في هذا الدين، **فأكثروا** حينئذٍ من شكر الله تعالى بالتسبيح بحمد الله والاستغفار ليزداد هذا الخير، **وهذا مقصد سورة النصر.**

سورة المسد

أيها المؤمنون! **من عاداكم** وسعى في معاداتكم والقضاء عليكم بكل ما في وسعه من عملٍ وقوة وجهدٍ وكرم نسبٍ وكثرة مالٍ وجاهٍ وشرف أصهارٍ أخزاه الله تعالى وقطع دابره ويده ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ .

بل لا يستعمل وسيلة في معاداتكم إلا قلبناها عليه وخُنق بها، كأبي لهب الذي استعمل يده في الرد على النبي ﷺ فكانت عَلَماً على خزيه وعقوبته، وكحال امرأته ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ .

هذا مقصد سورة المسد أن من عاداكم أخزاه الله تعالى وقطع دابره، وأمسى عَلَماً للخزي والعار.

سورة الإخلاص

فتعلقوا بالله تعالى الواحد الأحد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ، واعبدوه وحده، **فهو وحده الذي كملت أسماؤه وصفاته، وتفرد بها على وجه الكمال والجلال.** فما من صفة كمال إلا واتصف بها، وما من صفة نقص إلا وتنزه عنها، فخارت دونه جميع الذوات، فهو ﴿أَحَدٌ﴾ لا مثل له.

لقد تفرد جلاله بصمديته، وافتقرت إليه جميع المخلوقات فأغناها ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ . فاسألوه وحده رفعَ فاقتكم وسدَّ حاجاتكم والنصر على أعدائكم.

وهو وحده الذي لم يتفرع عنه شيء من ولد، ولم تتولد له صفة، ولم تحدث له صفة بعد أن لم تكن ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ **.ولم يتفرع** هو عن شيء سابق لا ذاتاً ولا صفة ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ، **فليس لأحد** يدٌ عليه، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.

ولا يملأ الفؤاد إلا محبته، ولا العين إلا النظر إليه، ولا الأذن إلا سماع صوته أو سماع كلامه، ولا الحياة إلا محبته وملازمة باب عبوديته والتقلب في مودته، فلا يكافئه أحد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ ، **هذا مقصد سورة الإخلاص.**

سورة الفلق

أما المخلوقات ففيها خير وشر، وما من صفة كمال فيها إلا ويعتريها النقص. فاستعيذوا بالله من شرها بأفضل صيغ الاستعاذة يكفيكم الله إياه، ويمنحكم خيرها.

استعيذوا برب المخلوقات ﴿بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ **من الشر الظاهر** لجميع المخلوقات، لاسيما **الشرور الثلاثة:** شر الأزمان لاسيما التي ينتشر فيها الشر ﴿من شر غاسق إذا وقب﴾، وشر أعمال الجوارح والأفعال لاسيما السحر ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ ، وشر النفوس والأرواح والقلوب الخبيثة لاسيما الحسد ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ ، هذا **مقصد سورة الفلق.**

سورة الناس

ثم استعيذوا بالله تعالى المتفرد بربوبيته ﴿رب الناس﴾، المتفرد بصفات الملك ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ ، المتفرد بإلوهيته ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ **من شر المحرك الباطني لتلك الشرور،** من شر الخناس الضعيف، من شر الذي لا يقدر على شيء منها إلا بالوسوسة ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ ، **هذا مقصد سورة الناس.**

فاختتم القرآن ببيان أنواع التوحيد الثلاثة ليكتمل توحيد العبد لله تعالى فيهديه إلى صراطه المستقيم. فعاد آخره على أوله كعقد واحد تلاحمت درره.

ولله الحمد والمنة أولاً وآخراً .

تم الفراغ منه جوار بيت الله الحرام في الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك لعام ألف وأربعمائة وأربع وثلاثين من الهجرة النبوية.

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ. دار المعرفة - بيروت.
٣- أحكام الجنائز وبدعها. محمد ناصر الدين الألباني ت ١٤٢٠ هـ. المكتب الإسلامي ١٣٨٨ هـ.
٤- إحياء علوم الدين. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ هـ. دار المعرفة - بيروت.
٥- الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية. لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري. دار الصديق- الجبيل - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
٦- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. لمحمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٧- أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها من غرائب آي التنزيل. محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي. المكتبة العصرية- بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة. علي بن محمد بن الأثير. دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٩- أسس النقد الأدبي عند العرب. د/ أحمد أحمد بدوي. نهضة مصر.
١٠- الإعجاز البلاغي. د/ محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
١١- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ. د/ حمد الأمين الخضري. مطبعة الحسين- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
١٢- الإعجاز البياني للقرآن. د/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. دار المعارف - القاهرة - مصر، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٣- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مصطفى صادق الرافعي. دار الكتاب العربي - بيروت- لبنان، الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
١٤- إعراب القرآن الكريم وبيانه. لمحيي الدين الدرويش. اليمامة- دار ابن كثير- دمشق، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي. لأبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ- ١٩٧٧م.
١٦- البحر المحيط. لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي الشهير بأبي حيان. مكتبة ومطابع النصر الحديثة- الرياض.
١٧- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية. جمعة يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.

١٨- بدائع الفوائد. لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ. دار الكتاب العربي- بيروت.
١٩- البداية والنهاية. أبو الفداء إسماعيل بن عمر كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤ هـ. مكتبة المعارف - بيروت، مكتبة النصر- بالرياض، الطبعة الأولى ١٩٦٦م .
٢٠- البديع في ضوء أساليب القرآن. د/ عبدالفتاح لاشين. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.
٢١- البرهان في ترتيب سور القرآن. أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعبان. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢٢- البرهان في تناسب سور القرآن. أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق: د/ سعيد بن جمعة الفلاّح. دار ابن الجوزي.
٢٣- البرهان في توجيه متشابه القرآن. محمد بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق :عبدالقادر أحمد عطا. دار الكتب العلمية- بيروت، توزيع دار الباز- مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢٤- البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. دار الجيل- بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٥- بلاغة القرآن. لأحمد بدوي.

٢٦- البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: حسن النسدوبي. المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، ١٩٣٢م .

٢٧- تاريخ العرب. د/ فيليب حتي، وإدوارد، وجبرائيل جبور، دار غندور. بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.

٢٨- التحرير والتنوير. لمحمد الطاهر بن عاشور.مكتبة ابن تيمية- الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.

٢٩- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. محمد نور الدين المنجد. دار الفكر - دمشق سورية، دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .

٣٠- التصوير البياني. د / محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.

٣١- تفسير الجلالين. لجلال الدين محمد بن أحمد الملحي الشافعي وجلال الدين عبدالرحمن السيوطي مطبوع مع شرحه الفتوحات الإلهية. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٣٢- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن. المطبعة النبهانية- مصر، ١٣٤٧هـ.

٣٣- تفسير الشعراوي. محمد متولي الشعراوي، تخريج: د/ أحمد عمر هاشم. أخبار اليوم- القاهرة، ١٩٩١م.

٣٤- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري. المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق- مصر، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٣٥- تفسير القرآن. لأبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم عباس. دار الوطن- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٧٧م.

٣٦- تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء إسماعيل عماد الدين بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا. الشعب- القاهرة.

٣٧- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الرازي الشافعي. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٨- تفسير المراغي.لأحمد بن مصطفى المراغي، تخريج: باسل عيون السود. دار الكتب العلمية.

٣٩- تفسير المنار " تفسير القرآن الحكيم". محمد رشيد رضا ت ١٩٣٥ م، خرج أحاديثه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٠- تناسق الدرر طبع باسم أسرار ترتيب القرآن. جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا. دار الاعتصام، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٤١- تهذيب التهذيب. أحمد بن حجر العسقلاني. دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ.
٤٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبدالرحمن بن ناصر السعدي، بعناية سعد بن فواز الصميل. دار ابن الجوزي.
٤٣- جامع البيان في تفسير القرآن. معين الدين محمد بن عبدالرحمن الحسيني الإيجي الشافعي. شركة غراس- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٤٤- جامع البيان في تفسير القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٤٥- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي. لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩ هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر. المكتبة الإسلامية.
٤٦- الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي. حمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سالم البدري. دار الكتب العلمية.
٤٧- الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: سالم مصطفى البدري. دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
٤٨- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي. للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي. دار

الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٩- خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم البيان. د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة الثالثة.

٥٠- درء تعارض العقل والنقل. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د / محمد رشاد سالم. جامعة محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٥٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار المعرفة - بيروت.

٥٣- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز. لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف الخطيب الإسكافي. دار الآفاق الجديدة- بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٥٤- دلالات التركيب. د/محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

٥٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للعلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي. دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثانية.

٥٧- الروض الريان في أسئلة القرآن. شرف الدين الحسين بن سليمان الريان. مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٥٨- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. دار الكتب العلمية- بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٥٩- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق عزت الدعاس. توزيع محمد علي السيد- حمص، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٩م.

٦٠- سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

٦١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. لمحمد ناصر الدين الألباني. الدار السلفية - الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٦٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٦٣- السنن الكبرى. لأبي بكر أحمد سعد بن الحسين بن على البيهقي. دار الفكر.

٦٤- السنن الكبرى. لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تخريج: أبي أنس جاد الله بن حسن الخداش. مكتبة الرشد- الرياض، الدار العثمانية - عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٦٥- سوق عكاظ ومواسم الحج. عرفان محمد حَمُّور، مؤسسة الرحاب الحديثة - بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

٦٦- شرح العقيدة الطحاوية. ابن أبي العز الحنفي، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٦٧- صفة صلاة النبي ﷺ. محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

٦٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البُستي السجستاني بترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق :شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٦٩- صحيح ابن خزيمة. أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السّلمي النيسابوري، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي- بيروت.

٧٠ - صحيح البخاري. للإمام محمد بن إسماعيل البخاري. دار السلام - الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٧١- صحيح الجامع الصغير. لجلال الدين السيوطي، بتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
٧٢- صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. دار السلام- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨.
٧٣- صفوة البيان لمعاني القرآن. للشيخ حسنين مخلوف. وزارة الأوقاف الكويتية.
٧٤- الصناعتين. لأبي هلال العسكري. مطبعة محمد علي صبيح.
٧٥- علم المناسبات في السور والآيات. د/ محمد بن عمر بازمول. المكتبة المكية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .
٧٦- غاية المرام تخريج أحاديث الحلال والحرام. للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
٧٧- غرائب القرآن. انظر تفسير غرائب القرآن.
٧٨- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. أبو يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق :محمد علي الصابوني. دار القرآن الكريم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
٧٩- فتح القدير الجامع بين فنَّي الراوية والدراية من علم التفسير. لمحمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ. دار المعرفة- بيروت.

٨٠- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٨١- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم. د/ محمد بن عبدالرحمن الشايع. مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٨٢ - فضائل القرآن. لأبي عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي. دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٨٣- في ظلال القرآن. لسيد قطب. دار الشروق- القاهرة، الطبعة الخامسة والعشرون ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨٤- القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٨٥- قول على قول. حسن سعيد الكّرمي. دار لبنان للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٨٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت ٥٣٨ هـ. دار الباز- مكة المكرمة، دار المعرفة- بيروت.

٨٧- كشف المعاني في المتشابه والمثاني. لبدر الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم ابن جماعة. دار الشريف- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٨٨ - لسان العرب المحيط. لمحمد بن مكرم بن علي الأنصاري الأفريقي جمال الدين أبو الفضل المعروف بابن منظور. دار لسان العرب - بيروت.

٨٩- مباحث في التفسير الموضوعي. د/ مصطفى مسلم. دار القلم- دمشق.

٩٠- مباحث في علوم القرآن. د. صبحي الصالح.

٩١- المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي. دراسة وتحقيق: د/ رشيد الحمداوي. مكتبة أولاد الشيخ للتراث- الهرم - مصر.

٩٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير الموصلي. المكتبة العصرية - صيدا- بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٩٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد. الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

٩٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي.دار ابن حزم - بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٩٥- مختصر تفسير المنار. لمحمد رشيد رضا. المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٩٦- مختصر سنن أبي داود للمنذري مع معالم السنن للخطابي وتهذيب ابن القيم. تحقيق: أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي. دار المعرفة- بيروت.
٩٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية. دار الكتاب العربي- بيروت، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
٩٨- مدارك التنزيل. أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي. دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي (بولاق).
٩٩- مستدرك الحاكم. للإمام أبي عبدالله محمد عبدالله الحاكم. دار المعرفة- بيروت.
١٠٠- المسند. للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. دار صادر- بيروت.
١٠١- معاني القرآن. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
١٠٢- المعجم الكبير. لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠ هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. وزارة الأوقاف في الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى.
١٠٣- معجم متن اللغة. أحمد رضا. دار مكتب الحياة - بيروت- لبنان، ١٩٨٥م.
١٠٤- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار بهامش إحياء علوم الدين. الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي. دار المعرفة - بيروت.

١٠٥- المفردات في غريب القرآن. لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني. دار المعرفة- بيروت.

١٠٦- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات. د/ محمد المغراوي. دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٠٧- مقدمة تفسير ابن كثير مطبوع مع التفسير.

١٠٨- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. لأحمد بن الزبير الغرناطي، دار النهضة العربية- بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٠٩- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم. د/ محمد الأمين الخضري. مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

١١٠- مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد بن عبدالعظيم الزرقاني. دار إحياء الكتب العربية - البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.

١١١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

١١٢- النكت والعيون. لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٨٢م.

١١٣- وضح البرهان في مشكلات القرآن. محمد بن أبي الحسن الغزنوي بيان الحق النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان. دار القلم- دمشق، الديار الشامية- بيروت .

صدر للمؤلف

❑ التفسير وعلوم القرآن

- أسرار جمالية قرآنية.
- جنى القلب الهايم في مقاصد السور ومحاورها، وهو الكتاب الذي بين يديك.
- اللمسات الحانية في مقاصد السور الغانية.
- المختصر من نثر الماس والدرر في طرق البحث عن مقاصد السور.
- من لطائف اللفظ ونواعم اللحظ في مقاصد سورة الكهف وقراءتها يوم الجمعة.
- المِلاك لمعرفة عجائب وأسرار الآيات المتشابهة.
- نظم الماس والدرر في معرفة مقاصد السور، من الصافات إلى الحجرات.

❑ العقيدة

- إلهي يا شوق.
- براءة السلف مما نسب إليهم من انحراف في الاعتقاد.
- حياة الأرواح في ثمرات الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى.
- رحلة حب إلى الله.

❑ الفقه والحديث

- عدم حجية رواية عبدالله بن شقيق في إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة، دراسة حديثية وأصولية.
- قواعد وضوابط فقهية وأصولية في أحكام الحج.
- مسائل خلافية في الحج.
- هل أخطأ من أخذ بقول الإمام مالك: لا خصوصية لشوال بصيام الست؟

❑ العلاقات الزوجية

- قد شغفها حباً.
- القواعد المفيدة للحياة الزوجية السعيدة.
- كيف تحولين الزوج الغاضب إلى محب عاشق.
- هكذا استسلم زوجي العنيد لرأيي.

فهرس المحتويات

الموضـــوع	رقم الصفحة
• المقدمة	٥
• جنى القلب الهايم في مقاصد السور ومحاورها	١٥
١- سورة الفاتحة	١٧
٢- سورة البقرة	١٩
٣- سورة آل عمران	٣٣
٤- سورة النساء	٤٣
٥- سورة المائدة	٥٥
٦- سورة الأنعام	٦٧
٧- سورة الأعراف	٧٧
٨- سورة الأنفال	٨٣
٩- سورة التوبة	٨٩
١٠- سورة يونس	٩٧
١١- سورة هود	١٠٥
١٢- سـورة يوسف	١١١
١٣- سورة الرعد	١١٧
١٤- سورة إبراهيم	١٢٧

١٥- سورة الحجر ١٣٥

١٦- سورة النحل ١٤١

١٧- سورة الإسراء ١٤٧

١٨- سورة الكهف ١٥٥

١٩- سورة مريم ١٥٩

٢٠- سورة طه ١٦٥

٢١- سورة الأنبياء ١٧١

٢٢- سورة الحج ١٧٩

٢٣- سورة المؤمنون ١٨٧

٢٤- سورة النور ١٩٥

٢٥- سورة الفرقان ٢٠١

٢٦- سورة الشعراء ٢١١

٢٧- سورة النمل ٢١٥

٢٨- سورة القصص ٢٢١

٢٩- سورة العنكبوت ٢٣١

٣٠- سورة الروم ٢٣٧

٣١- سورة لقمان ٢٤٥

٣٢- سورة السجدة ٢٥٣

٣٣- سورة الأحزاب ٢٥٩

٣٤- سورة سبأ ٢٦٣

٣٥- سورة فاطر ٢٦٩
٣٦- سورة يس ٢٧٩
٣٧- سورة الصافات ٢٨٥
٣٨- سورة ص ٢٨٩
٣٩- سورة الزمر ٢٩٣
٤٠- سورة غافر ٢٩٩
٤١- سورة فصلت ٣٠٥
٤٢- سورة الشورى ٣١١
٤٣- سورة الزخرف ٣١٧
٤٤- سورة الدخان ٣٢١
٤٥- سورة الجاثية ٣٢٥
٤٦- سورة الأحقاف ٣٢٩
٤٧- سورة محمد ٣٣٣
٤٨- سورة الفتح ٣٣٩
٤٩- سورة الحجرات ٣٤٣
٥٠- سورة ق ٣٤٧
٥١- سورة الذاريات ٣٥٣
٥٢- سورة الطور ٣٥٧
٥٣- سورة النجم ٣٦١
٥٤- سورة القمر ٣٦٥

٥٥- سورة الرحمن ٣٦٩
٥٦- سورة الواقعة ٣٧٣
٥٧- سورة الحديد ٣٨١
٥٨- سورة المجادلة ٣٨٧
٥٩- سورة الحشر ٣٩١
٦٠- سورة الممتحنة ٣٩٥
٦١- سورة الصف ٣٩٩
٦٢- سورة الجمعة ٤٠٣
٦٣- سورة المنافقون ٤٠٧
٦٤- سورة التغابن ٤٠٩
٦٥- سورة الطلاق ٤١٣
٦٦- سورة التحريم ٤١٧
٦٧- سورة الملك ٤١٩
٦٨- سورة القلم ٤٢٣
٦٩- سورة الحاقة ٤٢٧
٧٠- سورة المعارج ٤٢٩
٧١- سورة نوح ٤٣٣
٧٢- سورة الجن ٤٣٥
٧٣- سورة المزمل ٤٣٩
٧٤- سورة المدثر ٤٤٣

٧٥- سورة القيامة ٤٤٧
٧٦- سورة الإنسان ٤٥١
٧٧- سورة المرسلات ٤٥٧
٧٨- سورة النبأ ٤٦١
٧٩- سورة النازعات ٤٦٥
٨٠- سورة عبس ٤٦٧
٨١- سورة التكوير ٤٧١
٨٢- سورة الانفطار ٤٧٥
٨٣- سورة المطففين ٤٧٩
٨٤- سورة الانشقاق ٤٨٣
٨٥- سورة البروج ٤٨٧
٨٦- سورة الطارق ٤٨٩
٨٧- سورة الأعلى ٤٩١
٨٨- سورة الغاشية ٤٩٣
٨٩- سورة الفجر ٤٩٥
٩٠- سورة البلد ٤٩٧
٩١- سورة الشمس ٥٠١
٩٢- سورة الليل ٥٠٥
٩٣- سورة الضحى ٥٠٧
٩٤- سورة الشرح ٥٠٩

٩٥- سورة التين ٥١١
٩٦- سورة العلق ٥١٣
٩٧- سورة القدر ٥١٧
٩٨- سورة البينة ٥١٩
٩٩- سورة الزلزلة ٥٢١
١٠٠- سورة العاديات ٥٢٣
١٠١- سورة القارعة ٥٢٥
١٠٢- سورة التكاثر ٥٢٩
١٠٣- سورة العصر ٥٣٣
١٠٤- سورة الهمزة ٥٣٥
١٠٥- سورة الفيل ٥٣٧
١٠٦- سورة قريش ٥٣٩
١٠٧- سورة الماعون ٥٤١
١٠٨- سورة الكوثر ٥٤٣
١٠٩- سورة الكافرون ٥٤٥
١١٠- سورة النصر ٥٤٧
١١١- سورة المسد ٥٤٩
١١٢- سورة الإخلاص ٥٥١
١١٣- سورة الفلق ٥٥٣
١١٤- سورة الناس ٥٥٥

- المراجع ٥٥٧
- صدر للمؤلف ٥٧٢
- فهرس المحتويات ٥٧٥

تم بحمد الله

تم الإخراج بشركة غراس للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
- هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥ بدالة المطبوعات 24810010 - الكويت